

الدكتور
زهير محمد جميل كويتي

نقد

العقل العربي

قراءة مختلفة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

1436هـ - 2015م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة

ص.ب: (9068)



هاتف : 00966 551566611 فاكس : 0096612/5377141



البريد الإلكتروني : Zkutbi@hotmail.com



الموقع الخاص : www.z-kutbi.com

الإهداء

إلى

معالي الدكتور: عبد العزيز محيي الدين خوجة

أنت: من يعرفُ مُنحنياتِ العملِ الإنسانيِّ وأدركتَ أسرارَهُ، وتسَلَّقتَ أسوارَهُ.

أنت: وقفتَ أمامَ **التحدياتِ الحقيقيةِ**، وهي عمليةٌ معقدةٌ لا يكفيها **جمالُ القوةِ**، والجاهِ، والنفوذِ؛ بلُ كلُّها تتفاوتُ أمامَ قوةِ عقلِكَ ورؤيتِكَ الصافيةِ للأُمورِ.

أنت: عشتَ وعملتَ في الزمنِ الصعبِ وبكلِّ مهاراتِكَ وإمكاناتِكَ، ودخلتَ دهاليزَ المناصبِ عبرَ عناءِ الاختباراتِ الصعبةِ والمرهقةِ؛ واستطعتَ بمهاراتِكَ الرشيدةِ المتعددةِ ربطَ **الفقراتِ العضليةِ والعقليةِ** **بعقلانيةٍ مرتفعةٍ السقفِ**.

أنت: من الرعيلِ الأولِ المُطالبِ بكتابةِ سيرتِكَ الحافلةِ؛ لتعرفَ الأجيالُ المسافاتِ التي قطعتها ليُخلِّدكَ تاريخُ بلادنا.

أنت: عملتَ بإخلاصٍ يومَ توارى القادرونَ، ودونَ مبالغاتٍ، ولم تعميكِ ..
(الFLASHات) ...

أنت: موهبةٌ فكريةٌ وثقافيةٌ.

أنت: موهبةٌ إداريةٌ، وسياسيةٌ.

أنت: يسكنك التاريخُ، وسوف تُحرِّكُ شواخصهُ ،

أنت: ممن أُسْتهدَفَ، وممن صُوِّبَتْ نحوهُ الأسهمُ؛ ولكنْ الأقدارُ الإلهيةُ

أنقذتك ممن رتَّبَ لك، فاللهُ خيرٌ حافظاً وهو أرحمُ الراحمينَ.

أنت: دققتَ أعماقَ أرضِ وطنكَ بحثاً عن أبوابِ تفضي إلى أبوابِ،

ونوافذَ تخدمُ منها هذا الوطنَ المبارك.

أنت: سيأتي ذاكَ اليومُ الذي تسيرُ فيه لكي تتكئَ في مكتبك، وبينَ

أوراقكَ وملفاتكَ الكثيرةِ، ثقيلةِ الحمولةِ ، فتقارنُ المراحلَ،

وتسجلُ وتذكرُ الأسماءَ، وتُدوِّنُ الأحداثَ المواقفَ؛ لتعلنَ لوطنكَ

وشعبه العَظيمَ ما حكاهَ عبدُ العزيزِ خوجة مفاضلاً ومفضلاً .

أنت: وجهُ السعوديةِ المبتسمُ، وليسَ عليه أنْ يغضبَ ذلكَ الوجهُ الهادئُ.

أنت: تجسِّدُ عبقريةَ المكانِ في مكة المكرمةِ، وعبقريةَ الإنسانِ المكيِّ.

أنت: مفكرٌ كبيرٌ، عشتَ في صمتٍ، وسيكونُ تاريخكَ العامُّ

والوظيفيُّ شاعِلَ الناسِ.

أنت: صفت أفكارك، وشعرك، وأدبك بأسلوبٍ راقٍ ومتميزٍ، يصعبُ معه أن تحذفَ كلمةً من بيتٍ شعريٍّ، أو عبارةً من نصٍّ، أو عبارةً من سياقٍ.

أنت: أنموذجٌ راقٍ للعقل العربي، عالي القيمة، مرتفع المكان، ضخم المكانة. أنت: لم، ولا، ولن أنسى كل مواقفك الإنسانية، والرسمية، والاجتماعية معي؛ فقد سجّلتَ لنفسك مكانةً كبيرةً في قلبي، بل سكّنتَ إحدى غرفه الواسعة والرحبة، وبالقرب من صديقك سيدي الوالد، معالي الدكتور محمد عبده يمانى، رحمه الله. أهدى إليك هذا الإنتاج الفكري والثقائي.

محبُّكم الحقيقيُّ
وصديقك الوفيُّ

الدكتور:

زهير محمد جميل كتبي

.. [مَدَخَلَ] ..

قَالَ الْمُؤَرِّخُ الْعَرَبِيُّ الشَّهِيرُ ابْنُ خَلْدُونَ فِي مَقْدَمَتِهِ الْمَشْهُورَةِ، قَالَ:

.. [لَا يَسْتَقِيمُ حُكْمُ الْعَرَبِ

إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ بِالسِّيفِ] ..



وَقَالَ : [الْعَرَبُ قَوْمٌ هَمَجٌ هَذَبٌ]

الْإِسْلَامُ فَإِذَا ابْتَعَدُوا عَنِ دِينِهِمْ

رَجَعُوا إِلَى هَمَجِيَّتِهِمْ] ..

مُقدِّمَتِي

وضع الدكتور طه حسين كتابه الشهير الفتنة الكبرى ، وبنى فكرة كتابه الرائع ، والذي أصبح أحد أهم الكتب العربية المرجعية في فنّها ، على استراتيجية فكرية تقوم على أن .. [مقتل سيدنا عثمان بن عفان] .. رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . الخليفة الراشد الثالث هو .. [الفتنة الكبرى] .. في تاريخنا العربي والإسلامي ، وأن مقتله هو العمود الفقري للأزمات ، والمشكلات ، والتحديات الكبرى التي حلّت بأمّتنا العربية .

واليوم ، أريد من خلال هذا الكتاب إعادة قراءة مصطلح .. ((العقل العربي)) .. بقراءة عصرية ومختلفة ، وعبر قراءة واقع .. [العقل العربي] .. ، وأزعم أنّها أكثر جرأة ، وصراحة ، وشفافية .



القراءة .. [قيمة] .. ، والكتابة .. [مكانة] .. ، و.. [مجد وعز وتاريخ وإنجاز] .. ، والفهم مسؤوليّة ، والتفكير عبء ديني ، ووطني ، ومبدئي ، وأخلاقي . و.. [العزلة] .. ، قيمة .



إنّ .. [سوء الظن] .. ، جريمة ، كما هو إنثم كبير ، خاصّة إذا غزا الأخلاق ومنظوماتها ، لهذا قال الله جلّت عظمتُه : (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) الحجرات ، (12) . الكتابة ، عندي .. (عبادة) .. ، طوعية ، وهي من طبقات العبادة الذاتية ، كما إنّها مرحلة من مراحل التعبّد الفردي . فالكتابة عندي .. ((تقوى فردية)) .. ،



في هذا الكتاب أرجو أن نكون قد تناولنا بعض المسائل، والقضايا والأمراض المرتبطة.. [بالعقل العربي]...، بمعايير الأمانة العلمية، والذمة التاريخية، والموضوعية التي تمنع تشتت الكلام في الهواء، وقد يطلب بعض القراء منا أن نواصل الكلام معهم في مثل هذه القضايا الكبرى، وسنعمل - إن شاء الله - حتى نعيش الحقيقة، ونقيّد الأمور نصابها.



هذا الكتاب فيه.. [مجرد]..، اقتراحات، وآراء، وأفكار تأخذون بها، أو تدعونها كما يحلو لكم، ولست أرى تعارضاً في أن نشرع بقراءتها، فتعدُّ الآراء ظاهرةً صحيحةً في هذه.. [الحياة]... خاصةً أنه يرتبط بموضوع يهّم حياتنا كلها. هناك مُتلقٍ لهذا الكتاب يُوافقني في خطّي ومنهجي، ومنهم من يخالفني في بعض ذلك أو أكثر، إنني أحترم اختلافهم معي.



أرجو أن يصلح حال.. [المجتمع]...، العربي وينقلب الفساد نفعاً، والجوع شبعاً، والاضطراب نظاماً، والكُرهُ حباً، والحربُ سلماً، والقلقُ استقراراً، وأرجو أن تتوهج هذه الوجوه بإشراق الحقّ وضياء الحبّ، ويسود الفرح والسرور والنجاح، وتسيطر الثقة بالنفس على ما تستقرُّ عليه النتائج، فتأتي البشرية بشراً؛ لأنّ المصلحة العليا للمجتمع أولى أن تراعى وتُحقَّق.



ولقد احتملنا هذا التطور السيء طويلاً، إذ أتتجه العقل العربي حتى ضاعت حقوقنا المشروعة وغيرها، وأصبحت مغصوبةً رغم أنوفنا. رغم أننا

بذلنا كثيراً من محاولات التلطف والمجاملة ، والمدارة ، ولكن دون جدوى.
لأنَّ العقلَ العربيَّ رفضَ قبولَ الآخرِ، والتعاملَ معه .



في هذا الكتابِ كلامٌ أحاولُ فيه ألاَّ أُسيءَ بهِ إلى أحدٍ ، ولا أجرحَ
أحدًا ، ولا أنكأُ جرحًا . وليس مطلوبًا دائمًا أنْ نقولَ أشياءَ تفهمُ ، بل يقصدُ
في بعضِ الأحيانِ أنْ تُقالَ أشياءٌ لسدِّ .. [الفراغِ] ..، وعلينا أنْ نكتبَ ما نشاءُ
في تركيباتٍ لفظيةٍ سليمةٍ، وقرأتها كما يحلو لهم وفقًا لـ (موديلات) ،
القراءاتِ الجديدة . كما عليهم أنْ يضعوا المعاني التي يُريدونها حسب الأمزجة
والأهواء .



لقد جالتُ .. المعاني] .. ، في خاطري إنَّ بطءَ الكلامِ نوعٌ من التفكيرِ ،
ولكنَّه يقودُ إلى تحليلِ الأمورِ ، والألفاظِ ، وتفسيرِ سهلٍ بالمنطقِ الباردِ ،
والصارمِ . فهو سهلُ الصعبِ منه رغمَ غموضِهِ .



إنَّ جذوري الفكريةَ والتجهيزاتِ الثقافيةَ التي تستتقُّ قرارَ العقلِ
العربيِّ في كلِّ مراحلِ حياتها العمليةِ والاجتماعيةِ؛ جعلتني أُعطى كلَّ
الحالاتِ، والمستجداتِ والمتغيراتِ والتحوّلاتِ أخلاقَ .. [الحكمة] ..، و.. [الرشد] ..،
وعبرَ عطاءٍ فكريٍّ صريحٍ يُشكّلُ علاقةً تحوّلٍ سياسيٍّ عالي القيمةِ؛ وهذا
ناتجٌ من التراكماتِ الثقافيةِ والفكريةِ التي امكّلتها كإنسانٍ مثقفٍ عربيٍّ .



وكنْتُ ، ومازلتُ ، وسأظلُّ أتابعُ باهتمامٍ دقيقٍ ، وحرصٍ متقيظٍ لكلِّ

سلوكيات وقرارات وإجراءات بعض الحكّام العرب، وكلّها جعلت قراءة العقل العربيّ ضرورةً مهمةً في هذه المرحلة .



فعلتُ ذلكَ عبرَ درجةٍ عاليةٍ من اليقظةِ والحذرِ والنظرِ المتعددِ الجوانبِ، وتعرفُ حدًّا .. [الصراط] عندَ مرحلةِ اتخاذِ القرارِ الفكريّ تجاهَ الأحداثِ والمواقفِ ومختلفِ توازناتها، التي قد تستعصي على الحلِّ؛ وعبرَ رؤيةٍ صافيةٍ للأمورِ والأوضاعِ .



كتابي هذا لا يتَّسمُ الأمرُ فيه بحالةِ التقييمِ وإصدارِ الأحكامِ النهائيةِ في حقِّ العقلِ العربيِّ، ولكنها قراءةٌ ونظرةٌ .. [واقعيةٌ] .. و.. [مختلفةٌ] .. بقدرِ ما هو أكبرُ من الاستغراقِ في ذكرِ .. [سلبياته] .. و.. [تجاوزاته] .. في حياتنا، وواقعنا ومستقبلنا .



لدينا الكثيرُ والكثيرُ، والعظيمُ من الأمورِ التي تستدعي الرصدَ والتدوينَ لحركةِ التاريخِ، والوطنِ، والمواطنِ، كلها سوفَ تُبرزُ معاييرَ التمييزِ في شخصِ الأمةِ العربيةِ المحنِّكِ، خاصةً عندَ عرضِ المُتشابهاتِ في الأحداثِ والمواقفِ، وهي كثيرةٌ جدًّا، وفي كافةِ المجالاتِ. ومختلفِ مناحي الحياةِ .



فجأةً وجدتُ نفسي المعذبةَ والقلقةَ والمتعبةَ والحائرةَ من هذه الحياةِ، فقد شعرتُ اليومَ، وفي هذه اللحظاتِ بالذاتِ، ولشدةِ وقوةِ وسيطرةِ الأمراضِ على جسدي؛ أدركتُ أنّه لم يعدْ لديّ إلا بعضَ الوقتِ، وهو ليسَ بالكثيرِ؛ كي

يُتَاحَ لِي أَنْ أَقُولَ : " أَنْ فَلسَفَتِي ونظرتي للحياة تقول وتفهم أن الفضل، والإحسان، وإقالة العثرات، لا يمكن مُساءلتها، إلا عند لحظة الحق والحقيقة التاريخية. فالحق الإلهي أعطاني كمتقف وإصلاحي كلَّ السيادة الكاملة في قول الحق للتاريخ نحو العقل العربي، وفي حق رجاله، وهو الأمر الذي لم يجعلني في حيرة من أمري؛ بل عَقَدتُ النية والعزم لأقول للتاريخ، ولوطني، وللمجتمع العربي هذه الخاصية. إنَّه يوجد بين الناس حكماء، وعُقلاء، وفضلاء يعتزُّ بهم التاريخ، ويعتزُّ بهم الوطن العربي، وأتذكر وأنا أسأل نفسي دائماً عن السبب في أنه ليست لي خلفية سياسية بسيطة في فهم وطني وأوطان أخرى. بيد أنه لم تُقبَلْ آرائي، ولم تهضم أفكارِي، ولم تُدرك وتفهم نبوءاتي، ولم تستوعب قراءتي للأحداث ومستقبلها.



فأنا سعوديُّ بالكامل، أو أي شيء آخر بالكامل.



لقد أدركتُ مبكراً أن حرية الإنسان هي في حرية رؤية وفكرة يملكها: أي في رأيه وفكره، والتي تحفظ كرامته وإنسانيته. وتعلّمتُ من تجاربي المتعددة أن حرية الرأي والفكر ليست ترفاً، ولا استجداءً، ولا وجهةً، وأنَّه يجب أن يحترم الإنسان كلَّ امتدادات قوس قزح الحرية دون أن يسأل عن هوية الآخرين الفكرية. وتيقنتُ أن المستقبل سيكون في احترام الحريات، ولا يمكن إنجاز أو تحقيق أيِّ إنتاجٍ فكريٍّ في هذه الحياة بدون وضع قواعد أخلاقية مستمدة من مؤسسة الأخلاق الإسلامية.



إنَّ الظروفَ السياسيةَ، والإعلاميةَ، والصحافيةَ، والثقافيةَ اضْطَرَّتني إلى مواجهةِ مصيري المحتومِ، بكلِّ تبعاتِهِ وتداعياتِهِ المتفرعةِ، ومواجهةِ تلكَ العذاباتِ اليوميةِ المرهقةِ، ومواجهةِ تلكَ الأسئلةِ التي كانت تُحيلُني إلى نفسي كلما بدا أنَّها تفتقرُ إلى مواجهةِ نفسي؛ فهي أصلٌ مستقرٌ لفهمِ واستيعابِ ما وقعَ لي وعليَّ. **يومها أدركتُ أنَّ أفكاري السياسيةَ كانت ولا زالت مرفوضةً في وطني؛ رغمَ تشابهِ وتقاربِ أفكاري مع كثيرٍ من أفكارِ القرارِ الحكوميِّ والفهمِ السلطويِّ؛ ورغمَ ذلكَ عشتُ القلقَ والمأساةَ، والهزيمةَ، وكأني الوحيدُ الذي حدسَ وحسَّ وتنبأَ بكثيرٍ من الأزماتِ، والمشكلاتِ، والنكباتِ وغيرها؛ بل أصبحتُ كأني الوحيدُ الذي شعرَ بموتِ كثيرٍ من الطموحاتِ الضخمةِ، والآمالِ الكبيرةِ، والأحلامِ الواسعةِ، والتطلعاتِ العاليةِ. وظنُّ كثيرٌ خاطئاً أنَّني أعملُ على زحزحةِ .. [البابِ العاليِ والعملاقِ]..؛ فشعرتُ بنفسِي كأني صرتُ أهمَّ من إبليسَ عندَ أعدائي وخصومي، ربما كان ذلكَ لأنِّي كنتُ إصلاحياً، وكاتباً صحافياً بالدمِ والوراثَةِ والفطرةِ، وأكثرَ مما كنتُ مثقفاً مُبدعاً يملكُ أدواتِ الكتابةِ الإصلاحيةِ؛ ولكنَّ يبقى الوطنُ حُبِّي الحقيقيَّ الأولَ، وربما الأخيرَ.**



تعلمتُ من تجاربي الكثيرةِ في حياتي أنَّ .. [الشهرةَ] السياسيةَ، والفكريةَ، والثقافيةَ، والصحافيةَ، والاجتماعيةَ والإعلاميةَ؛ ما هي إلا .. ([بخارٌ])...، وأنَّ .. [الشعبيةَ]...، ما هي إلا حركةٌ .. ((مصادفةٌ))...، من حركاتِ التاريخِ الكثيرةِ. وتأكَّد لي أيضاً ومن تجاربي الكبيرةِ أنَّ اليقينَ

الوحيد في الحياة هو .. ((النسيان))... . في زمنٍ فشت فيه شتى المفسدِ
وبمقاساتها وتفرعاتها المختلفة، والكذب، والنفاق، والرياء، والتدليس،
والقذف، والسب، والشتم، وتضخمت الرذائل لدرجة الانفجار. ووقفت
شخصياً على كثير منها؛ فعوقبت بسببها، وبكلّ مواجع الآلام، والعقاب
الشرس والمتوحش، ومؤلم النكال والتتكيل؛ وكلها تؤدي إلى العلم
بالضرورات والمتغيرات. أنشد الحق، وأسعى إليه ، والحق أحق أن يتبع .



ورغم كل ما وقع لي ، وعليّ ، قلت لأعدائي وخصومي وسأقول لهم : إنني سأظلُّ ،
وسأظلُّ ، أقوى .. [عصب] .. ، من أعصاب الوطن الفكرية والثقافية والإصلاحية
القوية.



إنّ العقل العربيّ خلق وصنع كلّ ألمٍ ووجعٍ موجهٍ في العالم كله . قد
يظهر من يعترض على هذا التوصف وربما القول أن فيه بعض المبالغة ، وأنّه
يشوه سمعة العقل العربيّ . ولكنني أصرُّ على رأيي وموقفي .



أؤكد أن وقوفي هذا الموقف الفكري من العقل العربي ليس لرغبة شهوة ما ، بل
رغبة لطموح الإنسان العربيّ ، كما هو ليس تراجعاً عن مواقف سابقة أو لاحقة ، بل هي
قناعاتي ، أضعها أمامكم احتراماً لكم ولعقولكم ، وحرصاً عليكم وعلى وعيكم الفكري .
أنا باقٍ عند قناعاتي . لأن من كان يطالب بشيءٍ لأجل غاية معينة سيحصل عليه ، أصبح
الآن هناك شيءٌ مختلفٌ . فالأمة العربية اليوم في حاجة حقيقية لعقلها . فالآن أمامنا

وقت على الأقل للمراجعة والصّفح . وهذا الكلام الذي أقوله الآن في حد ذاته ليس
تضييع وقت وجهد ومال . لأنّ هذا الأمر يحتاج إلى إرادة صلبة لمعالجة .. (نقد العقل
العربي) ..



فالمرحلة ، والحاجة ، والموقف ، والضرورة ، تدفع بقوة إلى الإسراع لنقد
العقل العربي ، بكل ما نملك من شفافية وجرأة وفهم ناضج لمصلحة الأمة .

فمن يحدد الضرورة التي أشرت إليها؟

وهل هناك ضرورة أكبر من نقد العقل العربي؟! .



حقيقة أقول: في البدايات ترددت كثيراً في تناول هذه القضية المهمة
والكتابة عنها ، والتي فيها تشعب واسع ومتعدد الاتجاهات ، بل فيها تداخلات
معقدة مع أفكار بعض التيارات ، وأيضاً تداخلت مع مفكرين ومثقفين قد لا
تتألم إعجابهم ، أو يجدون صعوبة بالغة في هضم فكري فيها . وربما تدفع إلى
خسائر كبيرة مع مصالح وغايات أخرى كثيرة . وربما أيضاً ستؤدي حتماً إلى
.. (التصادم) .. و .. (الرفض) .. ، مع توجهات ورغبات أكثر من تيار وشخص ،
من أصحاب المنافع ، والغايات الضيقة ، وأيضاً الحركيين منهم . لأنّ هذا النوع
من الكتابة والتناول تكشف ، وربما تُعري أشياء وأمور وقضايا من المستور
والمخفي في ظلّ هذه الظروف التي تعيشها هذه المرحلة الحرجة والصعبة في
تاريخ أمتنا . لأنّ عادةً هذه القضايا الكبرى تخلق صراعات فكرية ، ومعارك

ثقافية، لها مدلولاتها وأهدافها وخباياها. فمرحباً بتلك الصراعات، وأهلاً بتلك المعارك، ما دام أنها تخلق فوائد تعود بالنفع للأمة، وبخاصة ما يرتبط بعقلها. قد تكون تلك الصراعات والمعارك لها سواتر، وتستر، وأوجه مستترة، ومطامع مخيفة تتكشف من خلالها. وهذا أمر جيد، بل هو ضروري للغاية. وبخاصة أنها تحدد مستوى وأنواع واتجاهات .. (الوعي) .. المملوك لها. وهذا يساعد على فهم التناقضات والتضاربات والتباينات الفكرية والثقافية، وخصوصاً الجانب العقدي.

وما يشغلني في هذه القضية الكبرى .. (الوعي المحلي) ..، ومعرفة مستوى المشاركة والتفاعل من النخب الفكرية والثقافية. فيرصد مستوى التحيز في التناول والكتابة، ويظهر قدرات الخبرات المعرفية التي توضحها الصراعات والمنافع والتطورات المختلفة في حراك المشهد العام.

ولا أزعج من خلال هذه الدراسة أنني أحطت بما لم يحط به الآخرون، أو أنني أوجدت أشياء كثيرة، ولكنها تظل محاولة جادة تسهم بإضافات جديدة. وربما تسهم في رفع مستوى سقف .. (الوعي الذاتي) ..، عند كثيرين. وهذه مهمة شاقة على بعض المفكرين والمثقفين.



وربما تكون أفكاري وتوجهاتي، أو بعضها يحمل صفة .. (الاستفزاز) ..، وأيضاً .. (الإثارة) ..، ولكن يبقى الهدف الأساسي هو تحريك المشهد العام لفهم واقعنا، كما هو، وكما ينبغي أن يكون.



كما أهدفُ للدعوةِ إلى التأملِ والتفكيرِ العميقِ عبرَ ركائزِ وقواعدِ
وشروطِ .. (التحديّ النهجيّ) ..، مهّمًا كانت حساسيّاته وحساباته الدقيقةُ
فذاك التحديّ يعملُ على خلقِ قدراتِ الإقناعِ والاقتراعِ، ببعضِ المفاهيمِ
والأفكارِ والتوجهاتِ وغاياتها المتعددة؛ لحصرِ ومعرفةِ التحولاتِ التي يعيشها
المجتمعُ وبكلِّ تحدياته ومنغصاته التي يتحكمُ فيها بعضُ الأطرِ الزمنيةِ
والمكانيةِ، والتي عادةً ما يفرضها بقوةٍ وإصرارٍ .. (الجانبُ العقديّ) ..،



والله أسألُ هدايةً للجميع .



أختمُ مقدمتي بمقولةٍ (جورج برناردشو): ((مَنْ يَكْتُبُ عَنْ نَفْسِهِ
وعصره؛ هو وحده الذي يَكْتُبُ عَنْ كُلِّ النَّاسِ وَكُلِّ الْعُصُورِ)).

واللهُ يسترنا فوقِ الأرضِ، وتحتِ الأرضِ، ويومَ العرضِ، وساعةَ العرضِ، وأثناءَ العرضِ.

المؤلفُ

الدكتور :

زُهَيْرُ مُحَمَّدٍ جَمِيلِ كَتَبِي

التَّشَاؤْمُ

انْتَقَدَنِي، وَاَنْتَقَدَنِي، كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْكَرِينَ وَالْمُتَقَفِينَ وَالْكَتَّابِ وَالْأَدْبَاءِ
وَالْإِعْلَامِيِّينَ وَالصَّحَافِيِّينَ وَالْأَهْلَ وَالْأَصْدِقَاءِ وَالزَّمَلَاءِ، نَقْدًا مَبَاشِرًا وَصَرِيحًا
بِأَنِّي إِنْسَانٌ .. (مُتَشَائِمٌ)..، وَاَنْدَلَاغُ هَذِهِ الْمَوْجَةِ مِنَ الْإِنْتِقَادَاتِ الْحَادَةِ مُنْذُ
بِدَايَاتِي، فَمَنْ أَوَائِلُ مَنْ أَنْتَقَدَنِي صِرَاحَةً وَكَتَبَ ذَلِكَ النِّقْدُ الْأَدِيبُ وَالْمَفْكَرُ
وَالشَّاعِرُ السُّعُودِي، الْكَبِيرُ إِبْرَاهِيمُ أَمِينُ فُودَةَ، حِينَ كَتَبَ مَقْدَمَةَ كِتَابِي:
(المرحلةُ والمجتمعُ). الصادرُ عامَ 1409هـ، 1989م . قلتُ : ولقناعتِي الكبيرةُ
إِنَّا الْيَوْمَ نَعِيشُ حَقْبَةً مِنْ أَسْوَأِ حَقَبِ التَّارِيخِ . الَّتِي يَتَصَدَّرُهَا الظُّلْمُ وَالطُّغْيَانُ ،
وَالفَسَادُ وَالْكِرَاهِيَةُ ، وَالْحَقْدُ ، وَالْأَحْتِقَارُ ، وَالنَّفَاقُ ، وَالتَّمَلُّقُ ، قَائِمَةٌ الْأَمْرَاضِ
النَّفْسِيَّةِ ، الَّتِي تَهْلِكُ هَذَا الْمَجْتَمَعَ مَتَفَشِيَّةً ، الَّذِي يُعَانِي الْوِيَلَاتِ مِنَ الْإِنْسَانِ ضِدَّ
أَخِيهِ الْإِنْسَانِ . حَتَّى ظَهَرَتْ مَرَحَلَتُنَا الرَّاهِنَةُ بِمَسْتَجِدَاتٍ غَرِيبَةٍ جَدًّا عَلَى
السَّاحَةِ . وَفَجَعَ وَهَلَعَ الْإِنْسَانِ وَخُوفِهِ مِنْ أَهْوَالِ الْمَرَحَلَةِ . الَّتِي يَثْقُلُ ظِلُّهَا وَيَخِيمُ
عَلَى صَدْرِنَا . وَلَا أَرْغَبُ فِي .. (الْإِطَالَةِ) .. ، بِإِبْرَازِ عِلَاقَاتِ وَتَفْسِيرَاتِ تَزِيدُ
الْوَضُوحَ وَالْفَهْمَ . فَالْكِتَابُ سَيَتَاوَلُ الْكَثِيرَ مِنْهَا ، وَلَعَلَّ مَشْكَلَتِي رَاجِعَةٌ إِلَى
إِنِّي لَا أَطِيقُ الْأَفْكَارَ الْغَرِيبَةَ أَوْ الْمَتَغَرِبَةَ ، الَّتِي تَقَدَّمَتْنَا عِلْمِيًّا وَحَضَارِيًّا ، وَهَذَا
وَاقِعٌ مَرِيرٌ لَا يَنْفِيهِ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِينَ . وَلَكِنِّي مُضْطَّرٌّ تَحْتَ ضَغْطِ الرُّهْبَةِ
الدَّافِعَةِ إِلَى التَّزَوُّدِ بِالْعِلْمِ .



ومن البداية أعترفُ صراحةً أنَّ تلك الانتقاداتِ بكلِّ أشكالِها ومستوياتِها صحيحةٌ وواقعيةٌ، و فعلاً أنا إنسانٌ .. (مُتَشَاوِمٌ) ..، ولي أسبابي، وظروفي، وخلفياتي. في هذا الكتاب سأحاولُ أن أوضحَ بعضَ ما ذكرتُ. بدَايَةً: أَحْكِي لَكُمْ صراحةً، وبكلِّ وضوحٍ، وشفافيةٍ، لأقول: أن تكونَ زهيراً يعني أُنَّكَ .. (مُتَشَاوِمٌ) ..، وأن تكونَ (....)، يعني أُنَّكَ متفائلٌ. هنا، لا أرثدي أثوابَ .. (التشاؤم) ..، بل أتحدثُ عن تجاريبِ حقيقيةٍ وقعتُ في حياتي. التفاؤلُ، في حياتي خجولٌ للغاية، لانعدامِ العلاقةِ بالقسمِ الآخرِ مِنَ الأملِ. لكنْ بغضِ النظرِ عمَّنْ يتحملُ مسئوليةَ الخطأِ في هذا المصيرِ، تبقى هذه الانتقاداتُ مهمةٌ وحساسةٌ في حياتي.



التفاؤلُ، عندي يُشكّلُ، استفزازاتٍ واهتزازاتٍ، إرباكاتٍ، وقراءةٍ مختلفةٍ فيما عندَ غيري. فلا تستغربوا من صراحتي المتناهية، حين أقولُ هذه الحقائق التي أعيشُها.

التشاؤمُ، عندي إيقاعٌ لاهتزازاتٍ نفسيةٍ متراكمةٍ، أصبحت متحجرةً. والحالُ أن نقاشاً كهذا يبدو ترفاً فكرياً أو رفاهيةً ثقافيةً مفرطةً. إذا ما تمَّ قياسُه بما يجري سياسياً وثقافياً، **ومالي من بصماتٍ واضحةٍ في خدمةٍ وطني وديني ومُجتمعي وقضيتي الأساسِ وهي الإصلاحُ والتنويرُ**، بما أحملهُ من حزمِ التشاؤمِ. لذا، لا يكفي استحضارُ الانتقاداتِ المشيعةِ، بل يجبُ البحثُ فيما هو أبعدُ

وأعمقُ. فتلك حجةٌ مضادةٌ تخدمُ نظريَّتي التَّشاؤميَّة، وإلى ذلك طُرُقٌ ومَسالكُ، والأهمُّ ربَّما، أنَّها تَكشِفُ .. (نَجْوَةَ القِيمِ) .. و .. (المفاهيم) ..، حينَ أمارِسُ التَّشاؤمَ، ليكونَ أداةً تواصَلُ بيَني وبينَ الآخِرِ.



منصَّاتُ التَّواصلِ الاجتماعيِّ، ووسائلُ الإعلامِ دفعَتني إلى مزيدٍ مِن حالةِ التَّشاؤمِ، لأنني قرأتُ الميديا المجتمعيَّةَ كما هي، لا كما ينبغي، وهذه نقطةٌ مركزيَّةٌ في النقاشِ، وهي تمثَلُ أدبياتٍ فئَةٍ غيرِ قليلةٍ مِنَ المعارضين لي في تشاؤمي.



إنَّ .. (التَّشاؤمَ) ..، الذي أعيشُهُ ينطلقُ من منطلقاتٍ ومعطياتٍ دينيَّةٍ وثقافيَّةٍ محضَّةٍ، والحالُ أنَّ .. (الرقابةَ الذاتيَّة) ..، المسبقةُ التي أفضتُ إلى تغليفِ الانتقاداتِ الحادةِ التي وُجِّهتْ لي مِن قِبَلِ المعارضين لي، فأنا أملكُ .. (نفسًا لوامةً) ..، بل شديدةَ اللومِ والملامةِ، على ذاتي وعقلي وفؤادي. وهي للمفارقةِ تزيدُ صلابَةً وتماسكَ جدرانِ أفكاري ونظرتي للحياةِ، وهي تَكُتْسِي أهميةً مضاعفةً، لأنَّها تتزامنُ معَ نقاشٍ وجوديٍّ عميقٍ تخوضُهُ المعارضةُ لي وسياساتها، وأخطاءُ تهميشها.



غَفَلَ، أو تغافلَ، بقصدٍ وسوءِ نيةٍ الذين أنتقدوني، واتهموني .. بالتَّشاؤمِ ..، ظهورٌ ووجودٌ حالاتُ تشاؤمٍ متحركةٍ في بعضها، وساكنةٍ في شقها الآخِرِ،

وهي أكثرُ مني تشاؤماً. وهي حالاتٌ غيرُ قليلةٍ تعيشُ بينَ ظهرائنا.
**والآن، وبشجاعةِ الأحرارِ من الرجالِ أَعترفُ بانْهزامِ بعضِ أفكاريِ وآرائي أمامَ قوَّةِ
الدولةِ وسلطاتِها** ، كانَ له دوراً كبيراً في حَسْمِ ذلكَ النقاشِ الدائرِ حولَ
تشاؤمي، ولكنَّهُ عادَ بقوةٍ وطرحَ بشدةٍ بعدَ المصيبةِ الكبرى التي حلتْ بي،
بإدخالِي السجنَ لعدةِ مراتٍ أصبحتُ أسيرَ .. **(الهزاتِ النفسية)**..، القاسيةِ، بلُ
الجبارةِ.

وعادةً نجدُ أنَّ كثيراً من التشاؤمِ في الفكرةِ المركزيةِ لفكري،
وإرادتي وثقافتي، يعملُ على نموِّ وازدهارِ وتطورِ .. **التشاؤمِ** .. في داخلي.
التفاؤلُ، يكونُ عندي عبرَ مستحقَّاته من هياكلٍ معرفيةٍ واجتماعيةٍ
وسياسيةٍ ونفسيةٍ ودينيةٍ وفكريةٍ وثقافيةٍ، قد لا تُفرضُ فرضاً في ظلِّ الهيمنةِ.
لهذا فإنَّ .. **التشاؤمُ** .. يُساعدني على عدمِ تناسي .. **(التحدي)**..، مع
ضميري، ومبادئِي، وقيمي.

التشاؤمُ: ساعدني على عدمِ الانكفاءِ على النفسِ.
التشاؤمُ: أصواتٌ حرةٌ وقويةٌ في داخلي تسبرُ غورَ المجتمعِ، وتنفضُ إلى
هياكله المتهالكةِ وغيرها، مع تلاحقِ في الوقتِ ذاته مع تياراتِ الثقافةِ
وتجاذباتِها.

التشاؤمُ: صوتٌ دَفَعَنِي إلى التغلغلِ إلى لبِ المجتمعِ، فلمُ أستطعُ إيقافَ فهمِ
مشكلاتِ وقضايا المجتمعِ. في كثيرٍ من حالاتها ومراحلها المتعاقبةِ .

التشاؤم: جعلني أتحدّى أسسَ شرعيته، لأنه يتطلّب التزاماً لا يمكنُ تقديمه من ضمنِ الأطرِ التي تعتمدُها أساليبُ وطرقُ تبرُّرِ تسلطِ الانفلاتِ في الفهمِ وسياساته، وأعني ذلكَ الفهمَ المجتزيءُ.

حقيقةً أقولُ: **أستحقُّ هذا اللومَ وأكثرَ منه، وأتفهمُ الانتقاداتِ ضدي، ولا أ غضبُ، ولن أ غضبُ.** لأنَّ التشاؤمَ في اندفاعاته هذه وتلك لا يفعلُ أكثرَ من أخذِ التناقضِ الذي يعيشه المجتمع.

فيفهمُ ذلكَ التناقضُ، لكنَّ التشاؤمَ لا يعملُ على إعادةِ تليبِ التناقضِ للاستهلاكِ مرةً أخرى، مما يُفقدُ التناقضَ في الحقيقةِ صدقيته مع طبائعِ الأمور.

التشاؤمُ: جعلني أفهمُ واقعنا الاجتماعيَّ المزريَّ والمقموعَ من قبلِ جماعاتِ الضغطِ.

التشاؤمُ: حجةٌ ساقها كثيرون ضدي، عندما لم يجدوا أمامهم ما يهتمون به.

التشاؤمُ: عندي لغزٌ يصعبُ حلُّهُ ضمنَ الخريطةِ الثقافيةِ والمجتمعيةِ والنفسيةِ الواسعةِ في ظلِّ تشابكاته، وفي هذا الجانبِ تبرزُ أمامي لائحةٌ طويلةٌ من الأسئلةِ يمكنُ أن تمتدَ وتصبحَ الإجابةُ عليها. لكن ما يمكنُ التجرُّؤُ بهِ وقوله لكم هو أنَّ .. **التشاؤمُ** .. ، أصبحَ أكثرَ من ضرورةٍ للظروفِ التي تحيطنا ونعيشها. التشاؤمُ .. [**صور ميكانيكية**] ..، وليسَ هذا فقط، بل أراها غيرَ متصلة، ولكنها صلبةٌ في داخلي.

قليلٌ ممن انتقدني بسببِ تشاؤمي، يعاني من فقرِ الباحثِ الفكريِّ،
والفقرِ الفكريِّ لا يساعدُ على طرحِ ومعالجةِ ومناقشةِ تعقيداتِ القضايا
والمشكلاتِ.

فالتفاؤلُ: الذي يعيشهُ من انتقدني لتشاؤمي، لم يدركُ صاحبه أننا أمامَ
تميطاتٍ استشرافيةٍ، لكنّها في هذه الفترةِ تميطاتٌ ركيكةٌ للآخرِ،
فأصبحَ الخلطُ بين المفاهيمِ والثوابتِ والقيمِ، غير نقدي، وغير عقلائي، وهذا ينمُّ عن
ضعفٍ واضحٍ في فهمِ طبيعةِ الأسسِ العميقةِ التي تسيّرُ التفاؤلَ. أقولُ هذا على
رغمِ تلمّسِ بعضِ الأفكارِ المهمةِ في منظومةِ تشاؤمي، عمومًا وضمنَ أفقِ
المعارضينَ لي، وظهورِ تبايناتهمِ المختلفةِ فيما بينهمُ لأنَّ قراءتهمِ لتشاؤمي وفقَ
صورةٍ واحدةٍ، ربّما تكونُ من أهمِ النقاطِ التي أهملها المعارضونَ إذ إنهم
ركزوا على **كتاباتي وإنتاجي التشاؤمي**، ولم يطلعوا على الجانبِ التفاؤلي
داخله، وهذه نقطةٌ ضعفٍ في تركيبتهمِ الفكريةِ.

عمومًا، لا بد من الإصغاءِ الجيدِ عند تقدّمِ التغيراتِ الجوهريةِ في صورةِ
.. **(المتشائم)** .. الذي يتخيله عادةً المحايدُ، والمنصفُ، والذي يملكُ قدرةَ فهمِ
مرونةِ الصورةِ التشاؤميةِ في تحولاتها، أي التحولاتِ التي يرسمها الواقعُ
الإعلامي والثقافي. فمنَ الضرورةِ أن يشهدَ كذلكَ التحولاتِ الدراماتيكيةِ.

وهنا أسارعُ إلى القولِ أنّه من غيرِ الدقيقِ نقديًا على الإطلاقِ دَرَسُ
الظواهرِ في شخصيةِ المفكرِ أو المثقفِ، من غيرِ دَرَسِ ما يحولُ حولَ

.. (بنية) .. هذه الظاهرة، والتي من أهمها في تقديري: لماذا وصل الفكر أو المثقف

لهذه الدرجة المتقدمة من التشاؤم؟

سؤال ضخم، محير، واقعي، حقيقي، مؤلم، مهم، قاس، بيد أنه ليس ملزماً أحد

بالإجابة عليه!.



المسألة، وأعني تكوين الأجوبة على ذلك السؤال تتعلق بتفوق أخلاقي تمنحه الحقائق والوقائع للبحث في مفردات تكوين الأجوبة، والتي تحتاج لتكوينها إلى كثير من الراسخين في العلوم النفسية والاجتماعية. لهذا، ودوماً، وتكراراً أطلب وألح في طلبي من المعارضين لي بالتسلح بقيم التسامح والانفتاح لنعيد .. (الكرامة) .. كرامتها وعزها وشموخها.



وردت تلك الفجوة الكبيرة التي بينت بيني وبين خصومي والمعارضين تحتاج إلى جهودٍ وصبرٍ. لكن لم يعد **الردم** ضرورةً أكثر منه حاجةً تقليديةً، وإلحاحاً اليوم. تلك الضرورة هي حاجة ملحة لي قبل المعارضين لي. ربّما لـرغبتني أن يعتمدوا أثناء مراجعاتهم لخصومتهم ومعارضتهم لي لغة .. (التسامح) .. وأريد النوع المفرط منه، مع طرفٍ متسامحٍ وهو .. (أنا) .. فالتسامح مبدأٌ وخلقٌ وسلوكٌ يحترم حيائي. في حين أن خصومي يرفضونه لأنه لا يחדش حياءهم. ولكن تورقهم رؤيتي وأفكاري، وتهيجهم مبادئهم وقيمي. وما يعقد الأمور في تمسكي .. (بالتشاؤم) .. بل يعقدها أكثر، بعض ما ارتكب أخيراً في حقي

من سبٍّ وشتمٍ وقذفٍ في بعض وسائل التواصل الاجتماعي. كلُّ تلك الأنواع من السبابِ والشتمِ والقذفِ والقذح سقطت كالصاعقة على وجه الضمائر الحرة والحية والنظيفة والراقية.

ينتقدني - بعضهم - وهم كُثُرٌ في ما هو ترفُّ أو تفاصيلٌ واهيةٌ أو شأنٌ خاصٌ بالنسبة .. (لي) .. ، بتحريك أتربة ملوثة، لإثارة غبارٍ لطمس الرؤية، وتعكير الصفو، والمزاجات غالباً، وفي أكثر الأحيان ما نظمرها تحت مسميات .. (ثقافة النقد) ..، يفعلها خصومي بصورة متكررة، وهي تحتملُ وجهات نظرٍ. فأتجه إليهم فوراً وعبر قوة نقدي المتسم بضوابط التشاؤم، مما يغير سياساتٍ وقوانين وأفكاراً بمبادئها العليا فتطيح بما طرح وكتب ضدي من الخصوم والمعارضين.

لذا، وفي مواقف .. (العناد) ..، تشاؤمي الذي أملك منه أرصدة عالية بل ضخمة فأبني أتجه لتقديم التنازلات الثقافية التي تحترم عقلية ومتغيرات المرحلة دون أن أتجه لتقديم أي نوعٍ من التنازلات القيمية والأخلاقية والمبدئية.

لا، بل أقدم المزيد منها كل يومٍ حفاظاً على بقاء صلابة .. (شعرة معاوية) ..، وأعني التنازلات الثقافية، فلا يصح في هذا السياق إلا بادرة حسن النية التي تسكن في عقلي قبل وجداني، ومحاولة بناء جسور بيني وبين المنتقدين لي وهم كثر.

وحين لا أردُّ، ولا أعقبُ، ولا أسردُ، ولا أحلُّ، ولا أعلُّ، يثور، ويغضب، وينفعل

المنتقدون، بل في بعض الأحيان تتجه ظنون وشكوك المنتقدين أن ذلك استسلاماً لطرف أقوى مني، وهم لي، والمعارضون لأفكاري، بل يعدون ذلك إقراراً بصوابيتهم. وهذا غير صحيح، فقد أعتمد شخصياً على المبدئ التقليدي العربي الذي يردُّ به على السفهاء والجاهلين والأغبياء فأقول لهم: اقلب الصفحة يا غلام! فتجاوزي على المنتقدين بمثل هذا المبدئ المريح، أفعله بالأخلاقيات، ويطرجم على الصفحة الأخرى تفوقاً وانتصاراً، وليكن ذلك.



فالتشاؤم: الذي أملكه وبكل أرصدته ومستوياته وأشكاله ودرجاته، له مبرراته، ومخارجُه، فالأمر ما عاد إذاً مجرد تناقش بين أفكار وآراء، إنما ينبع من مبادئ وقناعات تسكن في دماغي. تُعلى .. (الحشمة) ..، في كل خطواتها، وأخرى متصالحة مع النفس والآخر. في حين أن المنتقدين لي يتعاملون مع أساليب يחדشُ حياءها العري. الكلُّ، بل الجميعُ، إن لم تكن الغالبية العظمى ممن ذكرتهم في الأسطر الأولى من هذا الجهد يطالبون مني أن أدخل .. (ساحات) ..، .. (التفاؤل) ..، وأن أقترِبَ من .. (مساحات) ..، .. (التفاؤل) ..، وأن أقترِبَ من .. (مساحات) ..، .. (الأمل) ..، ولكي أحقق لهم مرادهم، وألبي مطالبهم أتوجه إليهم بمجموعات كبيرة جداً من الأسئلة المنطقية والواقعية والحقيقية والموضوعية، والتي منها:

● **كَيْفَ تَرِيدُونِي** أَنْ أمارسَ الشعورَ بالتفاؤلِ وأنا أشاهدُ يومياً وفي كلِّ لحظةٍ، وبأمِّ عيني استباحاتِ الظلمِ، وأقرأُ الارتكاباتِ القاسيةَ في العقولِ والأفكارِ والرأي؟.

● **كيف تريدوني** أَنْ أمارسَ الشعورَ بالتفاؤلِ وأنا أتخيلُ أمامي شباباً يرمون بأنفسهم من أعالي العمايرِ والأبراجِ، انتحاراً من الحياةِ وتحدياتها وهمومها وأوجاعها؟.

● **كيف تريدوني** أَنْ أمارسَ الشعورَ بالتفاؤلِ وأنا أجدُ أمامي شباباً يختبئون خجلاً من أنفسهم، وفي أعماقهم لأنهم فقدوا الثقةَ في الحياة؟.

● وعندما سقطتُ في مساحةٍ من مساحاتِ الأملِ، كانَ الخيارُ الذي برزَ أمامي معروفاً عند أعدائي، فنصبوا لي .. (الكمان) ..، الواحدَ تلو الآخر!.

● هل تصدقون أَنَّ الأملَ سرقَ كرامتي؟.

● هل تصدقون أَنَّ الأملَ قلَّمَ أظافري؟.

● هل تصدقون أَنَّ الأملَ كسَّرَ أسناني؟.

● هل تصدقون أَنَّ الأملَ أوهنَ عظامي؟.

● هل تصدقون أَنَّ الأملَ أمرضَ جسدي بأمراضٍ جبارة؟.

● هل تصدقون أَنَّ الأملَ سرقَ حقوقي وهضمها؟.

● هل تصدقون أَنَّ الأملَ حولني إلى كتلةٍ من الظلامِ حينَ أدخلتُ السجون؟.

- هل تصدقون أنّ الأمل أدخلني كلّ السجون وظلماتها وأنواعها.
- هل تصدقون أنّ الأمل ضحّم .. (الظن).. في داخلي؟ .
- هل تصدقون أنّ الأمل جعل الموت يسكن عقلي ويخلخل ذاكرتي؟ .
- هل تصدقون أنّ الأمل قتل الأناقة والشياكة في نفسي؟.
- الأمل أفقدني أناقة روجي! .
- الأمل أضعف أسلوبى في الحياة! .
- الأمل جعلني أكره البشر والحجر!.
- الأمل جعلني مصرّاً على استدعاء إثم الظن!.
- الأمل جعلني أبحر في قوارب الموت!.
- الأمل جعل قلبي ينفجر من كتم الغيظ! .
- الأمل جعلني أضيف سطوراً لاهبة في إنتاجي قبل أن أموت واقفاً، وأمام الجميع!.
- الأمل جعل من أطلق الرصاص عليّ ينتصر معتمداً على سيفٍ وسيفِ ظالمين! .
- الأمل دفعني إلى مستشفيات الذلّ الشاسعة، فأصبحتُ أتسولُ هنا وهناك طلباً للعلاج والمعالجة، فلم أفلح! فتقوى المرضُ عليّ وطرحني أرضاً! .
- الأمل دفعني أن انحدرَ بانحدارٍ سريعٍ وهائلٍ نحوَ السكنِ بالسجونِ البغيضة!.

- الأملُ دفعني للدخولِ لمساحاتِ الظلامِ المديدةِ!.
- الأملُ دفعني إلى دخولِ مساحاتِ الوحلِ والدمِ!.
- الأملُ دفعني إلى فهمِ فضائحِ الظلمةِ والطغاةِ!.
- الأملُ دفعني إلى فهمِ الانحطاطِ والسقوطِ والتردي الذي يمارسه الظالمُ المستبدُ!.
- الأملُ دفعني إلى فهمِ الانحدارِ الأخلاقيِّ الذي يصنعه الطغاةُ!.
- الأملُ جعلني أرى بعيني كلَّ شيءٍ أسودٍ الآن!.
- الأملُ جعلني أتأكدُ من أن قوى الظلامِ مستعجلةٌ في القضاءِ على عمليةِ التنويرِ والنهوضِ بالوعي!.
- الأملُ جعلني أعيشُ بسذاجةِ أحلامٍ عرجاءٍ!.
- الأملُ جعلني أفهمُ كيفَ يُطلبُ تطويعَ المصالحِ للغاياتِ والنزعاتِ الضيقةِ في نفوسِ الصغارِ!.
- الأملُ جعلني أمجدُ الفشلَ في داخلنا إلى الأبدِ فنحنُ أمةٌ أصبحتُ تعشقُ الفشلَ دائماً!.
- الأملُ جعلني أتأكدُ، بل أكَّدُّ لي أنَّه ليس لدينا .. (فيتو) ..، على الفسادِ والمفسدين!.



الأملُ جعلني أفقدُ الأملَ في .. (البازار) .. الذي لا نعرفُ كيفَ نبدأُ،
وكيفَ ننتهي؟. في مقاومةِ الفسادِ والمفسدين؟.



الأملُ لمْ يساعدني على تكوينِ استطاعةِ امتلاكِ الأملِ الذي يساعدني
لكي يكونَ المسئولُ العربيُّ لدينا هو الذي يلتقي مع مبادئنا وأخلاقنا وثوابتنا
وقيمننا فنؤيده.



أراجعُ ما حولي بحثًا عن .. أملٍ .. أو خبرٍ مفرحٍ، فأرجعُ متخنًا بهديرِ
الانهياراتِ وبكاءِ الخرائطِ النفسيةِ والاجتماعيةِ والفكريةِ والثقافيةِ.



تُلازمني عادةٌ سيئةٌ قديمةٌ جدًّا، أتوهمُ أنَّ الأملَ قادمًا إلى لعله يفيدُ أو
يعزي في نفسي المتخمةِ بالتشاؤمِ.



الأملُ ليسَ من المقيمين في ذاكرتي.



عندما حاولتُ، ومازلتُ أحاولُ ممارسةَ الأملِ ينتابني شعورٌ غيرُ نظيفٍ.



كما أخجلُ كثيرًا بشعوري بالملِّ حينَ أمارسُ الأملَ .



الأملُ أعتبره نجماً عبرَ القرونِ.



الأملُ لا يفاجئني بخيرٍ أو سعادةٍ، وربّما لهذا السببِ أو غيره أشعرُ أنني
أمامَ عزلي من الأملِ.



تبيّن لي أنّ .. (الأمل) ..، أكبرُ أكذوبةٍ نعيشُها منذُ قرونٍ، وقرونٍ.



الأملُ اغتالته العناوينُ الكاذبةُ، والأسماءُ المزيفةُ والخادعةُ والمنافقةُ.



الأملُ أشعرُ به حينَ يستدعيني المنفى الطوعي، الذي أنتظرتهُ وأنتظرتهُ
طويلاً.



لا نبيلَ، ولا سعادةَ في الشعورِ بالأملِ.



لا رقةَ حينما أريدُ أنْ أشعرَ بالأملِ.



لقد ماتَ الأملُ قديماً، ودفنَ في مقابرِ تاريخنا القدرِ.



لقد ماتَ الأملُ في داخلي، ودفنَ في مقبرةِ عقلي ووجداني، عندما ماتَ
رجالُ عرفتُ بهم الأملَ، وعرفهم الأملَ، وقرأتُ الأملَ فيهم، وقرأتُ الأملَ في
نصوصهم وفكرهم. لقد ماتوا ودفنوا ومعهم أملهم وآمالهم.



في ذاتِ يومٍ ما حاولتُ أنْ أعيشَ الأملَ، فنظرتُ لمنْ حولي من الرجالِ

الذين يعيشون الأمل، فعلٌ في داخلي أردتُ أن أنقدهم من .. (ذلُّ الأمل).،
والعيش في مستتعاته العميقة.



الأملُ ذلٌّ، ومهانةٌ، وإذلالٌ، واحتقارٌ.



عندما أشعرُ بالأملِ، أشعرُ بالغثيانِ.



عندما تبدأ لحظةُ الشعورِ بالأملِ في داخلي، أفكرُ فوراً في الموتِ.



ذاتَ مرةٍ شعرتُ بشيءٍ من أجزاءِ الأملِ، فضحكتُ ضحكةً عاليةً تشبهُ
صهيلُ الخيلِ، فتسللتُ إلى ذاكرتي فوراً بعضُ حكايا وقصصِ الظلمِ
والطغاةِ، فبكيْتُ مثلَ الأطفالِ، فتلاشى الأملُ فوراً عني.



الأملُ عندي يقهرُ الضحكةُ في داخلي، ويسعى لقتلها.



كنتُ أمارسُ الأملَ، فجأةً من دونِ مقدماتٍ سمعتُ أذني أصواتاً تتلوى
لحنَ العنصريةِ والقبليةِ.



الأملُ لم يساعدي في رسمِ مسارِ التدرجِ في خطواتِ الإصلاحِ بسببِ ما
تعرضتُ له من أزماتٍ متلاحقةٍ قسمتُ ظهري ، وخاصةً أنه زجَّ بي لإحدى

معارك كسر العظام مع أعدائي.



الأمل أفشل مخططي ومساراتي وتوجهاتي لمقاومة ومحاربة ومتابعة ومراقبة ومحاسبة الفساد وعناصره، والدعوة للإصلاح والتتوير وقواعده في مجتمع لا يقوم على أساس من الكفاءة الأخلاقية العالية والنزاهة ونظافة الكف وعفة اللسان، والجرأة في قول الحق وتفسير الحقيقة كما هي.



الأمل لم يساعدني أن أتوجه بمشروعي التتويري لجعل مجتمعنا متطوراً، بحيث لا تتحكم فيه أي نوع من الاصطفافات، بل بالتعاون والتعاضد بين جميع أبناء الوطن.



الأمل أفقدني طموحاتي لبناء مجتمع نظيف بعيداً عن أي نوع من الحسابات الضيقة أو الملوثة؛ حتى لا يتحكم فيه مكون يهيمن فيه على كل شيء.



الأمل أفقدني الأمل والثقة أن يكون لدينا مصلحون جديون، وجدت أمامي مصلحين هزليين، يلعبون على أسلاك .. (السيرك الوطني)..، مصلحون موجودون ولكن لا نراهم، مكان أو أمكنة الإصلاح موجودة، ولكنها ليست في السيرك الوطني كما يتوهمون، مصلحون لا نراهم، ولا يروننا، فإن

أمكنة الإصلاح كثيرة، إذا لا شيء من حصول الإصلاح إذا كان متعلقاً
بمستقبلنا. أبحثوا عنه تجدون الإصلاح، بدون مُصلِحين!



الأمل جعلني أعرف أن هناك مفسدين يربطون مصيرهم بالفراغ القانوني،
و في يدهم حبالٌ وخيوطٌ للمقايضة والمفاوضة .



الأمل أفقدني الثقة في اختيار النوايا الصادقة في أصحابي وأهلي
وأصدقائي وبني قومي .



الأمل أفقدني الثقة الكاملة في اصدقائي وزملائي وأهلي وبني قومي ،
فأدخلت .. [الوفاء] ..، في الثلاجة بسبب خذلانهم لي ، أدخلته ليخمر ويئلاج إلى
حين .

الأمل جعلني غير قادرٍ على اجتيازِ حاجزٍ، بل حواجز الانقسامات العمودية
بين شرائح مجتمعي .



الأمل أكد لي أن حل المعضلة لا يزال بعيداً بين المثقف والسلطة في ظلّ
تحكّم الخوف والفرع من المثقف خاصة أن السلطة العربية أصبحت تخاف من
تفريده مكونة من (140) حرفاً .



الأمل أكّد لي مجدداً وتكراراً أنّ خيارنا غير مفتوحة على شتى
الاحتمالات.



الأمل جعلني غير متساهلٍ مع أعدائي، وجعلني لا أحترمُ أصدقائي بسبب
تخاذلهم معي.



الأمل أكّد لي أنّه لن يكون طموحي فرساً يخرقُ كلَّ أسواطِ الباقاتِ
التي خضتها وأخوضها مهما كلف الأمرُ.



الأمل جعلني أصرخُ كلَّ يومٍ، وبصوتٍ عالٍ خوفاً على وطني، فكتّم صوتي. ولكنني
فقدتُ ذلك الأمل، حين لم يقبل مني التنبيه لمغبة الحدى بموجبات الصيغة الوطنية في
شتى وظائف الوطن.



الأمل عندي لا يزال مُكبلاً بكم هائلٍ من التحولات والتوجّساتِ
المكتوبة وغير المكتوبة، والمخاوف المكتوبة وغير المكتوبة و التدخّلاتِ
المعقدة.



إنّ ما كتبته هنا عن .. (التشاؤم) ..، و.. (التفاؤل) ..، و.. (الأمل) ..، هو
جملةٌ من التأمّلاتِ العقلية المحسوسة في ذهني المستقر، كتبتُ ما كتبتُ بلغة

فلسفية عميقة في معظم جدارها، وهي لغة متماسكة منطقياً وواقعياً، دارت حول الزمن والمكان والوطن وإنسانه، والهوية. أردت من خلال هذا الجهد الفكري أن أكشف لكم كثيراً من المستور، وشرح المفضوح من أفكارنا ورؤانا. لأننا أصبحنا مثل الرعاة نبحث عن قطع، أو نركض للبحث عن .. (حمار).. يحمل أثقالنا وأخطائنا وتجاوزاتنا وثقافتنا وكذبنا وزورنا. ليذهب بها بعيداً عنا، حتى لا تُكشَفَ عوراتنا وسوءاتنا. لهذا أقول لكم: إنني أحب أن أكون إنساناً متشائماً. ولكن لن أقبل أن أكون حفاراً للقبور. كما يريد أعدائي وخصومي.



الأمَلُ فقدتُه نهائياً بعدما ظلَّ أعدائي وخصومي يُحِقونني بسوء الظنِّ، ويصرون على تلك الملاحقة والمطاردة، رغم قولي لهم وبصورة دائمة: عفا الله عني وعنكم. ولكن .. (عنادهم الشيطاني) .. يصرُّ على مواقفهم مني.



إنَّ الكتابةَ عندي تُعبِّرُ عن أيديولوجيا، ولها وظائفٌ عدَّة، وبأوجهٍ متعددة، من أجلِ فعلٍ وتكوينِ المصالحةِ بينَ الشعبِ وعقيدته. تضعفُ الكتابةُ عبرَ الثقافةِ المصنعة، التي لا تتحكَّمُ في عقلياتِ وأفهامِ وذهنياتِ الشعبِ عضويًّا فحسبُ، وإنما تشين ما يظهرُ منها كثقافةٍ، وليس كحقيقةٍ وواقعٍ ملموسٍ.



ما أكتبه هو جملة من التأملات الحقيقية والواقعية متسمة بالصدق والمصادقية

والموضوعية.



لا تفرحوا، لا تفرحوا، لا تضحكوا، لا تضحكوا، فلن، ولن، أكون حفاراً للقبور.

كما تريدون أيها الأعداء الجبناء. فلن يدخل الجنة.. إبليس.. اللعين! لا تفرحوا!



إن الإسلام الحقيقي الذي أرادَه اللهُ لنا يوجد بوضوح تام وصريح في النصوص القرآنية المجيدة الثابتة، التي لا يمكن أن يأتيها الباطل، والتي لا يمكن تغييرها، والتي أوعَدَ اللهُ بحفظها من كلِّ شيطانٍ ماردٍ. بيدَ أنَّ النصوصَ القرآنيةَ المجيدةَ يمكنُ تفسيرها، لهذا قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنَّ القرآنَ حمالٌ أوجهٌ. لهذا أستطيعُ أن أقول: إنَّ التطرّفَ والغلوَّ والتشددَ والتوحّشَ الذي عانى، ويعاني منه العالمُ اليومَ، ليسَ من الإسلامِ في شيءٍ. فلا يوجدُ إسلامٌ متطرّفٌ أو متشددٌ، لكنْ يوجدُ مسلمونَ متطرّفونَ متشدّدونَ غلاةٌ، أساءوا لأنفسهم، ولم يُسيئوا للإسلام. فالإسلامُ باقٍ وثابتٌ ومحفوظٌ، وهمُ الراحلونَ إلى صناديقِ المقابرِ.



نقد العقل العربي

قراءة مختلفة

الغرب الكافر ما نهض وتقدم وتطور وسيطر على العالم كله، واستغل مقدرات ومكتسبات الأمة العربية، إلا بعد نقد.. (العقل الغربي)..، وذلك بقوة وبموضوعية متزنة، ولم يشب ذلك.. (النقد)..، أي نوع من النفاق أو الرياء أو المجاملة أو المحاصصة، أو الكذب. أمّا نحن فمند عصر الدولة الأموية، خصوصاً منذ عصر سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، رفضنا نهائياً.. (نقد العقل العربي)..، وبأي شكل من الأشكال، بل، جدت ظروف استلزمت.. [تحریم]..،.. (نقد العقل العربي)..، وتمت معاينة ومحاسبة كثير من العلماء والفقهاء والمفكرين والفلاسفة والمثقفين الذين تجرؤا على الأوضاع، وعملوا على.. (نقد العقل العربي)..، والأمثلة كثيرة منها: ابن رشد، وعبد الله بن المقفع، وأبو العلاء المعري، وابن خلدون، فقتل كثيرهم، وحرق بعضهم، وسجن وعذب وقهر الثالث، وحرقت أعمال بعضهم. والأسباب كثيرة منها خوف الحاكم على مقعده، وخوف السلطة العربية على من يأتي لمنازعتها السلطة والحكم. وتبني أيديولوجيات الحاكم - حينذاك - على الخوف والفرع والرهبنة من نفوذ وقوة وسيطرة أصحاب العقول المفكرة من التفوق والظهور والتمركز في المجتمع، خوفاً من التأليب أو التحريض الذي يمكن أن يمارسوه. كما هو في حالة.. (نقد العقل العربي)..، فتسهم حالات النقد في

إعادة صياغة إشكاليات العقل العربيّ، فتفهمُ الحقائقُ المغيبةُ عن الإنسان العربيّ، خاصةً أنّ الحاكمَ العربيّ يعي ويدركُ أنّ الحقائقَ يصعبُ تجاوزها. كما أنّ ذلكَ الحاكمَ يعرفُ أنّ حالةَ نقدِ العقلِ العربيّ سوفَ تعملُ على استتطاقِ أجوبةٍ جديدةٍ غائبةٍ عن الرعيةِ أو المحكومينَ، والمرتبطةٍ بالحقوقِ والواجباتِ، وهذا قد يترتبُ عليه قطيعةٌ تامةٌ بينَ الحاكمِ والمحكومِ. هذا الوضعُ، وهذا الحالُ، وهذا التفكيرُ، عرّضَ الأمةَ العربيةَ للأخطاءِ القاتلةِ، مما يدلُّ على قصرِ نظرِ المسؤولينِ في أروقةِ ودهاليزِ الحكمِ. كما عرّضَ الأمةَ لحملاتٍ من الانتقاداتِ الشرسةِ سواءً من ناحيةِ التفكيرِ، وأما الأداءُ في ممارسةِ الحكمِ، وعلى عددٍ من الجبهاتِ. في مثل هذه الأحوالِ لا تُسدَى نصائحُ خاطئةٌ تمثلتُ في القفزِ فوقَ الأحداثِ. وظهرتُ سياسةُ العمودينِ في قراراتٍ وممارساتِ الحكمِ العربيّ. **واللافتُ للنظرِ أنّ عقلَ الحاكمِ العربيّ يفعلُ فعلَ الاستكبارِ والاستعلاءِ على شعبه. وبهذا يؤكدُ أنّ تجاربنا العربيةَ لا تنضجُ إلا بقسوته وجبروته.**



لهذا فإنّ.. (العقل العربيّ) ..، مازالَ فاقدَ الفعاليةِ والتواجدِ والتأثيرِ والنفوذِ والسيطرةِ. وعدمُ ممارسةِ.. (نقدِ العقلِ العربيّ) ..، يؤدي إلى انفلاقِ ثقافتنا العربيةِ والإسلاميةِ على.. [مفاهيمٌ مغلقةٌ] ..، لا تساعدُ على توفيرِ شروطِ النهضةِ التي أشارَ إليها المفكرُ الجزائريُّ العظيمُ مالكُ بنِ نبي، رحمهُ الله.



وعدم السماح.. (**بنقد العقل العربي**)..، فَتَحَ جرحاً عميقاً ولاشك، لا أظنُّه
يندملُ، وتركنا وحتى يومنا هذا نكابِدُ أرواحاً شريرةً، لا تتفكُّ تذكرُنا
، كلِّما تعلقنا بأن.. (**العقل العربي**)..، يعيشُ أزمةً ، ولم يفهم الحقائقَ
السياسيةَ كما ينبغي . وهذا من قِصرِ النظرِ. والذين منَعوا وحاربوا.. (**نقده**)..،
يتلذذون بشهواتهم في كَبَتِ الأملِ، بل إنَّهم يتفننون في انتزاعِ حُسنِ ظنِّنا
بربِّنا، يفعلون كلَّ ذلكَ باسمِ الإسلامِ، الذي هو من غيِّ أهوائهم براءً.



لقد توقَّفَ إنتاجُ.. (**العقل العربي**)..، منذُ حادثةِ تحكيمِ القرآنِ المجيدِ، في
الخلافةِ الشهيرِ بينَ سيدنا عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وسيدنا معاويةَ بنِ أبي سفيانَ
رضي الله عنهما، إنَّ قدرةَ العقلِ العربيِّ على عمَلِ إنتاجاتٍ فكريةٍ حقيقيةٍ من
داخلِ الحدودِ والقيودِ ، هي أحدُ عراقيلِ.. (**النقد**)..، ليسَ فقطُ مجرد
.. (**تعبير**)..، عن فكرةٍ عقليةٍ، تتَّجِهُ نحوَ النقدِ ذاته، بل حتَّى عمليةٍ إدماجيةٍ
في التفكيرِ بشأنِ شئٍ ما. لأنَّ من مزايا نقدِ العقلِ أنَّه يقودُ إلى صناعةٍ لوجودِ
عقلٍ، ولحدثٍ ما ذي سمةٍ عقليةٍ.



إنَّ.. (**نقد العقل العربي**)..، يُفصِحُ عن رؤيةٍ عصريةٍ للعقلِ ذاته، بوصفه
معرفةً وكشفاً جديداً عن حقيقةٍ جديدةٍ. بعقدِ التماثلاتِ والمقارناتِ بينَ
الأشياءِ والأحداثِ والمواقفِ عن طريقِ هذه التماثلاتِ، وفهمِ منطقتها الخاصِّ،
فيظهرُ مع ذلكَ التفاعلِ حدثٌ جاهزٌ للتفكيرِ. وفيما يؤديُّ إليه ذلكَ الحدثُ أو

الموقف. لأنه يساعدُ على تشكيلِ هويةٍ عقليةٍ، لا تُضحيّ بالعناصرِ الثقافيةِ المجتمعيةِ خاصةً قبلَ وقوعِ الأحداثِ المجنونةِ في تاريخنا العربيِّ مثلَ : حادثةِ تحكيمِ القرآنِ المجيدِ، ومعركةِ صفينَ، ومقتلِ سيدنا عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام، ثم مقتلِ ابنه سيدنا الحسنِ والحسينِ بنِ عليٍّ رضي اللهُ عنهما. فلو..(نُقد)..، العقلُ العربيُّ الذي كانَ وراءَ تلكَ الأحداثِ، لربَّما قادَ سبيلَ إبتكارِ حالِ توحيدٍ..(ثقافي)..، يوفرُ لتلكَ الأحداثِ وجماعاتها الفرعيةِ سببَ النجاةِ والخروجِ منَ ذلكَ المأزقِ الدينيِّ والتاريخيِّ والثقافيِّ والسياسيِّ. ولربَّما أوجدَ، أو ساعدَ على إيجادِ نقاطِ التقاءٍ تسمحُ بتفاعلٍ بيئيٍّ أقلَّ ضجيجاً. بعدها، ومباشرةً تأدلجتُ الأحداثُ والمواقفُ والأقوالُ والأفعالُ، وحتى النتائجُ فقلبتُ الحقائقُ، إذًا، وأصبحتُ جزءاً منَ معنى أن يكونَ الحدثُ سياسياً أكثرَ منه دينياً. مثالُ ذلكَ ما حدثَ في التلاعبِ بالحديثِ النبويِّ: ((ستقتلك الفئةُ الباغيةُ))، حيثُ روى البخاريُّ (447)، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ : كُنَّا نَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً وَعَمَّارٌ لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ فَرَأَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فَيَنْفِضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ : ((وَيَحَ عَمَّارُ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ))، وهذا الحديثُ الشريفُ قاله سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم لسيدنا عمارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه. فعندما قُتِلَ سيدنا عمارٌ في معركةِ صفينَ ، وكانَ معَ فريقِ سيدنا عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وأهلِ العراقِ ، قالتُ جماعةُ سيدنا معاويةَ بنِ أبي سفيانٍ رضي الله عنه في تفسيرها لمعنى..((الفئةُ الباغيةُ))..، هي التي أخرجتُ سيدنا عمارَ رضي الله عنه

للقتال، إذ نلاحظُ التلاعبَ في فلسفةِ التفسيرِ والتأويلِ لهذا الحديثِ. لقد أسهمَ هذا التفسيرُ للحديثِ النبويِّ في تأكيدِ الآخرِ أنَّه المتسبَّبُ في القتلِ، وهذا كله غيرُ صحيحٍ. لأنَّ الفئةَ الباغيةَ هي التي قتلتُ سيدنا عمارَ بن ياسرٍ رضي الله عنه، حينَ دبَّروا وخطَّطوا وتأمروا على قتلِ سيدنا عليٍّ، فكانَ القاتِلُ منهم. وهذه الحادثةُ التاريخيةُ الأليمةُ أنتجتُ للأمةِ حالا وتفكيراً سلطوياً جديداً يهدفُ إلقاءَ التُّهمِ على الخصومِ . فتشكَّلَ كثيرٌ من أدواتِ [..] **الجماعاتِ الضاغطة** [..]. التي شكَّلتُ تأثيراتٍ مهمةً على الرأي العامِ . هذه الجماعاتُ الضاغطةُ التي عمَّلتُ على الإزاحةِ الفكريةِ للأحداثِ العربيةِ حتَّى ضَمِنَتْ نجاحَ مشروعها السلطويِّ الساعي للجلوسِ على [..] **مقعدِ السلطان** [..]، ومع ظهورِ هذه الجماعاتِ الضاغطةِ تعطلَّ [..] **(مشروع التنوير)** [..]. الذي وضعَ أسسه سيدنا عليٌّ رضي الله عنه . والمؤسفُ أنَّ كثيراً من المثقفينَ عملوا بطريقةٍ أو بأخرى لتعطيلِ المشروعِ التنويريِّ لسيدنا عليٍّ رضي الله عنه، بل عاشتِ الأمةُ أحوالاً من التبرمِ و الضجرِ والنفورِ لدى مفكريِّ ومنظريِّ الأمةِ العربيةِ، وما زالوا يعانونَ منه حتَّى يومنا هذا.

هذه الصورةُ التفسيريةُ الإختزاليةُ واحديةُ البُعدِ، التي تعزَّزتُ في ما بعدُ عبرَ خطاباتِ تياراتِ الإسلامِ السياسيِّ والحركاتِ التابعةِ لها أيديولوجياً، ودخلتُ في صميمِ أحداثنا المجنونةِ التي تقعُ أمامَ أعيننا، ويبدو لي أنَّ أخذها في الحسبانِ يوفرُّ لنا الجهودَ الكبيرةَ خاصةً أنَّها فرصةٌ أفضلُ للإفصاحِ عن

مكوناتها القديمة والمتراكمة. وأن نعمل على توظيف مفهوم الحدث التاريخي لطبائعه ووقائعه الحقيقية. عندها يمكن أن نتفهم كيف يمكن تسخير **العقل العربي**..، عند نقده أن يأخذ موادّه الأولى من النصّ غير المؤلّ والواقع على الأرض، ولكن لأجل أن تبدع حقائق الحدث والنصّ الخاصة التي لا تخضع لفلسفة التأويل.

وهنا أزيد بوجهة نظر ووجهة فكرة المفكر السوري الكبير جورج طرابيشي، والذي سمى كتابه باسمها.. **إسلام القرآن، وإسلام الحديث**..، ففي تلك الأحداث السابقة والتي عملت على تفكيك عقلها، تقدّم الأخذ بتفسير الحديث النبوي **..[ستقتلك الفئة الباغية]**..، حسب مزاج وأهواء أصحاب المنافع والنزعات الضيقة. ففي هذا الموقف غير العقلاني، يمكن أن نتفهم كيف يمكن للعقل العربي أن يأخذ موادّه الأولى من **..(التفسير المؤلج)**..، والذي خدّم ويخدم فرقة بعينها. ولكن لأجل أن تبدع حقيقتها الخاصة التي لا تخضع لشروط **..(العقل الرزين والحكيم)**..، إن أهمل سياقات نصّ الحديث النبوي مدار التناول أو على الجانب الآخر، تمّ إستخدام تلك السياقات بصورة إختزالية على شكل مقدمات لا بدّ منها، خدمت بصورة مباشرة قتلة سيدنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان القاتل عبد الرحمن بن ملجم، واحداً من تلك الفرقة القاتلة. وهذا **..(التأويل)**.. أو **..(التفسير المؤلج)**..، سياسياً قاد إلى ما يمكن تسميته **..(بالحبسة التأويلية)**..، التي تحرم أو حرمت النصّ من

التعبير عن خصوصية العقل، الذي شكّل ثقافة وفلسفة التأويل وهذا مأزق كبير وقع فيه العقل العربي. فالضعف هنا ليس في.. (النص) ...، العقلي، ولكن الضعف في.. (كفاءة التأويل) ..، في تلك المرحلة الهائجة بفعل القتل والاقتيال، برزت هذه الحالة من الضعف والإضعاف العقلي في مرحلة نقدية غلبت عليها أدوات قراءة بعضها حول مصالح الحكم، والركض وراء.. ((شهوة السلطة))...، والجلوس على.. (مقعد خلافة المسلمين) ...، واليوم تقع الأمة العربية في نفس ذلك المأزق التاريخي، فيما يشبه احتفالية.. (إشباع الشهوات) ...، وهذا يؤكد أيديولوجيات القاعدة وداعش، وكل جماعات الحركات الجهادية المختلفة، والجماعات التكفيرية، والتي عملت على عزل النص القرآني، والنص النبوي تمامًا عن مثيراته. ويقع كل هذا وغيره نتيجة عدم.. (نقد العقل العربي) ...، حتى القرآن المجيد لم يسلم من تشوهات وتعديات وتجاوزات العقل العربي، حين اتجه العقل إلى ممارسة التفسير. ونسى أولئك المفسرون المتطرفون والمتشددون، أن القرآن المجيد نزل كاملاً متكاملًا وشاملاً، وظهر العيب والتعدي من نقص العقول التي فسرت آياته ونصوصه. إن تفسير القرآن المجيد في حاجة ماسة ومهمة للغاية إلى آليات وأدوات.. ((وعى جديدة)) ..، تخدم تفاسيره عبر خصوصية منجزة.

أعتد، أعتد، أعتد، أعتد، وقد أكون مخطئًا، أنني وجدت أن قليلًا من كبار العلماء والفقهاء لم يفهموا ولم يستوعبوا القرآن المجيد كفهم

الصحابة الأجلاء، فقد وردَ في الأثرِ أن سيدنا عمرَ بن الخطابِ ؓ كان يقولُ في كثيرٍ من المواقفِ والأحداثِ عندما يسمعُ آيةً من القرآنِ الكريمِ تُتلى (واللهِ كَأَنِّي أُولَ مَرَّةٍ أَسْمَعُهَا) ، وفي مرّاتٍ عدّةٍ كان يتفقّدُ أحوالَ وأوضاعَ الرعيّةِ فيسمعُ مَنْ يقرأُ القرآنَ المجيدَ فينصرعُ ويغمى عليه من شدّةِ الخوفِ والخشوعِ، وفي مرّاتٍ يسمعُ ؓ آياتٍ كريمةً فيبكي من شدّةِ الخوفِ، وفي أحيانٍ كثيرةٍ كان يستعينُ ببعضِ الصحابةِ الأجلاءِ لتفسيرِ بعضِ الآياتِ، مثلَ استعانتهِ بسيدنا عليّ بن أبي طالبٍ ؓ. وسيدنا عمرُ بن الخطابِ ؓ هو الصحابيُّ الجليلُ الوحيدُ الذي نزلَ القرآنُ الكريمُ مؤيداً لرأيه في كثيرٍ من المواضعِ بالقرآنِ، مثلَ آيةِ (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) البقرة ، والآيةِ (152). (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، (النور/31) .

اليومَ أراقبُ وأتابعُ وأشاهدُ وبقصدٍ وبمتابعةٍ دقيقةٍ وحريصةٍ على الفهمِ بعضَ حلقاتٍ ودروسٍ ومحاضراتٍ بعضِ العلماءِ والفقهاءِ والدعاةِ ، لم أرَ منهمُ إلا القليلَ والقليلَ من يبكي اثناءَ تفسيرِ وقراءةِ القرآنِ المجيدِ. فيما عدا فضيلةِ

الشيخ صالح المغامسي حمّاه الله، فأنا أحبّ هذا العالمَ الجليلَ وهو يؤثّرُ فيّ وأستفيدُ من كلِّ كلمةٍ يقولُها، . وكذلك فضيلةُ الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - .

اليومَ نحنُ في حاجةٍ ماسةٍ وملحّةٍ وضروريةٍ لفهمِ القرآنِ وفهمِ نصوصهِ وفهمِ قصصهِ بتأمّلٍ شديدٍ الورعِ والزهدِ والتخلّي عن بهارجِ الدنّيا وزخارفِها والتجلّي لله جلّتْ عظمتُهُ و التحلّي بقيمٍ وأخلاقِ الصحابةِ الأجلّاءِ رضوانُ الله عليهم. إنّها مرحلةُ الفهمِ والاستيعابِ وليسَ فقطُ القراءةَ وجمالَ الأصواتِ والتنافسِ من أجلِ الظهورِ الإعلاميِّ. اللهمّ نورَ بصائرنا وبصيرتنا.

أرغبُ في إضافةٍ معلومةٍ ربّما تكونُ مهمةً لبعضنا، وهي أنّهُ ذاتَ مرّةٍ دخلتُ في حوارٍ معَ شخصٍ يزعمُ أنّه من الدّعاةِ وهو غيرُ ذلك، فهو من حفظةِ كتابِ الله، كانَ موضوعُ الحوارِ بيننا هو (**طاعةُ أولي الأمرِ**)، وهو من دُعاةِ الخروجِ على أولي الأمرِ، قُلْتُ له إنّ طاعةَ أولي الأمرِ عندي هي (**عبادةُ**)، عملاً بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) النساء (59)، لأنّ الآيةَ الكريمةَ تدعونا لتسلسلِ في الطاعةِ،

فجاءت طاعةُ أولي الأمرِ في المرتبةِ الثالثةِ.

أولاً : طاعةُ الله بحسنِ عبادتهِ والامتثالِ لأوامرهِ ونواهيهِ تأتي بعدها عبادةُ طاعةِ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. والطاعةُ أهمُّ مقوماتِ وأسسِ العبادةِ، فطاعةُ الله جلّتْ قداستهُ بطاعتهِ في كلِّ شيءٍ بحياتنا .

ثانياً: عبادةُ طاعةِ سيدنا محمدٍ ﷺ. بطاعتهِ وعدمِ مخالفةِ سنتِهِ .

ثالثاً: طاعة أولي الأمر، فهي عبادة، تمثيلاً مع مبادئ وقيم العقيدة الإسلامية

كتاباً وسنةً .

واستمرَّ الحِوَارُ بَيْنَنَا طَوِيلًا ، فَقَالَ لِي قَبْلَ أَنْ أَقْفَلَ مَعَهُ الحِوَارَ لَعَدَمَ قَنَاعَتِي بِفِكْرِهِ ، قَالَ لِي عِبَارَةً فِيهَا غُرُورُ الجُهَلَاءِ وَغَطْرَسَةُ الذِّينَ يَظُنُونَ أَنَّهُمْ مَالِكونَ الحَقِيقَةِ الكَامِلَةِ ، قَالَ : إِنَّهُ حَفِظَ القُرْآنَ كَامِلًا مَعَ تَجْوِيدِهِ بِإِتْقَانٍ ، وَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنِّي ، . قُلْتُ لَهُ وَبِهَدْوِي ، كَلَامُكَ صَحِيحٌ فِي حِفْظِكَ القُرْآنَ كَامِلًا ، فَهَذَا يَعْني عِنْدِي أَنَّهُ زَادَتْ نُسْخُ القُرْآنِ ، وَفِي المِقَابِلِ (قَلَّ الفَاهِمُونَ) ، لِتَفْسِيرِ القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَتَفْسِيرِهِ وَفَهْمِهِ كَمَا يَنْبَغِي ، . وَقُلْتُ لَهُ : كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَحْفَظُوا القُرْآنَ الكَرِيمَ ، وَهَذَا لَمْ يَقِلُّ مِنْ قِيَمَتِهِمْ أَوْ مَكَانَتِهِمْ فِي نَفُوسِنَا وَدَوَاخِلِنَا وَلَكِنَّهُمْ رَضُوا اللّٰهَ عَلَيْهِمْ فَهَمُّوا وَفَسَّرُوا القُرْآنَ أَفْضَلَ وَأَرْقى فَهَمِّ وَتَفْسِيرٍ وَبِكَثِيرٍ مِنَ المَقاصِدِ وَالمَخارجِ الإِيجابِيَةِ . وَلَكِنَّا كَأُمَّةٍ مُسَلِمَةٍ تَعَلَّمْنَا مِنْ أَوْلئِكَ الصَّحَابَةِ الأَجَلَاءِ كُلِّ ما نَريدُهُ مِنَ عَقِيدَتِنَا الإِسْلامِيَةِ كِتابًا وَسُنَّةً ، . اليَوْمَ نَحْتَاجُ إِلى مَنْ يَساعِدُنَا وَيَساعِدُ أبنائَنَا عَلِي فَهَمِّ القُرْآنِ المَجِيدِ ، اللّٰهُمَّ احْفَظْنَا كَمَا وَعَدْتَ بِحِفْظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ حِينَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الحَقُّ : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ، الحِجْر ، الآيَةُ (9) .



فَعِنْدِما لَمْ يُسْمَحْ بِنَقْدِ العَقْلِ العَرَبِيِّ أَصْبَحَتْ الأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ تَعانِي الوِيلاتِ ، وَالأَزْماةِ وَالمَشْكَلاتِ الَّتِي تُولَدُ لَهَا أَزْماةٌ أَكْبَرُ وَأَعْنَفُ وَأَشْرَسُ . تَعيشُ الأُمَّةُ الشَّكْلَ السَّطْحِيَّ لِلْعَقْلِ العَرَبِيِّ ، الخالِي مِنْ كُلِّ أَدواتِ وَأَساليبِ

الأنضباط المنهجي للممارسة النقدية لهذا العقل، فوصلَ حالنا إلى ما وصلَ إليه من تشرذمٍ وتشرّدٍ وتدميرٍ وتكسيرٍ وقتلٍ وسحلٍ وإغتصابٍ للشريفات الحرائر. هذه المغالاة العقلية المظلمة كان سببها الحقيقي انعزال وانغلاق.. (العقل العربي)..، عن العالم، وعدم قابليته للنقد والحوار والنقاش والمجادلة. فلم يعد العقل العربي قادراً على حسن استقبال الآخر من الفكر العربي، وقبول نظرياته التي أدت إلى عدم استبعاد العقول، وعدم إتاحة الفرصة لتفكيك نصوصنا التراثية، فتمّ للعقل العربي استبعاد الفاعل، وإخفاء المفعول، مع قهر الحقائق، كل ذلك حصل بقصدٍ - وسوء نيةٍ -، بعدها عاشت، وما زالت الأمة العربية تعيش حالة ترقبٍ عصيبة، ثمكّن أعداءها من إنهاء أزماتهم، والانطلاق نحو عصور النهضة والتتوير، فاتجهنا كعربٍ إلى إهدار تاريخنا، وعملنا بأنفسنا وإرادتنا إلى إلغاء أي دور إيجابي لخدمة البشرية وعلومها وفنونها. وهذا بسبب أننا أوقفنا، ومنعنا.. (نقد العقل العربي)..، وحتى عندما تمت قراءته في مرحلة ما غابت الممارسة في القراءة الجادة الدقيقة للنص القرآني، ونصوص الأحاديث النبوية العظيمة. لم تُتَح الفرصة، بل الفرصُ للسماح لأهل الفكر والثقافة والفلسفة إلى أن يعملوا إلى قراءة دقيقة.. (النص العربي)..، بفهم عميق، لاستيعاب مكونات ومكونات ما وراء تلك النصوص الرشيدة. علينا أن نقرأ تلك النصوص وكلماتها الراقية المجيدة، لفهم ارتباطاتها العميقة بالحدث والحادثة والمتربات التي دفعت لاتخاذ القرارات

وعملِ الإختباراتِ الواقعيةِ - حينذاك - لترسيخ ما هو موجودٌ في تاريخِ الحدثِ والحادثةِ، والتي يُفترضُ أنْ يشكّلَ.. (العقلُ العربيُّ)..، الرؤيةَ للمتربّياتِ المستقبليةِ، بعيداً عن الأمزجةِ والأهواءِ المسبقةِ المفروضةِ على الذاتِ التي لم تُشبعْ شهواتِها. تلكَ.. [الشهوةُ]..، الغرائزيةُ تخلُقُ التماهيَ بينَ الفاعلِ والمفعولِ بهِ، منْ هنا يستطيعُ العقلُ تحديدَ الاستعارةِ المكانيةِ والزمانيةِ، والتي قدْ تعملُ على فقدانِ الذاكرةِ . فتجسّدُ تشابهَ الملامحِ لتشكيلِ.. [ذاكرةٍ].. عنِ الحدثِ والحادثةِ. هذه الذاكرةُ كانَ يُمكنُ لها أنْ تعملَ على.. (نقدِ العقلِ العربيِّ)..، لمصلحةِ عناصرِ الحدثِ لمكانهِ وزمانهِ وشخصيهِ. ولكنْ لمْ نفعلْ ذلكَ .



في بداياتِ.. (فوضى العقلِ العربيِّ)..، ومنذُ حادثةِ تحكيمِ القرآنِ المجيدِ، وجدَ.. (العقلُ العربيُّ)..، بداياتِ حقيقيةً.. (لمقاومةِ ناعمةٍ)..، له ولكلِّ نصوصهِ المختلفةِ. لأنّ مانعَ نقدِ العقلِ العربيِّ - حينذاك - كانَ يُدركُ قيمةَ وأهميةَ ومكانةَ وجُودِ كثيرٍ منَ الصحابةِ الأجلّاءِ العظماءِ، الذينَ اعتزلوا كافةَ أشكالِ الفتنِ التي اشتعلتْ في تلكَ الأزمنةِ. ففي تلكَ المرحلةِ العصيبةِ ظهرتِ الأسئلةُ المتقدمةُ . ممّا قادَ إلى تأجيجِ الذاكرةِ ، وبسببِ الانفعالاتِ والارتباكاتِ لمْ نستطعْ صناعةَ عناوينَ لتلكَ المرحلةِ وأحداثها المجنونةِ .



فعندما تقدّمتْ وسيطرتْ وتقوّتْ.. (الأنثى)..، العاشقةُ لشهوةِ السلطةِ، لمْ يعدْ هناكَ مجالٌ يعيدُ تحليلَ دلالةِ.. (النصُّ النبويُّ الشريفِ)..، وأعني بهِ نصُّ

حديث.. (تفتك الفئة الباغية)..، فتم إقصاء وإلغاء التنوع الإيقاعي للعقل العربي، فغاب نهائياً نقد العقل العربي في تلك المرحلة المهمة من تاريخنا العربي والإسلامي العظيم. وتغيّب، وإقصاء، ومنع، وتحريم، وتجريم، ومحاربة،.. (نقد العقل العربي)..، اليوم، جعل تلك التيارات المختلفة وأعني تيارات الإسلام السياسي، وما يتبعها من.. (جماعات الضغط)..، فتح جرحاً عميقاً ولاشك، في حالاتنا وتحولاتنا وأحوالنا وأوضاعنا، فاتجهت تلك التيارات الحاقدة والمانعة لكل إبداع وتطور للتفتيش في عناصرها عن أحق، أو متعالم، أو متشنج أو منفعل، ليلاحق المفكرين والمتقنين والكتّاب، ليعمل على.. (تفتيش القلوب)..و.. (محاسبة النوايا)..، للقيام بتكفير هذا، وزندقة ذلك، **وعلمنة الثالث، وإخراج الرابع من الملة**، يفعل ذلك بكل صفاقة وحماسة وعناد وتكبر، بل وفجور فاجر في الخصومة. ورأى أصحاب.. (النيات السيئة)..، أن هذه الأعمال، وتلك السلوكيات، والكتابات والأفعال المتوحشة هي القادرة على منع وإيقاف.. (نقد العقل العربي)..، فأملت جماعات الضغط أن يُعمم ((التشويش))..، على كل محاولة أو شبه محاولة لنقد العقل العربي، فعلوا ذلك بحسابات دقيقة وأخرى، ولكنها غير مرئية. استطاعوا فعل كل ذلك لما يملكون من أدوات وآليات ووسائل وإمكانات ضغط.



العقل العربي له صفحات سوداء من تاريخنا العربي والإسلامي في جوانب ممارسة

الحكم وأصوله مليئة بالخزي والعار والفشل والعنف والتوحش ، الذي لم يُمارَس مثله في تاريخ الأمم والشعوب ، فهذا العقل العربي المسلم هو مَنْ قَتَلَ سيدنا عمر بن الخطاب ؓ الخليفة الراشد الثاني ، والمبشِّرُ بالجنة ، قُتِلَ وهو في المسجد . وهذا العقل نفسه قَتَلَ سيدنا الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ؓ . وبأيدي عرب مسلمين ثائرين وبغيرِ حقٍ . ثم قَتَلَ سيدنا الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب ؓ . وبأيدي عرب مسلمين . **أهذا عقلُ راشدٍ رشيدٍ يُقتل ثلاثة من خلفائه الراشدين المهديين المبشرين بالجنة ؟! ومن أجلِ ماذا؟. إنه اجتماع شهوة السلطة والجلوس على مقعد السلطان ؟!** ثم قَتَلَ سيدنا الحسين سبطُ رسولِ الله الخليفة الخامس ، وقُطِعَت رأسُه وبأيدي عرب مسلمين حاقدين وضالين . وقَتَلَ سيدنا الحسن بن علي ؓ سبطُ الرسولِ مسموماً مغدوراً . وبأيدي عرب مسلمين !. وقَتَلَ صحابيَّانِ من المبشرين بالجنة هما طلحة بن الزبير و الزبير بن العوام ؓ بأيدي مسلمين! في معركةٍ كان طرفاها سيدنا علي بن أبي طالب ؓ والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (**موقعة الجمل**) ، وقَتَلَ مسلمون بأيدي مسلمين في معركةٍ كان طرفاها سيدنا علي ؓ ، وسيدنا معاوية بن أبي سفيان ؓ في (**موقعة صفين**) ، وقَتَلَ مسلمون بأيدي مسلمين في معركةٍ كان طرفاها سيدنا علي بن أبي طالب ؓ ، وأتباعه في موقعة نهرِوان ، وقَتَلَ مسلمون بأيدي مسلمين في معركةٍ كان طرفاها سيدنا الحسين بن علي ؓ ، ويزيد بن معاوية . ما هذه الدماءُ البريئةُ التي أسأَلها العقلُ العربيُّ ، **من أجلِ**

السلطة والجلوس على مقعدها؟ وذبح حوالي ثلاث وسبعون من عائلة ونسب سيدنا محمد ﷺ بأيدي مسلمين في معركة إخماد ثورة (أهل المدينة)، على حكم الأمويين غضباً لمقتل سيدنا الحسين بن علي ﷺ. وقتل حوالي سبعمائة من المهاجرين والأنصار بيد اثني عشر ألفاً من قوات الجيش الأموي المسلم في (معركة الحرة) ، الشهيرة التي قاد جيش الأمويين فيها مسلم بن عقبة الذي جاءه صديقه الصحابي الجليل معقل بن سنان الأشجعي، والذي شهد فتح مكة المكرمة مع سيدنا محمد ﷺ، وروى أحاديثاً كثيرة، وكان فاضلاً تقياً راشداً ، فأسمعه كلاماً غليظاً في يزيد بن معاوية بعدما قتل سيدنا الحسين بن علي ﷺ فغضب منه وقتله.

كما أنه لم يتجرأ المجرم الكافر المشرك أبو لهب و أبو جهل على ضرب [الكعبة] بالمنجنيق، وهدم أجزاء منها ، لكن فعلها القائد العربي المسلم الحصين بن نمير قائد جيش الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أثناء حصاره لمكة المكرمة، وكذلك قام الفاسد الفاسق الحجاج بن يوسف الثقفي قائد جيش عبد الملك بن مروان ، بقتل المسلم الجليل الخليفة الإسلامي سيدنا عبد الله بن الزبير ﷺ وصلب جسده ثلاثة أيام أمام الكعبة المعظمة، وضرب الكعبة بالمنجنيق وجوع وأفزع وأخاف أهل مكة المكرمة وقتلهم . أفعال وممارسات لم يستطع أبرهة المجرم أن يفعلها بمكة المكرمة وأهلها . كما أنه لم يتجرأ اليهود أو الكفار والمنافقين على الإساءة لمسجد رسول الله يوماً ، لكن فعلها قائد جيش المسلمين الفاسد يزيد بن معاوية عندما حوّل المسجد

النبويّ الشريفَ لثلاثِ ليالٍ إلى إسْطبلٍ تبولُ فيه الخيولُ. أيةُ لعنةٍ تاريخيةٍ هذه التي فعلها يزيدُ بن معاويةَ. وأيِّ عقلٍ عربيٍّ حَفِظَ وَفَهَمَ القرآنَ الكريمَ وقرأَ السنةَ النبويةَ الشريفةَ.

وفي خلافةِ هشامِ بن عبد الملكِ الخليفةِ الأمويِّ لم يُقتلْ زيدُ بن زين العابدينَ بن الحسينِ من نَسْلِ النبيِّ فحسبُ بلْ صَلَبُوهُ عارياً على بابِ دمشقَ لمدةِ أربعِ سنواتٍ ثمَّ أحرقوه! **أيِّ عقلٍ عربيٍّ مجرمٍ يفعلُ كلَّ هذا الإجرامِ؟!.**

ويذكرُ التاريخُ العربيُّ والإسلاميُّ أنَّ معاويةَ بن يزيدَ ثالثَ خلفاءِ بني أميةَ لما حضرتهُ الوفاةُ وكانَ خليفةً صالحاً على عكسِ أبيه، قالوا له : اعهَدْ إلى مَنْ رَأَيْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ؟. فقالَ : وَاللَّهِ مَا ذُقْتُ حَلَاوَةَ خِلاَفَتِكُمْ فَكَيْفَ أَتَقَلَّدُ وَزَرَهَا !. اللهمَّ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْهَا مَتَخَلٌّ عَنْهَا!. فلما سمعتُ أمهَ 'زوجةُ يزيدَ بن معاويةَ الذي قَتَلَ الحَسينَ' كَلِمَاتِهِ ، قالتُ : لِيَتَنِي كُنْتُ يَوْمَهَا خَرِقَةً حَيْضٍ ، وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْكَ هَذَا الْكَلَامَ. ومما يذكُرُ أنَّ بعضَ الرواياتِ العربيةِ تقولُ إنَّ عائلتهُ همُ مَنْ دَسُّوا له السُّمَّ ليموتَ لرفضهِ قتالِ المسلمينَ ، بعد أنْ تَقَلَّدَ الخِلافةَ لثلاثةِ أَشْهُرٍ فَقَطْ ، وكانَ عمرُه اثني عشرينَ سنةً ، ثمَّ صَلَّى عليه الوليدُ بن عتبةَ بن أبي سفيانَ وكانوا قد اختاروه خليفةً لهم ، لكنَّهُ طُعِنَ بعدَ التكبيرةِ الثانيةِ . وسَقَطَ ميتاً قَبْلَ اِتِّمَامِ صَلَاةِ الجَنَازَةِ . فقدموا عثمانَ بن عتبةَ بن أبي سفيانَ ليكونَ الخليفةَ ، فقالوا : نَبَايِعُكَ ؟ قالَ : على أنْ لا أَحَارِبَ ولا أَبَاشِرَ قتالاً ، فرفضوا فسارَ إلى مكةِ المَكْرَمَةِ وانضمَّ إلى عبدِ الله بن الزبيرِ رضي الله عنه وقتلوه . **أهذه أعمالُ عقلٍ رشيدٍ يخافُ اللهَ في الرعيةِ!.**

وكذلك قُتِلَ أميرُ المؤمنينَ مروانُ بنَ الحَكَمِ بيدِ عربِ مسلمينَ ،
وكذلك قُتِلَ أميرُ المؤمنينَ سيدنا عمرُ بنَ عبدِ العزيزِ ﷺ (خامسُ الخلفاءِ
الراشدينَ) ، مسموماً بيدِ عربِ مسلمينَ . وكذلك قُتِلَ أميرُ المؤمنينَ الوليدُ بنُ
يزيدَ بيدِ مسلمينَ . وكذلك قُتِلَ أميرُ المؤمنينَ إبراهيمُ بنُ الوليدِ بيدِ بعضِ
المسلمينَ . وكذلك قُتِلَ آخرُ الخلفاءِ الأمويينَ . بيدِ القائدِ المسلمِ الجبارِ أبو
مسلمِ الخراسانيِّ ، وقامَ أبو العباسِ السفاحُ الخليفةُ العباسيُّ الأولُ بقتلِ كلِّ
مَنْ تَبَقَّى مِنْ نَسْلِ بني أميةَ مِنْ أولادِ الخلفاءِ ، فلمْ يَتَبَقَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ
رضيعاً أو استطاعَ الهروبَ إلى الأندلسِ . ثمَّ أعطى أوامرهَ لجنودهَ بنَبْشِ قبورِ
بني أميةَ في دمشقَ ، فنبشَ قبرَ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ فلمْ يَجِدُوا فِيهِ إِلَّا خيطاً ،
ونَبشَ قبرَ يزيدَ بنِ معاويةَ ، فوجدوا فيه حطاماً كالرمادِ ، ونَبشَ قبرَ عبدِ الملكِ
بنِ مروانَ ، فوجدَه لمْ يَتَلَفْ مِنْهُ إِلَّا أرنبةُ أنفهَ ، فضربهَ بالسياطِ وصلَّبه .
وحرقهَ وذراهَ في الريحِ . بعدَ ذكْرٍ بعضِ هذهِ الأحداثِ المتوحشةِ والإجراميةِ
والعنيفةِ ، هل يستحقُّ أن يُحْتَرَمَ العقلُ العربيُّ؟! الذي لمْ يَحْتَرَمْ العقيدةَ
الاسلاميةَ كتاباً وسنةً ، ولمْ يقدِّرْ الأخلاقَ والقيمَ الإنسانيةَ وغيرها .



بل إنهم هددوا بالقتلِ والتصفيةِ والسجنِ والتعذيبِ وامتهانِ الكرامةِ
لكلِّ مَنْ اختلفَ معهمَ ، وقالَ لهمْ .. (لا) .. ، كما فَعِلَ معَ فرجِ فودةَ ،
والدكتورِ حامدِ نصرِ أبو زيدِ ، والأديبِ المصريِّ نجيبِ محفوظَ ، وغيرهمَ .
وقبلهمَ قامَ الرئيسُ المصريُّ جمالُ عبدُالناصرِ بمحاكمةِ المفكرِ العربيِّ

والإسلامي سيد قطب - رحمه الله - بسبب فكره وأرائه، والاختلاف معه فكرياً، وأرادوا من أفعالهم وأقوالهم المتوحشة أن يقولوا أن مفاتيح الغيب، والجنة والنار والحقيقة في أيديهم، وتحت تصرفهم وقراراتهم وإرادتهم. فانتشرت الخصومات وتفشت شتى أنواع الكراهيات، وتفاقت البغضاء بين مختلف شرائح الأمة ومجتمعاتها بين مؤيد ومعارض ومحايد وخائف ومتردد ومنافق وكذاب. فظن كثير من هذه الفئات أن تلك التيارات وخصوصاً .. (مفاصلها) ..، الرئيسة أنهم امتلكوا الحق المطلق، وأمسكوا بالحقيقة المتناهية. وهذا التفكير المغلق والإنغلاقى والإقصائى هو أفضل الأدلة بوجود حال من عدم القدرة على التعامل مع الأزمات التي تتعرض لها الأمة. والمتعلقة بإستقرارها ورقبها ونهضتها. فتصدت في المجتمع العربي (فوضى الاختلاف)، وأصبحت الوسطية في حالة حضور وغياب حسب الأمزجة، فعاش العقل أزمة وطن. مهما كان الإنسان فلن يكون كاملاً، لكن هناك إنسان قانع بما لديه، وهناك آخر همه الأول إنه يكيل التهم لمن اختلف معهم. إنه العاشق للظلم والقهر. فلم تخرج الأمة العربية من (وعاء) ..، فوضى الاختلاف الكبيرة والمكشوفة على السطح. هذا الوعاء في كل منهم وتخرج منه في كل حالة من حالات البشر. ينضج هذا الوعاء بمكنونات جعلت المثقف ينفر من السلطة والمجتمع، فتشكلت التضادات والمتناقضات.



لهذا فإن نقد العقل العربي، لو تم منذ قرون مضت، لدفع بالأمور

والتفكير بالدفاع عن الحق التاريخي والإنساني والفكري والثقافي للأمة. ونقد العقل العربي يقوده للإيمان بالوقائع والحقائق والمصالح وأدوات الضغط والحضور الفكري، وكان بإمكانه تفضيد الانتقادات الموجهة إليه من الآخر. لأن الانتقادات عادة ما تستقي معلوماتها من عقول ذات مصداقية. وعدم النقد للعقل أتاح الفرصة للاعتماد غالباً على معلومات غير دقيقة وغير موثقة.



والعقل العربي، وتراثه له تجربة إنسانية وفكرية وتاريخية ثرية، بيد أن بعض تلك التجارب فشلت في حالات كثيرة لعدم إيصالها إلى من يلزم في الأمة. ولأن تلك التجارب اعتمدت على تفاسير مشوشة ومغرضة، وخضعت لتأويلات مزاجية ومصالحية، واعتمدت على معلومات مشوهة ومضللة عنها. وهنا يكمن خطر الأمة العربية، عندما عطلت.. (عقلها) ..، من النقد، فحصل ما حصل، ووقع ما وقع. إن.. (العقل العربي) ..، لازال خطابه وحتى اليوم قاصراً وتعامله لازال مقتصرًا على حدودنا الجغرافية العربية.

إن هذا المشكل يتحمل مسؤوليته التاريخية من منع، وحرّم، وجرم، وحارب، وقاوم، نقد العقل العربي. إن توالي الهجمات والتعديت والتجاوزات ضد.. العقل العربي..، تسبب تأكيداً في تآكل قوة ومتانة وحكمة.. العقل العربي.. المعنوية. والمؤسف، بل المخزي حقيقة أن حتى المثقف العربي نفسه ارتبط فكره ونتاجه المختلف بمصالحه ومنافعه وأهدافه، وخضع لكثير من الضغوطات الاجتماعية بعيداً عن رؤية الحقيقة. فلم يكن للمجتمع العربي أيُّ

دور لمساعدة المثقف في إعطائه الحرية في التفكير والكتابة، بل وقف المجتمع مع السلطة في مقاومة ومحاربة المثقف واتهامه بنفس تهم السلطة. فكان مصير المثقف السجن. وتساوت عقوبات المثقف الإصلاحي مع عقوبات كبار المجرمين الجنائيين. مثل القتل، واللصوص، وتجار المخدرات، وسارقي المال العام، وفاعلي الفواحش ما ظهر منها، وما خفي وما بطن، والنصابين والمحتالين، ورجال العصابات.



هذا العقل الذي لم يعد قادراً على تفهم وفهم العقول الأخرى، معتبراً أن كل العقول المخالفة له هي.. ((عدو)).. له، وهذا أمر لا يستقيم وطبائع الأمور. لأن طبيعة العقل الإنساني هي الإيمان بالوقائع والحقائق والمصالح، ويفهم معنى وقوة وقيمة أدوات الضغط. فلو تم نقد العقل العربي منذ اندلاع واشتعال وظهور.. (الفتن الكبرى)..، بين ظهر الأمة، لتمكّن من تعزيز قيمته وحيز مكانته ورفع قدره، وأيضاً لأسهم في تعزيز المستوى المعرفي والحقوقى والفكري والثقافي، ولكانت له مشاركاؤه الفعالة في تعبئة العقول المتشاحنة والمتصارعة للإتجاه نحو الحكمة وفرض الرؤية الصافية.



وغياب نقد العقل العربي دفع لبروز وظهور واستمرار الحملات التشويهية ضده، كما وقع إبان الحملات الصليبية في القرون الماضية. إنه قد بات واجباً دينياً وأخلاقياً وفكرياً ضرورة الانتقال بالعقل العربي من القبول بسياسات

وإجراءاتِ ردودِ الأفعالِ الآنيةِ إلى التفكيرِ الجادِ في إيجادِ آلياتِ وأدواتِ ومناهجَ علميةٍ؛ لبلورةِ إستراتيجيةِ واضحةِ الإتجاهاتِ مكشوفةِ المعالمِ، معَ إعدادِ خططِ عملٍ واقعيةٍ وعلميةٍ، وهذا يكونُ بتأسيسِ وإنشاءِ.. (**مركزِ نقدِ العقلِ العربيِّ**)..، يكونُ مقرّه بإحدى الدولِ العربيةِ التي تملكُ ولديها قابليةٌ خصبةٌ للحرياتِ وقبولِ الرأى الآخرِ. يُعَيَّنُ به كبارُ المفكرينَ والمثقفينَ والفلاسفةِ العربِ، ويُحدِّدُ له موازناتٌ ماليةٌ عاليةٌ للأنفاقِ على أدارتهِ، وإجراءِ الدراساتِ والأبحاثِ العلميةِ المتخصصةِ. حتَّى يصبحَ لدينا كثيرٌ منُ مساحاتِ مسؤوليةِ التعبيرِ، وحريةِ التعبيرِ، ومرونةِ التفكيرِ، بعيداً كلَّ البعدِ عنُ .. (**الاستحياءِ السياسيِّ**)..، وتقديمِ.. (**حساباتِ التسامحِ**)..، وأخلاقياتِهِ وسلوكياتِهِ وأنماطِهِ. كلُّ ذلكَ يساعدُ العربَ على تكوينِ.. (**رؤيةِ العملِ العربيِّ**)..، في كافةِ المجالاتِ، وتأصيلِهِ بأطرٍ علميةٍ وعمليةٍ، والأمرُ لنَ يكونَ صعباً، ويكونُ أعضاءُ هذا المركزِ العلميِّ في مستوى بعضِ المفكرينَ العربِ الكبارِ مثل: مُحَمَّدُ عابدُ الجابريِّ، وجورج طرابيشيِّ، مُحَمَّدُ جابرُ والأنصاري، وأدونيسُ، والفيلسوفُ المغربيُّ طه عبدالرحمن، وإدوارُ سعيد، والدكتورُ عبدُ اللهِ النفسيِّ، وغيرُهمُ كثيرٌ. وهذا الأمرُ يساعدُ على تكونِ .. [**العدالةِ الثقافيةِ**]..، التي تعملُ على إعادةِ النظرِ في كافةِ الأنظمةِ والقوانينِ العربيةِ. فيكونُ مناقشةُ قضايا الأمةِ عنُ طريقِ المتخصصينَ منُ أهلِ الفكرِ والرأى، والعقلِ والثقافةِ. لأنَّ الأمةَ تتأثرُ بهم، وهذا الأمرُ يعملُ على إقصاءِ جماعاتِ الضغطِ

المسيطرة على قرارات الأمة.



إِنَّ نَقْدَ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، يساعده كَيْفَ يَواجُه فتنةً ونكباته ونكساته وتعاساته وهو اجسبه وهمومه وتحدياته من خلال العصفِ الفكري والحوار والنقاش والمجادلة. ليكشفَ عن وعيه بفكرة التفكيك، بعيداً عن .. (العشوائية) ..، التي تُعاني منها حالياً، فالعشوائي هو مجموعة من النقائض والإختلافات المرتجلة والسريعة. فهو يحتشد النصَّ بكلِّ ما فيه من صفاتٍ متعددةٍ ومتعكساتها، واليومَ حينَ يتمُّ نَقْدُ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ يسهلُ معه فهمُ المتناقضاتِ واستيعابِ التناقضاتِ بسهولةٍ ويسرٍ، بل يمكنُ التوصلُ لها وبكلِّ أقنعتها المتعددة، ومختلف ألوانها.



إِنَّ نَقْدَ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ يساعدهُ على فهمِ ومواجهةِ مواجعٍ وتحدياتٍ وتحولاتِ الأمة، واستيعابِ هواجسها، وتحديدِ الإتهاماتِ الموجهة إليها، وتحديدِ القدرةِ على تحملِ محمولاتِ الأزماتِ العربيةِ، وتلكَ المحمولاتُ تفتحُ الجدُلَ وتطرحُ التساؤلاتِ ويمكنُ لها أن تفتحَ الأقواسَ الكبيرة والصغيرة على كلِّ الثقافاتِ العالمية، وفهمِ النصوصِ بكلِّ أشكالها، وتنوعاتها، وفرزِ النصِّ المتفتح، والنصِّ المغلق، وقياسِ أصواتِ النصوصِ، وارتفاعِ وانخفاضِ درجاتها. فقدُ يجدُ العقلُ منَ بينها مَنْ يرفعُ صوتهَ ومن دونِ مبرراتٍ مقبولة. لأنَّ كلَّ كلمةٍ في أيِّ نصٍّ إلهيٍّ مجيدٍ، أو نصٍّ بشريٍّ لها دلالةٌ، بل دلالاتٌ ما، ولأنَّ لكلِّ نصٍّ بشريٍّ

إيديولوجيا وتحليلاً نفسياً خاصاً به، وأيضاً له تحولات، قد تكون متعرجة في سياقاتها.



لهذا أستطيع أن أقول: **إنَّ نقدَ العقلِ العربيِّ سوفَ يعملُ على تحريره من القيود والشروطِ الأيديولوجية،** ولا أبالغُ حينَ أقولُ إنَّ العقلَ العربيَّ فقدُ سيطرته على الواقعِ المعاشِ، فلمْ يعدْ قادراً على التحكمِ في مجرياتِ الحياةِ، فلمْ يستطعْ تقديمَ أيِّ إحرازٍ، ففقدَ الفعاليةَ التاريخيةَ، وهذا يظهرُ بوضوحٍ تامٍ بسيطرةِ المؤسسةِ الدينيةِ الشعبيةِ على عقولِ المجتمعِ بمختلفِ طبقاته ومستوياته، فلها دورٌ كبيرٌ وملحوظٌ في التأثيرِ على السلطةِ. والسلطةُ لمْ تضعْ قيوداً مما جعلها تكونُ منْ أقوى أدواتِ وآلياتِ الضغطِ. وهذه الجماعاتُ شكّلتْ قسوةً وقوةً وعُنفاً مورسَ ضدَّ المجتمعِ. لأنَّ العقلَ العربيَّ هو إنغلاقٌ على مفاهيمٍ منْ عصورٍ قديمةٍ استهلكتْ العقلَ العربيَّ وقوته، واليومَ، بالذاتِ، أصبحَ هذا العقلُ باهتاً بلا أدنى فعاليةٍ، والدليلُ تصدُّرُ وتمركزُ وسيطرةُ هذا التوحشِ على حياةِ الأمةِ. لأنَّ هذا العقلُ الذي أصيبَ بالوهنِ والترددِ والتراجعِ لمْ يستطعْ طرحَ أسئلةَ المرحلةِ، وإنْ طرحَتِ تلكَ الأسئلةُ فلنْ تجدَ أجوبتها الحقيقيةَ والواقعيةَ. بلْ إنَّه لمْ يجرؤْ على استتطاقِ الأجوبةِ العقليةِ الحكيمةِ والمتزنةِ والرشيدهِ، التي تدفعُ بالحالِ لصياغةِ إشكالياتٍ تقبلُها التحدياتِ. فإنْ فعَلها العقلُ العربيُّ فهذا يدلُّ على رغبتهِ السيرِ في الطريقِ الصحيحِ، وهذا التفكيرُ منْ طموحاتِ الأمةِ. لا بدَّ، بلْ يجبُ، أنْ يعملَ العقلُ العربيُّ على ممارسةِ.. **النقدِ**

الذاتي)).، فإن مارسَ هذا الحقَّ التاريخيَّ والعلميَّ، فهو دليلٌ على رغبته للاتجاهِ للوصولِ إلى النهضةِ المرجوةِ بشروطها، أو بعضها التي أشار إليها المفكرُ الجزائريُّ مالكُ بنِ نبيِّ. فمنْ ضروراتِ المرحلةِ وظروفها أنْ يقومَ العقلُ العربيُّ بالعمليةِ النقديةِ الذاتيةِ، كما يقتضي الحالُ أنْ يقبلَ دخولَ ساحاتِ هذهِ المعركةِ وبكلِّ شروطها، ويتسلحَ بأسلحةِ الصدِّ والردِّ، والهجومِ والدفاعِ، وهذا فعله العقلُ العربيُّ فتفوقَ على كلِّ المعوقاتِ والعقباتِ وبددَ التحدياتِ وهزمَ الخوفَ والترددَ، وحقَّقَ هذهِ النهضةَ الشاملةَ التي يعيشُها الغربُ منذُ قرونٍ مضتْ. فأكتشفَ العقلُ العربيُّ ذاته، بعدَ أنْ نقدَ نفسه، وشكَّلَ لذلكَ مشروعًا تنويريًا ضخمًا، أخرجَ الغربَ منْ ركوبِ الخيلِ والأبقارِ، إلى ركوبِ السيارةِ والطائرةِ، والنهوضِ بكلِّ أنواعِ الصناعاتِ، والتقدمِ العلميِّ في كلِّ مناحي الحياةِ.

وعندما نقدَ العقلُ العربيُّ ذاته، عرفَ الأخطاءَ القاتلةَ التي ارتكبها في حقِّ نفسه، وحقِّ شعوبه، ونَدِمَ على ما خلفه منْ مشكلاتٍ وتوتراتٍ سياسيةٍ وأيديولوجيةٍ، لأنَّه أدركَ بالوعي أنَّ تلكَ المشكلاتِ والتوتراتِ هي نتيجةٌ لإفرازته.



العقلُ العربيُّ هو الذي وقفَ بحزمٍ وعنادٍ وجهلٍ مركبٍ ضدَّ أيِّ مشروعٍ من مشروعاتِ النهوضِ بالحريةِ العامةِ، وهاجمَ التنويرَ والافادةَ من الانظمةِ والمنجزاتِ العلميةِ الغربيةِ، وقبولِ انتاجاتِ المؤسسةِ العلميةِ الغربيةِ. لقد رفضوا

الاستخدام العلمي للعقل في كل الحياة، وبخاصة.. (حرية التعبير) ..، فتصدى لكل المحاولات وأفشلها وعاقبَ وعدَّبَ وسجنَ وقتل أصحابها. نَعَمْ قمعتُ وأجهضتُ كافة المحاولات العربية للنهوض بالحرية العامة، وحقوق الإنسان. فألغيتُ مثل هذه الأفكار النهضوية من قواعد عقول المفكرين والمثقفين. أيّ أنّ العقل العربيّ قام بإلغاء نفسه بنفسه، وفي العصر الحديث وبعد خروج الإستعمار، أو المستعمر من الأرض العربية قامت بعض المحاولات الجادة للنهوض بعقلية الحرية العامة، ولكنها لم تفشل، بيد أنّها لم تستكمل مشوارها لما واجهته من هجوم عنيف من جماعات الضغط السلطوي، وبعض تيارات الإسلام السياسي، وظهرت مثل هذه المحاولات بصورة واضحة في مصر على يد الدكتور طه حسين، وهدي شعراوي، وسلامة موسى، والشيخ على عبد الرزاق وغيرهم. وفي بعض البلدان العربية دفع بمحاولات مماثلة، ولكن معظمها قُتل قبل أن يولد، أو إنَّها ولدت بيد أنّها لم يكتمل نموها كما ينبغي أن تكون. كما ظهرت بعض المحاولات في المملكة العربية السعودية مثل كتاب: خواطر مصرحة، لمؤلفه المفكر محمد حسن عواد، وصدر الكتاب عام 1926م، ومحمد حسن العواد (1902 - 1980 م) أديب ومفكر من الحجاز، من النهضة الأدبية والفكرية بالحجاز، وهو من مواليد مدينة جدة. وكتابه: خواطر مصرحة بمثابة صرخة اخلاقية مدوية، وأثار لغطاً وجدلاً ونقاشاً صدها قائماً، ولقد عانى العواد كثيراً من دوره الإصلاحية والتويري. فلقد كتبت دراسة علمية حادة عنه عنونها: كتاب (خواطر مصرحة)، المروءة

والصفا شرارة التتوير، ومما جاء فيها: (بعد صلاة الظهر في أحد أيام عام 1345هـ، وقف مدير مدرسة الفلاح بجدة الشيخ حسين مطر، وأعلن أمام الطلاب أن (محمد حسن عواد) كان تاجاً على رأس هذه المدرسة، ولكنه بعد أن أصدر كتاب (خواطر مصرحة)، فقد مكانته فيها. كانت هذه هي اللحظة الفاصلة والشرارة الأولى في خطاب التتوير النقدي والإبداعي مع بداية اتحاد أقاليم المملكة.

تكشف عبارة مدير المدرسة كيفية اشتغال المنظومة التي تحكم المجتمع في ذلك الوقت، كان يراود للعواد أن يظل (تاجاً على رأس المدرسة)، أي مجرد (إكسسوار)، أما وقد تعرض بعمق للمنظومة السائدة فإنه قد فقد حتى هذه الميزة الشكلية.

إن المعرفة خطر في مجتمع رتب أموره على أساس الجهل المنظم، ومن ثم يصبح تداول المعلومة كمن يشعل ألعاباً نارية في مستودع مليء بالمتفجرات. وغالباً فإن الأفكار التي أطلقها الكتاب من عقائرها معروفة ومتداولة، ولكن الانتقال بها مما يشبه الدعوة السرية إلى الفضاء العلني هو مكن التأثير، وقد حرص العواد على هذه العلنية حينما دون، وأبرز عنوانه واسمه الثلاثي بعد سنوات من النشر بأسماء مستعارة، وخصوصاً في جريدة القبلة.

حدث الارتطام بين الأفكار البيضاء للشاب الغض محمد حسن عواد، والخطاب الاجتماعي الذي كان قد جمده وتجمده وخمدت شعلته، ومع إنه خطاب راسخ، ويتمسح بمرجعيات عريقة، إلا أنه لم يفتد المجتمع إلى النهوض

والتقدم، ومواكبة مسيرة الحضارة الإنسانية، إذ أنه قد توقف عن القدرة على ذلك منذ زمن بعيد. هكذا إذن أصبحت واقعة الاصطدام حادثة ذات دلالة رمزية، اكتسبت المزيد من البريق بمقدار رد الفعل الذي أثارته، فولدت تلك الشرارة التي كان لها ما بعدها).



العقل العربي يحوي نظاماً سياسياً قديماً منذ عهد الدولة الأموية، وهو مختلف في تفكيره السياسي ليس له جذور في عمق التاريخ العربي. وتم وضعه وصياغته بأفكار القداسة. فأتجه إلى كثرة خطبه المختلفة، وعوده التي بلا نفع، وتهديداته الكاذبة، فظهر العبث السياسي، مثل خطب الحجاج بن يوسف الثقفي القائد الأموي الفاسق حين خطب في أهل العراق قائلاً لهم: (أنا ابن جلا وطلاع الثيا متى أضع العمامة تعرفوني).

ثم قال: أهل الكوفة أما والله إنني لأحمل الشر بحمله وأحدوه بنعله وأجزيه بمثله، وإنني لأري أبصاراً طامحةً وأعناقاً متطاولةً ورءوساً قد أينعت وحنان قطافها، وإنني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق ثم قال:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم قد لفها الليل بعصلي أروع خراج من الدوي مهاجر ليس بأعرابي قد شممت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا وليس القوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر، أو أشد لا بد مما ليس منه بد

إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق، والنفاق، ومساوي الأخلق ما يقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية القصوى، وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نشر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي أما والله لألحونكم لحو العصا ولأقرعنكم قرع المروءة ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله لا أعد إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت فإياي، وهذه الشفعاء والزرافات والجماعات وقالوا وقيلاً وما تقول وفيم أنتم وذاك . أمّا والله لتستقيمن على طريق الحق، أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً في جسد، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه وأنهبت ماله وهدمت منزله).



على المتلقي لبعض هذه النصوص الخطابية نجد أن القائد الحجاج بن يوسف، معلّم الصبية في مدينة الطائف والحافظ للقرآن المجيد، نجده قد استخدم بعض الآيات القرآنية المجيدة في الخطب، كما يظهر بوضوح

الكميات الكبيرة من عباراتٍ وجملٍ ونصوصٍ وكلماتٍ التهديدِ والوعيدِ بالقتلِ والسَّجنِ . وهذا نموذجُ العقلِ العربيِّ الحاكمِ .



هذه صيغةٌ من صيغِ الارهابِ والتهديدِ وإثارةِ الفزعِ في الإنسانِ العربيِّ من قبلِ الحاكمِ للمحكومِ. وأيضاً قالَ الخليفةُ العباسيُّ أبو جعفر المنصور لرعيته: ((والله لو أن أحدكم قال لي: (اتق الله) لقتلته)). وهذا .. [الصراخُ السلطويُّ]...، والتضجرُ من المحكومِ، يدلُّ على عقليةِ الحاكمِ العربيِّ المشحونةِ بالاستبدادِ والاستكبارِ والاستعلاءِ. ولعلَّ من أقوى المواقفِ الصُّلبةِ والقويةِ هو ما حدثَ بينَ الخليفةِ أبي جعفرِ المنصورِ، والعالمِ المثقفِ سفيانِ الثوريِّ، حيثُ تقولُ القصةُ: (دخلَ على الخليفةِ أبي جعفرِ المنصورِ العالمُ الجليلُ سفيانُ الثوريِّ، ولما أخذَ مكانه في مجلسه قريباً منه، سأله المنصورُ أن يرفعَ إليه حاجته. فأجابَه: اتقِ اللهَ فقد ملأتَ الأرضَ ظلماً وجوراً. فطأطأَ المنصورُ رأسه ثم أعادَ السؤالَ عليه، فأجابَه: إنَّما نزلتْ هذه المنزلةُ بسيوفِ المهاجرينَ والأنصارِ، وأبناؤهم يموتونَ جوعاً، فاتقِ اللهَ وأوصلِ إليهم حقوقهم فطأطأَ المنصورُ شاكراً ثم كرَّرَ السؤالَ، ولكنَّ سفيانَ تركه وانصرفَ. وتأكَّدَ لأبي جعفرِ المنصورِ أن ما منَ عالمٍ يوثقُ به غيرُ سفيانِ الثوريِّ لتولي القضاءِ فدعاه ليوليَّه القضاءَ في إحدى ولاياته، فلما مثلَ سفيانُ بينَ يديه، قالَ له المنصورُ: إنَّا نريدُ أن نوليكَ القضاءَ في بلدةِ كذا، فأبى سفيانُ، وأبو جعفرَ يكرِّرُ عليه ويأبى سفيانُ الثوريِّ. فقالَ له المنصورُ: إذنْ نقتلكَ، قالَ سفيانُ:

افعلْ ما شئتَ. هَذَا هو عقلُ الحَاكِمِ العربيِّ إِن لمْ توافقْ على آرائي وأفكارِي، وتنفذْ مطالبي، فأنتَ محكومٌ تقفُ ضديّ. فالعقلُ العربيُّ لا يكتسبُ كاملَ معناه الفوضويِّ والأخلاقيِّ إلا عبرَ بُعدِه العربيِّ تلويحاً وتخويفاً.



مَا أَكثَرَ المقالاتِ الصحافيةِ التي كُتبتْ في هَذَا المجالِ، اخترتُ منها مقالاً جيداً وحيويّاً هو: مصائبُ العربِ من حُكّامِهِمْ، كتبه الأستاذُ فيصلُ القاسمُ، والذي نُشرَ بجريدةِ اليكترونيةٍ، وهي عربيةٌ، نُشرَ يومَ الأحدِ 19 ديسمبر 2010م. جَاءَ فِيهِ: لا شكَّ أَنَّ الإنسانَ العربيَّ، حتّى الأميِّ، باتَ يدركُ، قبلَ فضائحِ ويكيليكسِ وبعدها، إِنَّ معظمَ حُكّامِهِ همُ عبارةٌ عن ثلثةٍ من القتلَةِ واللصوصِ والفاستدينِ والمنحرفينِ والنصابينِ والأفاقينِ والخونةِ. وبالتالي قبلَ أَنْ نلومَ الشعوبَ على انحرافِها وفسادِها، لا بدَّ أَنْ نلومَ أولياءَ أمورِها، فكَمَا هو معروفٌ إِذَا كَانَ رَبُّ الأُسرةِ فاسداً ومنحرفاً فلا تثرِبَ على الأبناءِ، فمن المعروفِ أَنَّ الأبَّ هو المسؤولُ الأوّلُ والأخيرُ عن تربيةِ أسرتهِ وتعليمِها الأخلاقَ ووضعِها على الطريقِ الصحيحِ. ولو حدثَ أَنْ كَانَ أَحَدُ الأولادِ فِي أسرةٍ ما شاذّاً أو سيئاً، فَإِنَّ اللومَ يَتوجّهُ على الفورِ إلى وليِّ أمرِهِ، كَأَنَّ يَقولُ الناسُ: ((هَذَا الولدُ بلا تربيةٍ))، أو ((لعنةُ اللهِ على والديهِ أو الذينَ خلفوه)). بعبارةٍ أُخرى، فَإِنَّ لوليِّ الأمرِ دوراً مهماً جداً فِي إِخراجِ ذريةٍ صالحةٍ. وَإِذَا فَسَدَ الأصلُ فلا بدَّ للفرعِ أَنْ يَكُونَ فاسداً بالضرورةِ. وقد عبّرَ الشاعرُ

العربيّ عن هذه الحالةِ ببيته الشهير:

إذا كان ربُّ البيتِ للطِّبلِ ضارباً

فشيمةُ أهلِ البيتِ كلُّهم الرِّقْصُ

كيف نلومُ الشعوبَ العربيّةَ على فسادِها ونفاقِها وتدهورِ أخلاقِها وانحرافِها

وتلاشي شعورها الوطنيّ بعدما أكّدت لنا تسريباتُ ويكيليكس كلَّ الشكوكِ حولَ فسادِ معظمِ الحكامِ العربِ وخيانتهم لبلدانهم واتخاذهم من الكذبِ والتأمُرِ والنفاقِ سياسةً رسميةً؟ لقدُ كشفتُ لنا إحدى الوثائقِ أنّ زعيماً عربياً كانَ يحرضُ القواتِ الأمريكيّةَ، ويتأمُرُ معها، ويساعدها على ضربِ أبناءِ شعبه المفترضِ أنّه وليّ أمره وحامي حمّاه، فقدُ كانَ يتستُرُ على الغاراتِ الجويّةِ الأمريكيّةِ الهمجيّةِ على بعضِ الجماعاتِ المعارضةِ في بلده من خلالِ الادّعاءِ بأنَّ قواته "الوطنية" هي منْ تنفذُ تلكَ الهجماتِ، وقدُ أخبرَ ذلكَ الزعيمُ الجنرالَ ديفيدَ بتريوس قائدَ القواتِ الأمريكيّةِ في الشرقِ الأوسطِ وقتها، حسبَ تسريباتِ ويكيليكس، بأنّه سيواصلُ القولَ أمامَ شعبه: "نحنُ منْ قامَ بتوجيهِ الضرباتِ وليسَ أنتمُ الأمريكيونَ" تصوّروا، يا رعاكمُ اللهُ، **كيفَ يتأمُرُ ذلكَ الزعيمُ معَ القواتِ الأمريكيّةِ التي تستخدمُ أعتى أنواعِ الأسلحةِ المحرمةِ دولياً على أبناءِ بلدهِ بالسماحِ لها بأنْ تُبيدَ المئاتِ منهم، كما لو كانوا أسراباً من الذبابِ. وكى لا يُحرجَ الأمريكيينَ كانَ يزعمُ أنّه قائدُ وطنيٌّ**

يتصدّى للإرهابيين. يا سلام على الوطنيةِ والشرفِ والأخلاقِ العربيّةِ الأصيلةِ!

بريكم ، عندما يطلُعُ الشعبُ في بلدِ ذلكَ الزعيمِ على تصرفاتِ قائدهِ

وولي أمره، هل تراه سيلتزم بالأخلاق والاستقامة والوطنية، أم أنه سيبيع
الوطنية وحسن السلوك بقشرة بصل؟ هل نستطيع أن نتهم مواطنًا ببيع ضميره
والتأمر على وطنه وخيانة أهله وذويه عندما نعلم أن ولي أمره يتآمر مع الأجنبي على
أبناء جلدته، لا بل يتستر على جرائم الأمريكي بحق أبناء الوطن حتى لو كانوا
معارضين أو متمردين؟

كيف للإنسان العربي البسيط أن يُحافظ على وطنيته عندما يعلم أن
وزير الدفاع في دولة عربية أخرى، حسب ويكيليكس، كان يتآمر مع
إسرائيل لضرب جماعة في بلده فقط؛ لأنه مختلف مع تلك الجماعة سياسياً؟
ألا تشجع مثل هذه التصرفات الشعوب على الخيانة واستسهالها؟ لماذا نلوم
مواطناً بسيطاً إذا تعامل، أو تخابّر مع الأعداء، بينما يمارس أولياء الأمور في
بلده أقصى درجات الخيانة العظمى كشرب الماء؟.

كيف نلوم الناس العاديين عندما يتقاتلون فيما بينهم على أساس
طائفي، إذا كان بعض أولياء أمورهم يحرضون الأمريكان، حسب تسريبات
ويكيليكس على ضرب هذه الجماعة العربية، أو تلك الدولة لمجرد أنها
تختلف معهم مذهبياً، أو طائفيًا؟ كيف نطلب من الناس البسطاء أن يكونوا
صفاً وطنياً واحداً إذا كان على القوم في بلدهم أشخاصاً عنصريين دينياً
تحركهم أحقادهم الطائفية الحقيرة؟ كيف نحاسب التلميذ ونشفع للمعلم؟.

كيف نريد من الشعوب أن تحافظ على ثرواتها الوطنية، وألا تسرق، ولا تنهب

ولا تأكل بعضها البعض، ولا تتعامل مع المال العام على أنه غنيمة عندما تكشف لنا ويكيليكس أن معظم قادتنا يبذرون ثروات الأوطان على مصالحتهم الشخصية والعائلية تحت حجج واهية؟.

كَيْفَ نَرِيدُ مِنَ الشُّعُوبِ أَنْ تَسِيرَ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الْحَصُولِ عَلَى لُقْمَةِ عَيْشِهَا إِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ قَادَتِهَا، كَمَا أَظْهَرْتَهُمْ وَثَائِقُ وَيكيليكس، يحتالون على ثروات البلاد، ويسرقونها بطرق ملتوية، ويستأثرون بها هم وحاشياتهم. ألم تكشف برقيات دبلوماسية أمريكية سرية نشرها موقع ويكيليكس أن المحيط العائلي لبعض الرؤساء العرب "أشبه بالماфия"؟ لا تثريب على الناس العاديين أبداً إذا عملوا بمبدأ الأقربون أولى بالمعروف وضربوا بالمصلحة العامة عرض الحائط!.

كَيْفَ نَرِيدُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونُوا مَتَسَامِحِينَ وَمَتَقَبَلِينَ لِلنَّقْدِ وَالرَّأْيِ الْآخَرَ إذا كان قادتهم متجبرين ومستبدين بأرائهم ولا يقبلون حتى العتاب؟ ألم تصب غالبية الشعوب بالعدوى من زعمائها؟ ألم يصبح الإنسان العربي نزقاً جداً لا يقبل النصيحة من أحد، ويثور ضد أي انتقاد بسيط؟ ألم تكشف وثائق ويكيليكس لأن بعض الأنظمة العربية (لا يقبل لا النقد ولا النصح)؟.

كَيْفَ نَرِيدُ مِنَ الشُّعُوبِ أَنْ تَتَأَخَى فِيمَا بَيْنَهَا، وَأَنْ تَحَبَّ لِإِخْوَانِهَا كَمَا تَحَبُّ نفسها إذا كان قادتها يتآمرون على إخوانهم في العروبة والإسلام بكل خسة؟ ألم تكشف لنا وثائق ويكيليكس ومن قبلها مذكرات الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش أن البعض كان يحرض الأمريكيان على ضرب

بلدٍ عربيٍّ آخرَ بحجةِ امتلاكِهِ أسلحةً بيولوجيةً، ناهيكَ عن تقديمِ الغالي والنفيسِ لهم كي يعيشوا قتلاً ودماراً هنا وهناك؟ **كَيْفَ سَيَتَصَرَّفُ الْإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ الْعَادِيُّ عِنْدَمَا يَعْلَمُ أَنَّ زَعَمَاءَهُ هُمْ عِبَارَةٌ عَنِ أَنْاسٍ بِلا شَهَامَةٍ وَلَا مَرُوَّةٍ وَلَا أَخْلَاقٍ وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ شَعُورٌ بِالْأَخُوَّةِ بَيْنَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ، وَأَنَّهِمْ مَجْرَدُ مَرْتزِقَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعُوا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ بِقَرَشٍ صَدِئٍ؟ مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ فِي بُلْدَانِنَا قِلَّةَ الْأَمَانَةِ وَالْإِخْلَاصِ غَيْرَ أَوْلِيَاءِ أُمُورِنَا؟ أَلَمْ تُصْبِحْ خِيَانَةُ الْأَخِ لِأَخِيهِ فِي بُلْدَانِنَا الْعَرَبِيَّةِ أَمْرًا عَادِيًّا جَدًّا؟ أَلَمْ تُصْبِحْ الْأَمَانَةُ عَمَلَةً نَادِرَةً جَدًّا؟ كَيْفَ نَرِيدُ مِنَ الْبَسْطَاءِ أَنْ يُحْفَظُوا الْوَدَّ إِذَا كَانَ عَلِيَّةَ الْقَوْمِ مِنْ حَوْلِهِمْ فَقَدُوا أَخْلَاقَهُمُ الْأَسَاسِيَّةَ؟ أَلَا يَقُولُ الشَّاعِرُ:**

إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا؟

كَيْفَ نَرِيدُ مِنْ شَعُوبِنَا أَنْ يَتَحَلَّوْا بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ، إِذَا كَانَ أَوْلِيَاءُ أُمُورِهِمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالْعِظَةِ أَمَامَ النَّاسِ، وَيَمَارِسُونَ الرَّذِيلَةَ وَالْمُوبَقَاتِ وَالْإِنْحِلَالَ الْأَخْلَاقِيَّ وَاللِّيَالِيَّ الْحَمْرَاءِ فِي الْخَفَاءِ بِشَهَادَةِ الدَّبْلُومَاسِيَّينَ الْأَمْرِيكِيِّينَ؟.

وَأخِيرًا، وَهُوَ الْأَهْمُ، كَيْفَ نَرِيدُ مِنَ الشُّعُوبِ أَنْ تَتَحَلَّى بِالصِّدْقِ إِذَا كَانَ قَادَتُهَا فَنَانِينَ فِي الدَّجْلِ وَالْكَذْبِ؟ أَلَمْ تَكْشَفْ لَنَا وَيْكِيْلِيكْسُ أَنَّ مَعْظَمَ زَعَمَائِنَا يَمْتَهِنُونَ الْكَذْبَ وَالنِّفَاقَ؟ أَلَا يَقُولُونَ شَيْئًا أَمَامَ الشُّعُوبِ، وَيَقُولُونَ شَيْئًا مُخَالَفًا تَمَامًا خَلْفَ الْأَبْوَابِ الْمَغْلُقَةِ؟ أَلَمْ تَتَحَوَّلِ السِّيَاسَةُ الْعَرَبِيَّةُ، حَسْبَ اعْتِرَافَاتِ الدَّبْلُومَاسِيَّينَ الْأَمْرِيكِيِّينَ، إِلَى كَذْبٍ فِي كَذْبٍ؟ أَلَمْ تَسَبِّبِ الْإِحْرَاجَ لكَثِيرِ

من المسؤولين والقادة العرب عندما أظهرتهم بأنهم ثلة من الأفاقيين؟ صحيح أن السياسيين يكذبون في كل العالم، لكن ليس بالقدر الذي ظهر فيه الحكام العرب، وإذا اكتشفت الشعوب الحية أن قاداتها يكذبون عليها فهي قادرة على معاقبتهم وفضحهم وتلقيهم دروساً لا ينسونها حتى لو بعد حين. **بينما أصبح الكذب في بلداننا العربية سياسة رسمية بامتياز.**

أليس من علامات اختفاء الأخلاق الكريمة في محيط أمة من الأمم هو **انتشار الكذب والنفاق**، يتساءل أحدهم؟ وهاتان الخصلتان تأتيان في مقدمة المثالب التي تعاني منها شعوبنا، ومن المؤكد أن هاتين الخصلتين، اللتين ورثتهما الشعوب عن قاداتها، **قد أسهمتتا في ضعف الانتماء للوطن وفي ازدياد معدل الأنانية، وفقدان الثقة، ومن ثم انتشار الفساد وتدهور روح الإخاء والمودة والتضامن.** كم يشعر المرء بالحسرة لأنه كان يسير على الطريق المستقيم طوال حياته، بينما تدار بلداننا بعقلية النصابين وقطاع الطرق؟.

من الذي يفسد مجتمعاتنا ويدمرها من الداخل حسب ويكيليكس؟ من الذي يشجع التآمر والخيانة واللصوصية والطائفية والفساد وانعدام الأمانة والإخلاص والكذب؟ أليس أولئك المفترض أنهم المؤتمنون عليها؟ أليس حاميتها حراميتها في حالتنا العربية؟ هل نلوم الشعوب بعد اليوم؟ أليس الناس على دين ملوكهم؟ أليس الثلم الأعوج من الثور الكبير؟.



لم يجد العقل العربي مَنْ ينتقده ويقولُ له كفى تحريكاً لغرائزِ فتويةٍ
وأغراضها وإغراقها بكوابيسِ الخللِ مثلما فعلَ الشاعرُ العربيُّ عمرو بن
كلثوم، صاحبُ المعلّقة الشهيرة حينَ قالَ:

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينًا

ثمَّ يأتي الشاعرُ العربيُّ الفارسُ أبو فراسِ الحمداني فيقولُ:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ، لَا تَوْسَطَ عِنْدَنَا لَنَا الصِّدْرُ، دُونَ الْعَالَمِينَ، أَوْ الْقَبْرُ

إنَّه انتفاخُ العقلِ العربيِّ بخللِ البطولاتِ الكاذبةِ والتعاليِ على الآخرِ،
فنقولُ لهذا العقلِ كفى ادعاءً لاحتكارِ الحرصِ على العالمِ، واتهامِ الآخرينَ
بالتفريطِ في الحقوقِ والكراماتِ، وكفى التعاطيِ معَ الأولوياتِ الوطنيةِ
اليومَ، وكأنَّنا نعيشُ حالةً في حملةٍ انتخابيةٍ لا تنتهي، وكفى مزايداتٍ
كلاميةٍ تفاقمُ من أزمةِ العقلِ المستفحلةِ. كانَ يجبُ على العقلِ العربيِّ رؤيةً
.. (العملِ العربيِّ) ..، الشاملِ وتأطيره قبلَ أنْ نكتبَ خطاباً كبيرةً الكلماتِ
صغيرةً الأعمالِ، لكنَّ الأمرَ لم يكنْ صعباً.



كَمْ هو العقلُ العربيُّ في حاجةٍ للنقدِ، ليضعَ لنفسه.. [**قانونَ العيبِ**] ..،

ليقولَ حينذاك - عيبٌ لمن يفهمُ العيبَ.



إنَّ التشكيكَ في النوايا اليومَ أصبحَ منهجَ حياةٍ وفكرٍ وتعاملٍ، ذلكَ

التشكيكُ كانَ وما زالَ.. (**العمودُ الفقريُّ**) ..، لكلِّ حروبنا وأزماتنا

ومشكلاتنا ودمارنا وتدميرنا ، وتدمير مقدراتنا ومكتسباتنا. التشكيك يُنسب إليه كلُّ شيءٍ سلبيٍّ، فأصحبت النوايا مضمرةً، ترسمُ وفق معايير المصلحة الخاصة، في حين كان يجبُ أن ترسمَ لتقضي التعاملَ بأكبر قدرٍ من الإيجابية، وبأكبر قدرٍ من الاحترامِ معَ المقاماتِ المختلفةِ.



اليومَ، اليومَ، أرى استضافَ العقلِ العربيِّ معَ خصومه وأعدائه، لهذا ضربتُ هيبتَهُ. لقد آن الآوانُ لوقفِ وقفه ضميرٍ من عقلاءٍ وحكماءٍ ونبلاءٍ وشرفاءٍ ومفكرين ومثقفين الأمةِ لإنقاذِ العقلِ العربيِّ من نفسه قبلَ غيره.



اليومَ، وعبرَ ما تعيشُهُ الأمةُ العربيةُ من مناهجٍ وأفكارٍ وسلوكياتٍ وأعمالٍ..(التوحش)..، وبمختلف أشكاله، جاء نتيجة الدعوات المحملة بالكراهية والخبث والمرارة، إلا أن أخطرَ ما فيها كان عزيمة العقل العربيِّ تدميرَ وتكسيرَ..(الكرامة)..، و..(الشهامة)..، و..(المروءة)..، العربية الخالدة التي رسختها العقيدة الإسلامية كتاباً وسنةً. وأيضاً تفشي ونمو وتطور ..(العنصرية)..، أو..(الشنفوية)..، البغيضة و..(الطائفية).. و..(القبلية).. و ..(العرقية).. و ..(العصبية المذهبية)..، فتظهرُ في نفي عرقٍ آخرٍ ودفعه إلى الإقصاء والانعزال والإلغاء. وهذه هي مقومات إستراتيجية..(الدوينة الاجتماعية)..، التي صنعها العقلُ العربيُّ منذُ عصورِ الجاهلية، فظهرت في إحدى سلوكيات سيدنا أبو ذر الغفاري ؓ حين قال لسيدنا بلال ؓ: (يا ابن

السوداء)، فجاء ردُّ أعظم البشر سيدنا محمد ﷺ حين قال له : (يا أباذر!). اعيرته بأمه، إنك أمرؤ فيك جاهلية). وللأسف أن التراث العربي ملئ، بل منتفخ بمثل هذه التورمات البغيضة. والتي أصبحت.. (نظام سياسي)..، تحكم به العرب. وهذه الخصوصية من ضمن خصوصيات العقل العربي، الذي لم يخضع للنقد. فترتب على هذا ما ترتب اليوم من أزمات حقيقية.



كَانَ عَلَى الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ فِي حَالَةِ نَقْدِهِ أَنْ يَدْعُو فِي خُطَابَاتِهِ الْمَخْتَلِفَةِ وَكُتَابَاتِهِ وَإِنْتاجَاتِهِ إِلَى رَفْضِ الْإِنْصِياعِ إِلَى تِلْكَ الدَّعَوَاتِ الْعَازِلَةِ وَالْمَهَالِكَةِ لِلْأُمَّةِ وَمُسْتَقْبَلِهَا، وَأَنْ يَتَقَدَّمَ خُطَوَاتٍ بِاتِّجَاهِ الْإِنْصِهَارِ وَالْإِنْفِتَاحِ مَعَ الْآخِرِ بِوَصْفِهِمْ بَشَرًا. أَيَّ أَنْ يَبَادِرَ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ إِلَى تَقْدِيمِ دَرَسٍ إِنْسَانِيٍّ يَكُونُ أَكْثَرَ تَسَامُحًا وَسَمُوًّا وَرَفْعَةً وَرَقِيًّا. فَقَدْ يَكُونُ الْعَقْلُ شَغُوفًا بِمُحَاوَلَةِ تَخْمِينِ الصُّورَةِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ الَّتِي سَتَكُونُ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْمُسْتَوَى الْاجْتِمَاعِيِّ وَالثَّقَافِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ وَالْفِكْرِيِّ وَالِدِينِيِّ. لَكِنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ لَمْ يَرِغْبْ، وَلَمْ يَرِدْ، أَنْ يَنْبَشَّ فِي التَّرَاثِ الْأَدْبِيِّ الْمَدْفُونِ فِيهِ كُلُّ الرِّذَائِلِ الَّتِي صَنَعَتْ.. (الشَّنْفُونِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ)..، هَذِهِ الْعَنْصَرِيَّةُ شَكَلَتْ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَشْكَلاتِ الْبَيْنِيَّةِ لِلْمُحِيطِ الْعَرَبِيِّ، فَقَامَتْ الْأَزْمَاتُ الَّتِي صَنَعَتْ الْحُرُوبَ الْمَدْمَرَةَ بَيْنَ الْعَرَبِ، وَالَّتِي تَسَبَّبَتْ فِي النُّهُوضِ، وَالنَّظَرِ لِلْمُسْتَقْبَلِ بَعَيْنٍ صَافِيَّةٍ. فَتَعَرَّضَ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ إِلَى سَيْلٍ مِنَ الْإِنْتِقَادَاتِ وَالتَّجْرِيحَاتِ؛ بِسَبَبِ غِيَابِ اجْتِهَادَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ لِإِقْطَافِ تِلْكَ الْأَزْمَاتِ وَالْحُرُوبِ، وَمُحَارَبَةِ الْكِرَاهِيَّةِ وَالْكَرْهِ. فَوَقَعَ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ فَرِيْسَةً.. (الْكَرَاهِيَّةُ)..

التي كانت تنمو وتتطور في داخله بسبب كلماتِ قالها العقلُ العربيُّ وهو غاضبٌ ولم يعِ خطورةَ ما قال، وما ترتبَ على ما قاله، مثالُ ذلكَ ما قالته الشابةُ الصغيرةُ التي لم تتجاوزَ عمرُها الثلاثينَ عاماً، وهي **اليمامةُ بنتُ كليبِ التغلبي**، حينَ قَتَلَ خالها جَسَّاسُ أباهَا شيخَ القبيلةِ كليباً التغلبي. فعندما وصلَ عمها الزيرُ سالمٌ من الصحاري، جاءَ إليها وقالَ لها: (ماذا تُريدينَ مني يا ابنةَ أخي ؟!، قالتُ وهي **محقونةٌ ومشحونةٌ بكلِّ أخلاقِ الغضبِ**، وبكلِّ .. (**عوامل الكراهية**)...، لخالها جَسَّاسَ، قاتِلُ أبيها، قالتُ مقولتها الشهيرةُ التي أشعلتُ حرباً داميةً دامتُ أكثرَ من أربعينَ سنةً، قالتُ لعمها الزيرُ سالم: (**أريدُ أبي حياً**). فشكَّلتُ هذه المقولةُ التي صنعها العقلُ العربيُّ منذُ الجاهليةِ وحتىَ اليومَ مشكلةً، وعقدةً تاريخيةً وقبليةً، صَعُبَ تفكيكُها لفهمِ خطورةِ آثارها على الأمةِ العربيةِ، والتي هلكتُ من حربِ البسوسِ وتبعاتها، فنحنُ وحتىَ اليومَ نعيشُ أحداثَ حربِ البسوسِ بيدِ إثمها بأشكالٍ ومستوياتٍ مختلفةٍ. **والمؤسفُ أنها مكانُ فخرٍ واعتزازٍ حتى الآن.** ويقولُ المفكرُ العربيُّ السوريُّ الأمريكيُّ (أودنيس) في هذا الجانبِ (**حربنا الثقافيةُ، نحنُ العربُ المسلمونَ، هي حربُ (أبٍ) ضدَّ (أبٍ) آخرَ، وحربُ (ابنٍ) ضدَّ (ابنٍ) آخرَ.** وهي بذلكَ حربٌ لا نهايةَ لها، وإنْ ضُمَّرتُ حيناً، أو (مُوهتُ) حيناً آخرَ. حربٌ لا يمكنُ أنْ تنتهيَ إلا بنهايةِ الثقافةِ التي تقومُ عليها).



كَانَ عَلَى الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يَقُولَ لِأُمَّتِهِ وَشَعُوبِهَا، أَنَا لَمْ أَخْلُقْ لِأَخْدَمَ
الْحُرُوبَ وَالتَّدْمِيرَ وَالدَّمَارَ. فَلَوْ فَعَلَ الْعَقْلُ هَذِهِ .. (**الْوَقْفَةُ الْاِحْتِجَاجِيَّةُ**) ..، عَلَى
الْحُرُوبِ، لَمَا اسْتَمَرَ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ فِي ارْتِكَابِ مِثْلِ تِلْكَ الْحِمَاقَاتِ الَّتِي أَشْعَلَتْ
حُرُوبًا تَلْدُ حُرُوبًا، حِمَاقَاتٍ وَقَعَتْ بِفَعْلِ .. (**الْكِرَاهِيَّةُ**) ..، و.. (**الْكِرَاهُ**) ..، و.. (**السُّخْطُ**) ..
و.. (**الاسْتِحْمَارُ**) ..، و.. (**الاسْتِبْقَارُ**) ..، و.. (**الاسْتِهْبَالُ**) ..، الَّتِي تَعْمَلُ فِي النَفْسِ،
فَتُؤَدِّي مَقُولَةً شَابَةً وَهِيَ: الِيمَامَةُ بِنْتُ كَلِيبٍ إِلَى حَرْبٍ دَمَرَتْ قِبَائِلَ، وَرَمَلَتْ
نِسَاءً وَيَتَمَّتْ أَطْفَالًا وَأَهْلَكَتْ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ. وَلِلْأَسْفِ إِنَّ هَذِهِ الْحَرْبَ
الْعَرَبِيَّةَ الْبَغِيضَةَ أَصْبَحَتْ مُضْرِبَ افْتِخَارٍ عِنْدَ الْعَرَبِ الْجُهَلَاءِ.

لَوْ صَدَرَ مَوْقِفٌ اِحْتِجَاجِيٌّ مِنْ عَقْلِ الزَّيْرِ سَالِمٍ بِصَوْتٍ مَنْ يُعْتَبَرُ أَنَّ الْحُلَّ
لَيْسَ فِي الْحَرْبِ، وَاسْتَتَكَرَ.. (**عِبُودِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ**) ..، السَّاكِنَةُ فِي عَقْلِ ابْنَةِ أَخِيهِ
الِيمَامَةَ بِنْتُ كَلِيبٍ، وَأَبْدَى ضَيْقَهُ مِنْهَا وَمِنْ مَقُولَتِهَا، وَأَدَانَهَا إِدَانَتَهُ لِلْعَقْلِيَّةِ
الاجْتِمَاعِيَّةِ السَّائِدَةِ - **حِينَئِذٍ** - لَمَنْعَ الْبُكَاءِ وَأَسْبَابِ الْحَرْبِ، وَمَنْعِ النِّيَاحِ مِنَ
النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ الَّذِي دَامَ وَاسْتَمَرَ لِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ
الْأَفْضَلِ أَنْ لَا يُعْطَى الْفُرْصَةَ لِعَقْلِ الْغَضَبِ وَالْكِرَاهِيَّةِ كَمَا كَتَبَ وَقِيلَ، رَغْمَ أَنْ لِي
مَوْقِفًا وَرَأْيًا فِي مَدَّةِ هَذِهِ الْحَرْبِ. لَمْ أَسْتَطِعْ التَّصَدِيقَ بِأَنَّ مَدَّتْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً.
وَهَذَا لَيْسَ مَجَالٌ لِنِقَاشِهِ الْآنَ، لَكِي يَبْكِي، وَيَتَأَلَّمُ، وَيَقْسُو، وَيَتَضَجَّرُ، بَلْ
كَانَ مِنَ الْأَجْدَرِ بِالزَّيْرِ سَالِمٍ، أَنْ يَمْنَعَ عَقْلَهُ وَعَقْلَ ابْنَةِ أَخِيهِ الِيمَامَةَ بِنْتُ
كَلِيبٍ أَنْ يَتَأَمَّلَ أَوْ يَفْكَرَ، فِي كُلِّ الْأَبْعَادِ وَالْمُتْرَبَاتِ عَلَى خَوْضِ وَشَبِّ حَرْبٍ.

فَهَذَا قَدْ يُوَثِّرُ إِجَابِيًّا فِي وَعِيهِ وَعَزِيمَتِهِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ عِقْلَاءٍ وَحُكَمَاءٍ قَوْمِهِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَتَنَاسَبْ وَعَقْلِيَّةً وَذَهْنِيَّةً وَسُلْطَةً عَقْلِ الْيَمَامَةِ بِنْتِ كَلِيبِ النَّبِيِّ كَانَتْ السَّبَبُ الرَّئِيسَ فِي حَرْبِ الْبَسُوسِ. **يَتَضَحُّ لَنَا أَنَّ الْكِرَاهِيَّةَ، وَالْكَرْهَ، وَالْبَغْضَ، هِيَ قِيَمٌ وَأَفْكَارٌ مُقَدَّسَةٌ فِي ذَهْنِيَّةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، وَالْمُؤَسَفُ حَقًّا، إِنَّهَا مُسْتَمِرَّةٌ كَمَصْدَرِ الْهَامِ لِأَصْحَابِ الْقَرَارِ، وَذَوِي الْأَيْدِيُولُوجِيَّاتِ مِنْ مَفْكَرِيٍّ وَمَنْظَرِيٍّ تِيَارَاتِ الْإِسْلَامِ السِّيَاسِيِّ، وَجَمَاعَاتِ الْجِهَادِ وَالتَّكْفِيرِ.** فَخَطَابُ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ظَهَرَ، وَيُظْهِرُ، بِأَدَاءٍ وَسُلُوكٍ وَلِهْجَةٍ خَطَابٍ تَخْرُجُ كَلِيًّا عَلَى مَا هُوَ مَوْجُودٌ وَقَائِمٌ وَمَأْلُوفٌ فِي ذَهْنِيَّةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، بَلْ هُوَ خَارِجٌ عَلَى مُؤَسَّسَةِ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ النَّبِيِّ صَنَعَهَا الْفِكْرُ الْإِسْلَامِيُّ. فَالْخَطَابُ الْيَوْمَ كُلُّهُ كِرَاهِيَّةٌ، وَإِسْقَاطٌ لِلْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ الْعَرَبِيَّةِ. وَبَدَأَتْ عَمَلِيَّاتٌ نَفُوذَهُ تَتَسَعُّ قَاعِدَتُهَا مَعْبَاةٌ بِشَعُورِ الْكِرَاهِيَّةِ وَالْبَغْضِ وَالْقَلْقِ، وَعَدَمِ الْخَوْفِ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَخَلَقَ الْإِحْبَاطَ، وَفَعَلَ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ بِلَا خَبْرَاتٍ مِنَ السِّيَاسَةِ، أَوْ الدِّينِ، أَوْ الْفِكْرِ، مِمَّا اعْتَبَرَهَا الْعَالَمُ كُلُّهُ حَدَثًا خَارِجًا عَلَى الْمَأْلُوفِ لَكِنَّهُ يَظَلُّ مِنْ طَبِيعَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، وَمَنْطِقِ تَفْكِيرِهِ. هُنَا لَا بَدَّ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ سَوْأَلًا مُحِيرًا!

وَهُوَ: لِمَاذَا اخْتَارَ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ.. الْكِرَاهِيَّةَ.. وَالْكَرْهَ، وَالْبَغْضَ، وَالْقَتْلَ، وَالْإِغْتِصَابَ، لِتَكُونَ رَمْزًا لَهُ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ بِالذَّاتِ مِنْ تَارِيخِنَا؟ وَجَسَّدُوهُ فِي جَمَاعَاتِ دَاعِشَ وَالْقَاعِدَةَ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهَا مِنْ جَمَاعَاتٍ صَنَعَتْ كُلَّ صَنَائِعِ الْإِرْهَابِ وَفَنُونِهِ وَعِلْمِهِ، وَجَعَلَتْ.. [التَّوْحُشَ]...، وَ[الْإِسْتِحْمَارَ]...، وَ[الْإِسْتِبْقَارَ]..

منهجاً وسلوكاً لها!



هذه النظرة الواقعية مجرد نظرة واحدة من مجموعات كبيرة من نظرات، وتراكمات شكّلت العقل العربي، وجعلت منه المصدر الذي تنهل منه الأفكار والرؤى، والإستراتيجيات، وحتى وإن تغيرت المراحل التاريخية المتعاقبة، فهذا المصدر يبقى ملهماً وموجهاً، وهو ما يجعل الاكتفاء بالنظر إلى ما هو ظاهر على الواقع، ومعبراً عما هو كامن في العمق. لهذا قلت وأقول إنه أمرٌ يدهشنا ويحيرنا. وشخصية..(العنف) ..، و..(التوحش) ..، و..(الكراهية) ..، و.. (السخط) ..، هي جزءٌ أساسٌ من ذهنية العقل العربي، الذي ظهر منذ قديم الأزمنة، واستقرت تلك الشخصيات في عمق العقل وترسخت في عمق تاريخنا العربي، ليس فقط في الفكر والثقافة والمجتمع، بل حتى في علاقة العربي بالآخر الخارج عن نطاقات العشيرة والقبيلة، وما يرتبط بها من مفاهيم القوة والسيطرة والهيمنة. فحتى اليوم يظل الإنسان العربي له نظراته الخاصة غير المحدودة للماضي، باعتباره مقدساً من المقدسات، من هنا جاءت الضرورات العميقة لفحص ونقد العقل العربي. وذكر المفكر ..(أدونيس).. رأياً في هذا الجانب فقال: (وربما كانت الطابع الغالب على الثقافة الإسلامية العربية السائدة. وربما كانت أيضاً، في أساس انعدام الفكر النقدي في المجتمعات العربية، وغياب العقلانية، ومفهومات الحقوق الإنسانية الكونية، وهي المنجزات الكبرى التي يعتد بها الغرب، وفي هذا الغياب ما يفسر افتقار

الثقافة العربية، أو حتى خلوها من نقدِ المواقفِ اللاعقلانية، واللاأخلاقية،
واللاإنسانية، بالمعنى الفلسفيّ الجذريّ والشاملِ في المجتمعات العربية).



إن سکن واستقرارَ الماضي في العقل العربيّ له استخداماته المتعددة حتى
اليوم، ويظهرُ هذا جلياً بتعبيراتٍ بالغة الدلالة في الواقع العربيّ، حين يذكرُ
مثقّفٌ، أو مفكرٌ عربيٌّ إنَّ الماضي يعتبرُ حاضراً موجوداً في كلِّ ما يحيطُ بنا
من تقدم، وليسَ ماضينا راحَ وزالَ واستدلَ بما ينفذُ حالياً مسابقة.. (شاعر
المليون)..، في دولة الامارات العربية. وما يرافقُ هذا الإنتاجَ من.. (شقفونية)..
وأيضاً.. (عنصرية)..، وكذلك.. (مهرجان الجنادرية)..، وأيضاً سباقات.. (مزاين
الإبل)..، وغيرها في المملكة العربية السعودية .

كلُّ هذه الإنتاجات العقلية المختلفة وغيرها تساعدُ على استمرارية
أنموذجات الماضي في ذهنية الإنسان العربيّ اليوم. وكأنَّ الأمة العربية ينقصها
المقومات الحضارية التي يمكنُ للعقل العربيّ أن يشكّلها في إطارات متباينة
وأنماطٍ أفضلَ بكثيرٍ من الماضي. مثلما لو توجّهنا لدعم مشروعاتٍ [عقلية]..
راقيةٍ مثلَ مهرجان سوق عكاظ، الذي ينفذُ بمدينة الطائفِ ببلادنا بالمملكة
العربية السعودية، وغيره من مهرجانات ثقافية عربية، مثلَ مهرجان.. (الربد)..
بالعراق ومهرجان (أصيلة) وغيرها.



بيدَ أنّ من أكثرِ عيوبِ العقل العربيّ هي رغبته الدائمة والمستمرةُ إلحاحه

الشديد على تقديم وإظهار.. (**أنموذج**) ..، .. [**التفوق**] ..، و.. [**العبقرية**] ..، ..

كَمَا أَنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ صَرَخَ، وَمَا زَالَ يَصْرُخُ مِنْ.. (**ثقافة المظلومية**) ..، أَيَّ
أَنَّ التَّارِيخَ وَالشُّعُوبَ وَالْأُمَّمَ قَدْ.. **ظلمته** .. فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَيْضًا عَلَا صَوْتُهُ
بِالصُّرَاخِ الْمَزْعَجِ مِنْ.. (**ثقافة المؤامرة**) ..، بِمَعْنَى أَنَّ الْأُمَّمَ وَالشُّعُوبَ دَائِمَةً التَّأْمُرُ
وَحِيَاكَةَ الْمُؤَمَّرَاتِ ضِدَّهُ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَهَذِهِ التَّصَوُّرَاتُ الذَّهْنِيَّةُ الَّتِي
أَرَبَكْتُ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ وَأَفْقَدْتَهُ تَوَازُنَهُ، تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ وَتَرَاجُعِهِ وَخَوْفِهِ مِنْ
الْأُمَّمَ وَالشُّعُوبِ الْآخَرَى، وَقَعَ كُلُّ هَذَا التَّأَزُّمَ، وَالتَّكَالِبِ، نَتِيجَةً عَدَمَ قُدْرَتِهِ
عَلَى بِنَاءِ وَوَضْعِ وَتَأْسِيسِ.. (**إستراتيجية إحتواء**) ..، مَعَ الْآخِرِ، لَكِنَّهُ فِي الْمَقَابِلِ
اتَّجَهَ لِلتَّفَكِيرِ نَحْوَ صِنَاعَةِ الشَّرِّ وَالْكِرَاهِيَّةِ، حِينَ قَامَ بِصِيَاغَةِ وَوَضْعِ وَرَسْمِ
.. (**إستراتيجية الهيمنة**) ..، وَبِكُلِّ مَحْتَوِيَّاتِهَا وَمَكُونَاتِهَا الْمَخْفِيَّةِ وَالْمَعْلَنَةِ، وَهَذَا
الْمَبْدَأُ ظَاهِرٌ فِي طَبِيعَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ. الْمَأْخُودُ إِلَى فِكْرَةٍ
تَسَيَّرُ عَلَيْهِ، وَتَجْعَلُهُ مَقْتَتَعًا بِأَنَّهُ هُوَ الْأَكْبَرُ وَالْأَقْوَى وَالْأَفْضَلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ،
وَإِنَّ الْأُمَّمَ وَالشُّعُوبَ الْآخَرَى أَصْغَرُ مِنْهُ، وَإِنَّ مَكَانَتَهُ وَأَهْمِيَّتَهُ الَّتِي يَشْغُلُهَا هِيَ
نَادِرَةٌ وَمَهِيْمَةٌ. فَلَمْ يَسْتَطِعْ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ التَّخَلِّيَّ لَا الْجَزْئِيَّ، وَلَا الْكُلِّيَّ عَنِ
مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ، الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا حَقَائِقٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، بَلْ
إِنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ لَمْ يَسْتَطِعْ إِزَالَةَ مِثْلِ هَذِهِ الْقِنَاعَاتِ الْمُتَجَدِّدَةِ فِي أَعْمَاقِهِ،
وَلِقِنَاعَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ هُوَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ أَيْدِيُولُوجِيَّةٌ مُسْتَقَلَّةٌ شَامِلَةٌ كَامِلَةٌ
مُتَكَامِلَةٌ، وَالْعَقْلُ بِهَذَا الْإِقْتِنَاعِ أَسْبَابُهُ وَدَوَافِعُهُ وَشُرُوطُهُ وَحُجْمُهُ، وَنَجْدُ فِعْلًا

هَذَا التَّفْكِيرَ فِي ذَهْنِيَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ وَيُظْهِرُ فِي قَرَارَتِهِ وَتَوَجُّهَاتِهِ وَسِيَاسَاتِهِ وَإِجْرَاءَاتِهِ وَثِقَافَتِهِ. وَأَيْضًا يَظْهِرُ هَذَا التَّفْكِيرُ عِبْرَ قَرَارَاتِهِ.. (حَمَاقَاتِ الْقُوَّةِ)..، مِثْلَ قَوْلِ الرَّئِيسِ الْمِصْرِيِّ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ قَبْلَ حَرْبِ النِّكْسَةِ عَامَ 1967م، : (سَوْفَ نَلْقَى إِسْرَائِيلَ فِي الْبَحْرِ)، وَقَوْلِ الرَّئِيسِ الْعِرَاقِيِّ صَدَامِ حُسَيْنِ: (سَوْفَ أُحْرِقُ نِصْفَ إِسْرَائِيلَ)، وَغَيْرُهَا مِنْ مَقُولَاتٍ بَاهِتَةٍ تَجَسَّدُ.. (حَمَاقَاتِ الْقُوَّةِ)..،.. وَلَيْسَ جَمَالُهَا. فَأَيْنَ جَمَالُ عَبْدِ النَّاصِرِ، وَأَيْنَ صَدَامِ حُسَيْنِ؟ وَأَيْنَ إِسْرَائِيلُ الْيَوْمَ؟ مَنْ هُنَا تَأْكُدُ لِي، وَلِغَيْرِي أَنَّ ذَهْنِيَةَ.. (الْهَيْمَنَةَ)..، حُبٌّ مُسْتَمَدَّةٌ وَمُسْتَوْحَاهُ مِنْ خِيَالِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، وَلَيْسَ لَهَا حَقَائِقُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ، وَيَدْرِكُ هَذَا الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ إِلَى خَطْوَةٍ هَذَا التَّفْكِيرِ فِي حِينِ أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ يَتَغَيَّرُ وَيُغَيَّرُ. كَمَا أَنَّ مَفْكَرِي وَمُتَقَفِي وَفَلَاسِفَةَ الْعَرَبِ لَا يَقْدِرُونَ بِمَا فِيهِ أَنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ لَمْ يَخْضِعْ لِلنَّقْدِ، أَوْ التَّفْكِيكِ لِفَهْمِ حَقِيقَةِ هَذِهِ التَّحْدِيَّاتِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةِ، وَجَهْلٍ، أَوْ تَغَابِي، أَوْ تَغَافُلٍ، الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ، إِنَّ التَّحْدِيَّ الْإِسْتِرَاطِيَّيَّ الْأَكْبَرَ، الَّذِي يَقِفُ أَمَامَهُ، هُوَ فِي مَدَى قُدْرَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ لِلْمَحَافِظَةِ عَلَى بَقَائِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِي الْمُنَافَسَاتِ الْمَعَاصِرَةِ، وَمَدَى قُدْرَتِهِ فِي التَّكْيِيفِ مَعَ كُلِّ هَذِهِ التَّحْدِيَّاتِ وَالْمَشْكَلَاتِ وَالتَّحْوِيلَاتِ وَالْأَزْمَاتِ الْمُتَلَاخِقَةِ، وَبِكُلِّ تَغْيِيرَاتِهَا وَمُتَغْيِيرَاتِهَا.

تُمْ هَلْ يَسْتَطِيعُ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ عَلَى الثَّبَاتِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى عَدَمِ.. (قَبُولِ نَقْدِهِ)..، وَالِاسْتِسْلَامِ لِمُتَطَلِبَاتِ التَّحْدِيَّاتِ الْوَاقِعِيَّةِ وَالْأَحْدَاثِ الْمَجْنُونَةِ، وَإِنَّ هَذَا

العقل وحتى هذه اللحظة لم يتعلم من أخطائه القاتلة والمدمرة لمستقبله.



هذا الاستعراض المحدد الذي بين بعض مكونات، وأسس العقل العربي، وإن هذا العقل لا بد له ولضرورة الضرورات وضغوطاتها من أن يتخلص من عقدة، إنه.. (**عقل استثنائي**)..، لا يخضع لأي نوع من عمليات النقد، لقناعته إنه فوق النقد، وأكبر من النقد.



وهذه القناعة هي التي قادت تلقائياً إلى انغلاق العقل العربي، وهذا الإغلاق والإنغلاق؛ هو الذي أنتج للعالم من العقل العربي.. (**العنف**)..، الذي كون وأظهر كل أنواع.. (**التوحش**)..، المشاهد اليوم علناً وواقعاً ملموساً ونشاهد، بل أصبح له سحره وتأثيره الكبير على الشباب العربي، فأدرك العالم كله أن العقل العربي هو من كون وشكل وإرادته هذا.. (**التوحش**)..، بل، إن منظري ومفكري استراتيجيات.. (**التوحش**)..، جعلوه الخيار الأفضل والأخير لقيادة العالم، وأعربوا عن اعتقادهم بأن معظم الخيارات الاستراتيجية القادمة، هي اختيار بين ما هو أقل شراً، وما هو أكثر شراً، في قادم الأيام، وإن ظروف المرحلة تجعل الحرب هي المتغير الذي لا يتغير وهو متغير مضمون النتائج ومأمون العواقب والتبعات، وإن نتائجها مواتية لهم. معنى هذا، وذلك، التفكير، وهذا التفكير جسده فكر ومحتوى كتاب : إدارة التوحش لمؤلفه بكر ناجي . والفكر. المتوحش يقوده العقل العربي الذي

يخططُ ويقررُ، ثمَّ ينفذُ وفقاً لمقتضياتِ مصالحه، وذلكَ عبرَ عملياتِ بالغةِ التعقيدِ، ويعابُ على العقلِ العربيِّ، وفي ظلِّ هذه الأحداثِ البالغةِ الجنونِ يتصرفُ بحساباتٍ غيرِ عميقةٍ، وغيرِ دقيقةٍ، وهي حساباتٌ عاجلةٌ ومستعجلةٌ نابعةٌ أصلاً منَ العقلِ العربيِّ التابعِ والصادرُ منَ مفكريِّ ومثقفي وفلاسفةِ تياراتِ الإسلامِ السياسيِّ وبمختلفِ توجهاتهم الأيديولوجية المتعددة.



أستطيعُ أن أقولَ إنَّ.. (الشعر العربي)..، ثمَّ الخطابةُ الشفويةُ المرتجلةُ، كانتُ أقوى أدواتِ وآلياتِ ووسائلِ العقلِ العربيِّ لنشرِ معاني وأفعالِ وكلماتِ الكراهيةِ، والكرهِ، والشرِّ، والطفانِ، والتناؤذِ، والتحاسدِ، والكذبِ، والنفاقِ، والرياءِ، والتفاخرِ، والفحشِ، والحبِ، والغزلِ، والتغزلِ، والفسقِ، والفجورِ، والجهرِ بالسوءِ، والسُّخَطِ، والاستحمارِ، والاستبقارِ، والاستهبالِ، والغباءِ، والبله، وغيرها.

أمَّا اليومَ، فأصبحَ الإعلامُ وبكافةِ وسائله وأدواته وآلياته، ووسائلِ وأدواتِ ومنصاتِ التواصلِ الاجتماعيِّ هي التي يتنفسُ عبرها العقلُ العربيُّ ليعبرَ عن نفسه وذهنيتيه وهموميه وأوجاعه وأمراضيه، ثقافته، وفكره. إنَّ الإعلامَ اليومَ آلةٌ ضخمةٌ جبارةٌ لا ترحمُ، ساعدتْ بقوةٍ على كشفِ معظمِ عوراتِ وسلبياتِ وسيئاتِ وتجاوزاتِ العقلِ العربيِّ.



العقلُ العربيُّ قد يرى، ولا يسمعُ، وقد يسمعُ ولا يرى، هذا حالُ العقلِ العربيِّ اليومَ، عندمَا رفضَ ورفضَ أن يخضعَ للنقدِ. العقلُ العربيُّ في وضعه

الحاليّ يشبهُ وضعَ عازفِ (البيانو) في فيلمِ (تيتانيك) الشهيرِ، فهو يعي جيداً بأنَّ السفينةَ ستغرقُ بمنْ عليها، ولكنّه معَ ذلكَ ظلَّ يعزفُ ويعزفُ ويعزفُ حتّى اللحظةِ الأخيرةِ من بداياتِ غرقِ السفينةِ (تيتانيك). هَذَا وضعُ العقلِ العربيّ يعكسُ بما لا يقبلُ الشكَّ اتجاهَ الأمزجةِ في العالمِ العربيّ. أزعَمُ إنّه لا أحدَ يختلفُ معيَّ حولَ حجمِ وطبيعةِ القلقِ والتوترِ الذي يعصفُ بفئاتٍ واسعةٍ من الأمةِ العربيةِ وتياراتها المختلفةِ منْ تدهورِ أوضاعِ العقلِ العربيّ، وخطابهِ المتشددِ والمتطرفِ وشعاراتهِ المتشنجةِ والمثيرةِ للانقسامِ والكراهيةِ في الأمةِ. وهو خطرٌ حقيقيٌّ، وأعني الانقسامَ حتّى هذهِ اللحظةِ الحاسمةِ من تاريخنا تبعثُ على اليأسِ والتشاؤمِ والهلعِ من الآتي المجهولِ في حالِ كسبِ المزيدِ من التنامي من أصواتِ التطرفِ والتشددِ، والعربُ غالبيتهم مازالوا يقدمونَ مخاوفهم من تداعياتِ ذلك.. (التوحش)..، الذي يشكّلُ خطراً حقيقياً على منظومةِ قيمهم وأخلاقهم ومبادئهم التي يعتقدونَ بأنّها أضحتْ مهددةٌ في الصميمِ ، والانطباعُ الأهمُ الذي يمكنُ استخلاصه من.. (التوحش)..، هو ما يتركه من تراكماتٍ جديدةٍ تضافُ على سابقتها، والمؤسفُ - حقاً - أنّ العقلَ العربيّ ليسَ محصنٌ كما يعتقدُ البعضُ ضدَّ فيروسِ.. (التوحش)..، فالتحذيرُ الذي واجهه عقلاءُ وحكماءُ ومفكرو ومثقفو وفلاسفةُ الأمةِ العربيةِ سيرغمُ أهلَ الربطِ والعقدِ والحلِ، على التفكيرِ والتمعنِ في هواجسهم المشروعةِ، وبالتالي سيتحتّمُ عليهم النظرُ بجديّةٍ قصوى إلى تزايدِ احتمالاتِ ارتداداتِ

عقلية تنبئ بمزيد من الانقسامات الحادة، والارتباك في المجتمع العربي. وإنما أيضاً في صفوف المفكرين والمثقفين، بسبب أزمة العقل العربي المستفحلة، والقناعة السائدة في الأوساط الفكرية والثقافية هي المستقبل، وهي أن الاتفاق على نقد العقل العربي هو الحل لإيقاف زحف تخريب وتهشيم العقل العربي. إن.. **التوحش**...، لن يحل الاشكالات القائمة، كما لا يمكن للجدران العازلة والطائرات والصواريخ والمدفعية والمدافع والرشاشات أن تصد شراسة وعنفاً هذا.. **التوحش**...، لأن هذا التفكير يؤكد أن الأمة العربية بأسنة ضاقت بأبنائها السبل، ونهشت الخلافات والانقسامات لحمة مجتمعاتها المنكوبة، ووقعت الأمة في هذا المأزق التاريخي والسياسي والعسكري؛ لأنها تناولت الأمور بسطحية متناهية، ولم تسمح بأي نوع من المعارضة في المجتمع. في إطار إدراك الحقيقة ما فعله ويفعله عقلها، بدعم واسع من أعداء الأمة. وبالتالي ليست ممهدة في الداخل فقط وفق ما هو الاعتقاد السائد في العقول العربية.



إن تعطيل نقد العقل العربي وتفكيره ليس فكرة ساذجة فحسب، وإنما أيضاً غير منطقية، ولم تحترم مستقبل الأمة، بل عملت على تأخره ولهذا أؤكد أن.. **التوحش**...، سوف يستمر ويكرر تهديداته لمستقبل الأمة العربية. هذا يعني شيئاً واحداً هو بناء الأمة العربية، والعقلاء والحكماء من أبنائها، لن يكتفوا بذلك التحذير، إذ سيواصلون يومياً انتقاداتهم الحادة والجريئة والموضوعية.

وسوف يتجدد النقاش في هذا المجال وداخل وخارج حدود الوطن العربي. وأكد أن الثمن سيكون باهظاً الذي سندفعه مقابل هذه السياسات والاجراءات المعمول به حالياً. لأنّ العقل العربي لدى صانعي القرار والاستراتيجيات سمح بتدفق أعمال.. **التوحش** ..، مبكراً من دون التفكير في أبعاد قراراتهم على المستقبل. إنّ الدين الاسلامي لا يزال يعتبر المؤثر الأول في تركيبة وذهنية العقل العربي، وفي كل مجريات وفعاليات الحياة. إنّ سياسات العقل العربي أثرت على أيديولوجية القرار والتفكير المستقبلي للأمة العربية. لن أكون مبالغاً حين أقول أنّ .. **التوحش** ..، الذي صنعه العقل العربي يعدّ إحدى الأيديولوجيات الرائدة في حكم الأمة العربية في الحقبة القادمة.



المؤسف، بل المخزي، أنّ العقل العربي لم يستطع التصدي لعواصف وسيول الانتقادات الآتية من خصومه ضد أفكاره وآرائه. فالعقل العربي يلتف وسط زحام المشاغل والانفعالات والمشكلات حول نفسه. فلم يستطع تخطي الأسلاك الشائكة التي نصبها له خصومه من العقول الأخرى. بينما مازال يتعثّر في كل خطواته وإجراءاته، وهو يسير في طريقه للعثور والإمساك بالمفصل العقلاني الذي يعنيه على إرتقاء سلم النجاة. فهذا العقل العربي يعاني كما يبدو لي، ولغيري، من تقييم مبالغ فيه لنفسه ولأمته وقدراته لدرجة اعتقاده الخاطئ؛ بأنه محصن ضدّ كل أشكال الانتقادات.



وأيضاً، أكتبُ هنا أنني لا أستبعدُ وأنا متابعٌ منذُ سنواتٍ للعقلِ العربيِّ
أنْ يصيبَ العقلَ العربيَّ **انهيارٌ عصبيٌّ** إذا ما واصلَ التمسكَ بعنادٍ باستراتيجياته
وآرائه وأفكاره وسياساته التي رفضها ويرفضها العالمُ، وهي اتجاهاتٌ لا
عقلانيةٌ. **إنَّ ما أوصلَ العقلَ العربيَّ لهذه الدرجة من الانحطاطِ والتردي والتسفلِ
والاستحمارِ والاستبقارِ والبلهِ والاستهبالِ**، هو تقوُّعُ العقلِ داخلَ حدوده
الجغرافية. هذه رذيلةٌ من رذائلِ العقلِ العربيِّ. فلقد غطسَ في ماءٍ أكبرِ من
حجمه ففرق. فدخلَ في حالاتِ الانكماشِ المفاجئةِ، للاهتمامِ بإيجادِ
معالجاتٍ عقلانيةٍ مقبولةٍ، كونتُ مشكلاتٍ لم تعطُ حقها من الدراسةِ
والبحثِ والفحصِ والتفكيكِ مثل تفشي.. (**ظاهرة العنصرية**)..، داخلَ
مكوناتِ المجتمعِ، وتزايدِ المخاطرِ منها، ممَّا أدى إلى تنامي نشاطاتِ
المجموعاتِ العنصريةِ المتطرفة.



تأكيداً، لا أحدٌ يعرفُ مضمونَ التقليلِ التي خلقها.. (**التخلفُ العقليُّ
العربيُّ**)..، لمعالجة أكبرِ، وأهمُ المشكلاتِ والفتنِ التي تعرضَ لها، مثل قضيةِ
.. (**فتنة خلق القرآن**)..، وما رافقها من خطواتٍ عاصفةٍ خلقتُ أيضاً تقليلِياتٍ
فكريةً وثقافيةً عاتيةً. بالطبع، لا يمكنُ أحداً أن يتجاهلَ حجمَ التغيراتِ
الهائلةِ التي ضربتُ وتضربُ في عمقِ البنياتِ العقليةِ العربيةِ التي ترسخُ وجودها
في العقودِ الماضيةِ، وأصبحتُ تشكلُ مرجعياتٍ في مجالاتها. إنَّ تمَّ النظرُ

مبكراً - منذ ذلك - الزمن إلى الأحداث الضخمة والخطيرة والمتسارعة التي
مرت على الأمة العربية بسبب تلك الفتنة الكبرى، لكن، قد يغيب، أو غاب،
عن أذهان بعض الذين طالتهم تلك التقلبات إنها آثرت على منظومة
أفكارهم وآرائهم واحترافية عقولهم وامكانياتهم الثقافية والمعرفية، هذا
يعني في جانب منه، إن ما قام به العقل العربي - حينذاك - تجاه **فتنة خلق**
القرآن، مزق وشتت الأمة إلى فرقٍ وشيعٍ، ولم يستطع إحتواء الأزمة، ولو كان
على مبدأ.. (**الفك والتركيب**)..، طالما بدا واضحاً أن هذا المبدأ يقوم على محاولة
الوصول إلى العقول المميزة والفريدة، والتي تستطيع، أو باستطاعتها تشكيل
جماعات متجانسة، غير قابلة للانشطار الفكري والثقافي، أو للإنقسام
العقلي. وكان لتلك الجماعات التفوق على.. (**الإقصاء**)..، الذي لا يستثني،
ولم يستثني، أحداً في تلك الفتنة من تهم عقائدية خطيرة.



بالتأكيد، لو قام العقل العربي في فعاليات تلك الفتنة بفوز مفهوم جديد
لوجه الفكري العربي، الذي يبدو للوهلة الأولى إنه غير قابل لمبدء الإقصاء،
لكن العاصفة الهائجة في تلك الفترة طالت هذا المفهوم في الصميم، ولو أن
البعض من العقول السلطوية الحاكمة - حينذاك - تنازلت عن فهمها جزئياً،
وعملت على إيجاد بعض الانسحابات لوجد المخرج لتلك الفتنة الكبرى، والتي
نصبت ضد مصلحة العقل العربي وأمته، والتي جرى الترويج لها على أكثر
من صعيد فكري وثقافي.



أجواء العقل العربيّ قد تكون مشحونةً بالتوتر، والقلق، والانفعالات، ما يجعل الجسد العربيّ في حال استنفار مستمرٍ والعقول التي تعمل في مثل هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والقلق والانفعالات، معرضون أكثر من غيرهم للأمراض النفسية، والعصبية والقلبية.



إنّ العقل العربيّ لم يفهم مثل العقل الغربيّ المتزن مثل هذه الخلفيات التي تؤثر على إنتاجياته. فليست هناك مهنة في عقلية منأى عن الضغوط والتوترات، فكل مهنة عقلية مؤثراتها الضاغطة التي يرجع بعضها إلى تركيبة العقل الذي ينفذ المهمة، فالتفكير، وإنتاج الفكر مهنة المتعب؛ نظراً إلى ما تفرضه على ممارسيها من ضغوطات نفسية تستنزف طاقتهم وأعصابهم إلى درجة إنَّها قد تؤدي إلى الاحتراق النفسي، بحيث يصبح الفكر من شر الضغوطات النفسية بسبب التعب والجهد والارهاق والتفكير المتواصل في تحقيق النجاحات والشهرة والخوف من الفشل وضغوطاته، ولكثرة الإشاعات التي يتعرض لها من حين إلى آخر. وهذا ما عانى ويعاني منهم المفكرون العرب مثلما حصل لكثير منهم مثل: الشيخ على عبد الرازق، والدكتور طه حسين، وسلامة موسى، والدكتور عبد الله النفسي، وجورج طرابيشي، ومحمد عابد الجابري، ومحمد جابر الأنصاري، والدكتور عبد الله الغدامي، والدكتور تركي الحمد، والدكتور محمد نصر أبو زيد، وفرج فوده، وعبد الله القصيمي، ومؤلف هذا الكتاب.

لَمْ يَعْ، وَلَمْ يَدْرِكْ، وَلَمْ يَفْهَمْ، وَلَمْ يَتَفَهَمْ، الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ هُوَ
لَأَمْرٍ وَاحِدٍ لَا ثَانِي لَهْ، وَهُوَ.. (**الحوار**)..، فَإِنَّ لَمْ يَسْتَوْعَبْ وَيَتَعَامَلْ مَعَ هَذِهِ
الْحَقِيقَةِ الرَّاسِخَةِ، أَكَّدَ هَذَا الْعَقْلُ أَنَّهُ ..[**جاهل**]..، ..[**وأما**]..، ..[**خائن**]..، لَأُمَّتِهِ
وَمَهْمَتِهِ التَّفَكِيرِيَّةِ. فَلَا بَدَّ أَنْ يَقَدَّمَ نَفْسَهُ لِلْعَالَمِ عَلَى أَنَّهُ.. (**عقل سلام ومجبة**)..،
يَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ إِسْعَادِ الْبَشَرِيَّةِ. هَذَا لَا يَنْضِي قَطْعًا أَنْ يَعِدَّ الْعِدَّةَ لِتَشْكِيلِ قُوَّةٍ
تَرْهَبُ عَدُونًا وَعَدُوَ اللَّهِ، مِنْ أَسْلِحَةٍ مَتَطَوَّرَةٍ لِلدِّفَاعِ وَالْحِمَايَةِ لِمَكْتَسَبَاتِ
وَمَقْدِرَاتِ الْأُمَّةِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَوْسِسَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْغَرِيبِيَّةِ. وَأَنْ لَمْ يَفْكَرْ فِي هَذَا
الْمَحِيطِ، فَإِنَّ عَكْسَ ذَلِكَ يَعْنِي ضِيَاعَ وَأَضَاعَتَ حَقُوقِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ بِسَهُولَةٍ.
صَحِيحٌ لَا بَدَّ لَهُ أَنْ يَفْهَمَ حَجْمَ التَّهْدِيدَاتِ الْمَحْتَمَلَةِ، فَيَعْمَلُ عَلَى تَوْفِيرِ قُدْرَاتِ
دِفَاعِيَّةٍ مَتَطَوَّرَةٍ لِمُوَاجَهَةِ تِلْكَ التَّهْدِيدَاتِ، وَلِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَاتِ لَا يَحْتَاجُ الْعَقْلُ
إِلَّا إِلَى.. (**النقد**)..، وَلِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ لَا يَحْتَاجُ.. (**النقد**).. إِلَى.. [**صد**]، وَحَظْرِ
[**وسخط**]..، **صد** الْهَجْمَاتِ، وَالْحَظْرِ أَعْنِي بِهِ حَظْرَ.. **العناد**.. أَثْنَاءِ النِّقْدِ، أَوْ
السَّخَطِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. حَتَّى يَهْتَمُّ الْعَقْلُ بِمُصَالِحَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا. وَيَكْفَى
قَلِيلًا عَنْ دِفَاعَاتِهِ الْمَتَكَرِّرَةِ؛ مِثْلِ النِّفَاقِ وَالْكَذْبِ وَالتَّعَالِيِّ وَالفُوقِيَّةِ وَالرِّيَاءِ
وَالْتَمَلُّقِ وَالمَجَامَلَاتِ وَالعَنْصَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَمْرَاضِ الَّتِي يَعْانِيهَا.



وَهُنَا أَحْذَرُ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ مِنْ أخطارِ الإفراطِ فِي اسْتِخْدَامِ الْعُقُوبَاتِ ضِدَّ
المفكرينَ وَالمثقفينَ وَالفلاسفةَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ؛ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَةِ

الأمة العربية. لأنَّ العقوباتِ تضعفُ موقفَ المفكرِ والمثقفِ والفيلسوفِ والكاتبِ في أثناءِ ممارسةِ النقدِ، فتكونُ فاعليةُ العقوباتِ شديدةً التأثيرِ عليه.



لَمْ يستفدُ العقلُ العربيُّ منَ الكثرةِ بتوظيفها في الزوايا التي تضبطُ السلوكياتُ الأخلاقيةُ والفكريةُ والدينيةُ والثقافيةُ، ولخلقِ التوازنِ بينَ لحظاتِ التفكيرِ، ولحظاتِ الإنتاجِ هذا يحتمُّ على العقلِ العربيِّ أنْ يستفيدَ منَ المفكرِ والمثقفِ الذي يمتلكُ خزاناً بليغاً منَ المعلوماتِ والحقائقِ، فهمُ عكسَ الذين يقتعدونَ الأرضَ، ويلتصقونَ الجدرانَ لما أصابهم منَ اليأسِ لإصلاحِ العقلِ وما يرافقُ ذلكَ منَ تمططٍ للموقفِ الواحدِ. والعقلُ يعرفُ مقدماً أنَّ مَنْ أصابه اليأسُ منَ المفكرينَ والمثقفينَ والكتابِ؛ يكونُ ردُّ فعله هو..(الصمت)..

و..(التزام الحشمة العقلية)..، وربما يتجهُ ويفرقُ في حيرةٍ ونظراتٍ مزعزعةٍ الثقة. وإلا وفي الأخير سيجدُ ذلكَ المفكرِ، أو المثقفِ والكتابِ نفسه مسجوناً داخلَ تبعيةٍ أيديولوجيةٍ غيرِ التي تريدها الأمةُ، أو أنْ تتحكمَ فيه ظروفٌ تخرجه عن صوابه واتزانهِ، فيظهرُ التناقضُ بينَ مختلفِ الأهدافِ التي تزيدُ منَ مساحةِ اللخبطةِ، وهذا ما أظهرَ بوضوحٍ على المشهدِ العربيِّ.. [ظاهرة المعارضة السياسية] ..، وبكلِّ أشكالها .

وإذا تعطلت..(الحشمة).. في عقلِ المفكرِ، أو المثقفِ فإنه تتقمصه أجسادُ ثقافيةٌ داخلَ أجسادِ فكريةٍ، تظهرُ بمبالغاتٍ يصعبُ حصرَ ملامحها. وهنا يزرعُ..[الشك]...، في ذاتِ المفكرِ، أو المثقفِ، معَ غيابِ الرؤيةِ المتكاملةِ للعقلِ،

لأنه قد تقفز في لحظة ما عبث قصوى، تقصف بالأفكار والرؤى والآراء.



الخصوصية والتفرد، فكل عقل بشري سياقاته الخاصة التي ينعكس من خلالها إفرزات على إنتاجه العقلي في شكل عام. ويمكن معرفة وتحديد ذلك عن طريق مراقبة ومتابعة أماله وأحلامه وعلاقاته بالتراث، فقد تكون شديدة التعقيد، وقد تكون مهتزة، ولكل عقل بشري نمطاً خاصاً على المستوى الفكري والثقافي والديني والسياسي والاجتماعي، ويبني عليه أفقاً مستقبلياً ورؤية صافية أكثر رحابة، وأكثر انفتاحاً على الآخر.



إنّ العقل العربيّ كي يُنقذ؛ كان ينبغي أن يعملَ جرداً تاريخياً مفصلاً عن إنتاجاته واتجاهاته وإنجازاته وسلبياته وإيجابياته، لأنّ ذلك يُحقّق تقارباً في التجارب التي طرحت أسئلة عميقة حول قضايا ومشكلات الإنسان العربيّ، كما أنّ الغرض من ذلك تقريب المواضيع والأساليب العقلية التي تدخلت لإيجاد العلاجات لتلك القضايا والمشكلات. فقد تكون تلك المعالجات قد تسرّبت إلى أذهان فئة غير يسيرة من الشعوب، فلم يفهموا المعطيات والأفكار التي طرحت بأنماط مغايرة. فلم يُعوا مقارنة اختلافات موضوعاتها، وطرائقها العقلية، المتفاعلة مع محيطها القريب والبعيد، فقد يكون العقل العربيّ صناعة ملامسة قضايا الأمة بغيرها، حسب فهمه للتغيير والمتغيرات المتعددة، وارتباطها بالذات والآخر، والمكون الاجتماعيّ، ومسألة

الهوية. لقد قدم العقل العربي مؤخرًا في إخراجاته، انتصاراته لقيم الأخلاق والتعايش والتنوع التي حكمت تاريخ هذه الأمة من جهة، والضاربة الجذور والامتداد في الفكر العربي، وهذا عائدٌ لعدم ممارسة نقد العقل العربي. ولذلك فهو لم يستطع الوقوف في وجه بعض الرؤى الفكرية المضادة أو المعاكسة، لاسيما أن الحياة وتحدياتها ومشكلاتها الكثيرة شجعت طرفًا على حساب الآخر وفقًا لإستراتيجية الشر والخير، مع غياب مكشوف لإستراتيجية محكمة تُلغي السابقة لتضعيف التوجه الأيديولوجي ضد غيره خلال حقب معينة.



واللافت للنظر، أن العقل العربي اتجه، في مراحل من تاريخنا، وركزَ واهتمَّ كثيرًا إلى خطاب تحريم الفن وتكفير وزندقة المفكرين والمتقنين والكتاب والشعراء وغيرهم، ولم يتعرض لمعالجة قضايا الكبرى ومشكلات المجتمع الحقيقية مثل: قضايا تعدد الزوجات، وقضايا المرأة والحرية والجنس والدين والتعصب والعنف والتطرف والإغتصاب وقضايا الحج والعمرة وغيرها، وغيرها.



المؤلم، المخزي، العار، أن العقل العربي حين فكّر في الاتجاه للتعامل مع لغة.. (الحوار).. و.. (النقاش).. و.. (التقارب)..، تسرب العنف، وأساليب.. (الوقاحات).. و.. (البذاءات).. إلى [الحوار].. من خلال أطراف وأعضاء

الحوارِ وأحاسيسِ كلِّ عضوٍ بالفوقيةِ والتعالِي على الطرفِ الآخرِ، فأدّى ذلكَ إلى تعطيلِ لغةِ التواصلِ الإجماعيِّ، وقُطعتْ أساليبُ التقاربِ والتفاهمِ، فتأزّمتِ الرؤيةُ المطلوبةُ للتقاربِ والتفاهمِ. لكنّ اللافتَ في الأمرِ، أنّ بعدَ أجزاءِ الحوارِ لحلِّ أشكاليةِ ما، ولا يتفق أطرافُ الصراعِ، تتشَبُّ أزماتٌ مستجدةٌ، وربّما حروبٌ طاحنةٌ، تَأْكُلُ الأخضرَ واليابسَ، مثلما وقعَ في اجتماعِ جده لحلِّ أزمةِ الغزوِ العراقيِّ للكويتِ، وهذا ما يُحيلُ إلى أنّ بعضَ الأطروحاتِ التي ترى أنّها في طريقها للحلِّ، يظهرُ ما يؤكّدُ مقولةَ المفكّرِ السعوديِّ الكبيرِ عبدُاللهِ القصيميِّ والتي تقول: [.. **أنّ العربَ ظاهرةٌ صوتيةٌ** ..].

وكتبَ كتابًا في هذا التوجّهِ الفكريِّ، صدرَ في عامِ 1977م، ويقعُ في صفحة (801) حيثُ كَتَبَ القصيميُّ يقولُ: ((إنّه لا أضيعُ أو أخسرُ أو أرددُ حظًا ومجدًا من كتابِ عظيمٍ أو جيدٍ يتكلّمُ اللغةَ العربيّةَ ويكُتّبُ بها مخاطبًا الإنسانَ العربيُّ. إن اللغةَ العربيّةَ لن تكونَ إلا كفنًا غيرَ مجيدٍ أو نظيفٍ لكلِّ فِكْرٍ أو معنَى عظيمٍ أو حرٍّ أو صادقٍ أو شجاعٍ أو مبدعٍ يكُتّبُ بها أي لو كُتِبَ بها .. وهل حَدَثَ أنّ كتبتَ بها ؟.

الشمسُ بصمتٍ ..

أم القمرُ بصراخٍ؟

إنّ العربيَّ ليرفضُ الصعودَ إلى الشمسِ ممتلكًا لها إن كان ذلكَ بصمتٍ ليختارَ التحدّثَ بصراخٍ ومباهاةٍ عن صعودِهِ إلى القمرِ وامتلاكِهِ له أي بلا صعودٍ ولا امتلاكٍ. إنّ العربَ ليظلّونَ يتحدّثونَ بضجيجٍ وادعاءٍ عن أمجادِهِم

وانتصاراتهم الخطابية حتى ليذهبون يحسبون أن ما قالوه قد فعلوه، وأنه لم يبقَ شيءٌ عظيمٌ أو جيدٌ لم يفعلوه لكي يفعلوه..

إن من أصلٍ وأرسخٍ وأشهرٍ مواهبهم أن يعتقدوا أنهم قد فعلوا الشيء؛ لأنهم قد تحدثوا عنه. أليسوا قد فعلوا أمجادَ وانتصاراتِ حربِ أكتوبرِ لأنهم قد قالوا إنهم فعلوها؟ أليسوا قد اعتقدوا ذلكَ لأنهم قد تحدثوا عن فعلهم له؟ أليسوا قد فعلوا كلَّ أمجادِ وحضاراتِ وإنسانياتِ التاريخِ لأنهم قد قالوا ذلك؟ أليسوا قد قالوا ذلكَ لكي يعتقدوا أنهم قد فعلوه؟ أليسوا قد قالوه ليكونَ بديلاً عن أن يفعلوه؟.

إنه لن يقاسيَ من الضياعِ والاعترابِ مثلُ مَنْ يتحدّثُ إلى الأذانِ والعقولِ والأخلاقِ والاصالةِ العربيةِ بغيرِ الصهيلِ والتهاويلِ والاختراقِ لكلِّ حواجزِ وشروطِ و أوامرِ المنطقِ والذكاءِ والتهذيبِ والوقارِ والصدقِ والحبِّ والتواضعِ والرؤيةِ بعيونٍ غيرِ كاذبةٍ أو منافقةٍ أو جبانةٍ أو عمياءٍ أي بعيونٍ غيرِ عربيةٍ أي بعيونٍ ليستْ أميةَ الرؤيةِ والقراءةِ والتفسيرِ والتفكيرِ والحوارِ والأخلاقِ .

إنه في كلِّ التاريخِ العربيِّ، في كلِّ الوطنِ العربيِّ لم يحدثْ ولن يحدثْ أن يعلوَ أن يُسمَعَ، بكلِّ الجرأةِ والقوةِ والحريةِ ومشاعرِ الأمنِ والمباهاةِ والكبرياءِ من فوقِ كلِّ منبرٍ إلا الصوتُ الجاهلُ، أو المنافقُ الكاذبُ، أو الدجالُ، أو الأبلهُ، أو الفاجرُ!. لهذا أتمنى بلُ وأطالبُ أن يُكتبَ فوقَ كلِّ منبرٍ عربيٍّ وعلى غلافِ كلِّ كتابٍ عربيٍّ وعلى الصفحةِ الأولى من كلِّ صحيفةٍ عربيةٍ وعلى كلِّ قلمٍ وفمٍ عربيٍّ هذا الهتافُ، أو الإنشادُ، أو التمجيدُ:

**أيها الكذبُ البليدُ، أيها النفاقُ المفضوحُ، أيها الغباءُ الجاهلُ، أيها الجهلُ
الغبيُّ، أيها الصهيلُ العقيمُ البذيءُ، أيها السقوطُ، أيها العارُ الفكريُّ والنفسيُّ
والأخلاقيُّ والفنيُّ والتعبيريُّ.. إنَّ المجدَّ والسلطانَ لكَ.**

إنَّ التفسيرَ الدائمَ الشاملَ الصادقَ للإنسانِ العربيِّ، أنَّه الكائنُ الذي لا
توجدُ أيةُ علاقةٍ محاكمةٍ، أو محاسبةٍ، أو محاورةٍ، أو مساءلةٍ، أو غضبٍ، أو
رفضٍ، أو احتجاجٍ، أو حتَّى عتابٍ بين لسانه وعينيه، أو تفكيره، أو ضميره،
أو إرادته، أو قدرته، أو حقيقته، أو كينونته، أو نيته، أو أيِّ شيءٍ من حياته،
أو مواجهاته).



رغبتني هنا أن أصلَ إلى نتيجةٍ مفادها أن ما نراه من هشاشاتٍ واضحةٍ في
بعضِ الأجزاءِ من الانفراجاتِ التي يُنتجها العقلُ العربيُّ في ملفاتِ بعضِ
الأزماتِ والقضايا الكُبرى في ساحاتِ الصراعاتِ العربيةِ، لا تعني، ولا
تكشِفُ بالضرورةِ أنَّها انفراجاتٌ عابرةٌ. تلكَ الهشاشاتُ ينبغي أن تستدعيَ
المزيدَ من التصميمِ العقليِّ الجادِ، كي تتحوَّلَ فرصُها المتاحةُ منها إلى
سياساتٍ حازمةٍ عازمةٍ في فرضِ وتنفيذِ الحلولِ والمعالجاتِ الجديدةِ. فكانتُ
لدى العقلِ العربيِّ حلولٌ جاءتْ ببريقِ أملٍ، وتستحقُّ الجديدةَ والاهتمامَ وضبطَ
مساراتها وتحجيمَ انفعالاتها، وتقنينَ غضبها بدلاً من عبثيةِ الإستخفافِ
بمستقبلِ الأمةِ. المسؤوليةُ وحدها تقعُ على أكتافِ مفكريِّ ومنتقفيِّ وفلاسفةِ الأمةِ
العربيةِ، لو أعطوا الفرصةَ الكاملةَ للمشاركةِ في وضعِ وصياغةِ الحلولِ العقليةِ الرصينةِ

والمنطقية والواقعية. وأدرك كمتقفٍ عربيٍّ أن أولئك المفكرين والمثقفين والفلاسفة لا يمكنُ لهم أن يكونَ من ضمنِ حلولهم ومعالجاتهم أن يطرحوا أسئلةً تستجدي إجاباتِ الحاكمِ العربيِّ. يفعلونَ ذلكَ في حالةِ تمتعهم بحصانةٍ وحمايةٍ تمنحهم الحريةَ الكاملةَ لقولِ الحقِّ وشرحِ الحقيقةِ ومواقفها. لمعرفةِ وعلمِ المفكرِ والمثقفِ العربيِّ، أن حريةَ الرأيِ من دونِ معلوماتٍ وحقائقٍ صادقةٍ ونظيفةٍ تصبحُ حريةً جهلٍ وعدمَ معرفةٍ، وعدمَ تقديرِ المسؤوليةِ. هذا لا يُعطي الأخرينَ من عقلاءٍ وحكماءٍ الأمةَ من المسؤوليةِ، ولا يبرئهم من المحاسبةِ والعقوبةِ على ما وصلتُ إليه الأوضاعُ في الأمةِ العربيةِ.



تحتاجُ الأمةُ لفريقٍ إنقاذٍ لخلقِ التفاهماتِ باختلافِ مستوياتِ المساهمةِ العقليةِ، لإعادةِ صوغِ التركةِ الكبيرةِ التي تركها من قبلنا من شعوبٍ وأممٍ، وسجلِّها التاريخُ باسمهم، ولم يجدوا لها انفراجاتٍ بصدقٍ، مثلما وقعَ في القضيةِ المركزيةِ العربيةِ وهي قضيةُ فلسطينَ وما فعله الأجدادُ من تخاذلٍ وسفهِ سياسيٍّ، فضاعتُ فلسطينُ بسببِ أفكارهم وتفكيرهم العقليِّ الضيقِ. إن ما فعلوه مع اليهود - هكذا أتصوّرُ الأمورَ- إنَّها كانتُ مجردَ ..[مناورةٍ]..، أو ..[مناوراتٍ]..، ليستُ إنتاجاً يهودياً فحسبُ، بقدرِ ما كانَ تفكيكها صناعةً بريطانيةً.



كانَ العقلُ العربيُّ غيرَ صادقٍ في سعيه وراءَ إحداثِ اختراقاتٍ في ملفِ

الصراع الإسرائيليّ، الفلسطينيّ. أريدُ أن أدوّن هنا أنّه في - نظريّ - هكذا أرى الأمور أنّه ليسَ هناك من سببٍ للثقة في العقل العربيّ، الذي كان وما زال يظنّ - مخطئاً - أنّ الانفراجات الهشة ستؤدّي إلى إنتاج حلولٍ أو معالجاتٍ لأزماته، تخلُق معها نقلةً نوعيةً في الفكر والتفكير وفي الثقافة والتطوير. إنّ انعدام الثقة فيما بيننا وعدم فهمنا، وتفهمنا للغايات التي يُضمرها ويصنعها ضدنا أعداؤنا، سيجعل من السذاجة وجود توفّر قدرة لبناء التوقعات المستقبلية لأوضاعنا وأحوالنا؛ إنّما لعلّ من الواقعية أن يفكّر مفكرو ومثقفو الأمة العربية في كيفية البحث عن بدائلِ الحلول المطروحة أمامنا، ولا تناسبنا، ولا تناسب عقول قضايانا ومشكلاتنا. فهذا التفكير ربّما يساعد على خلق مبادرة تتجه إلى استدراك ما فاتنا، والبحث العاجل عن بدائلِ الحلول. نبحث من البداية عن نقلاتٍ نوعيةٍ يخلُقها العقل العربيّ بعيداً عن صناعة **موجات الشتائم والسبّ والقذح**، والتي أصبحنا مهرةً ومبدعين في صناعتها، وعبر فنون من السلوك السفيفه والساقط ومختلف قيم التسفلّ والسفالة والاستهبال، هذه السلوكيات العربية التي باتت عامةً وشاملةً، شكّلت صفقات في العقل العربيّ، وكأنها مرضٌ وبائيّ اجتاح المجتمع العربيّ الواقف على حافة الانهيارات، **ونفعل كل ذلك بكل صفاقة ووقاحة وفوقية وتعالٍ وكبرٍ وتكبرٍ**، بل محملةً بالسخرية العنصرية من الآخر العربيّ من أعدائه وخصومه في مجالات عدة. بل إنّ هذا.. **(النهج)**..، الذي صنّع مفردات السبّ والشتيم والقذف

وغيرها، أصابنا في جرحنا النرجسيّ، ولكنّه - للأسف - لم يعرض أمامنا مستويات الخبيبات التي لحقنا بسببه. هذا هو.. (عمى البصيرة) ..، الذي أصاب العقل العربيّ، وقدّم للعالم عيناتٍ حقيقيةً عمّا نعيشه في بلداننا من تفسّخ وانخلاع للأخلاق والقيم والمثل والعادات والتقاليد والضوابط.



إن.. (عمى البصيرة) ..، والاستحمار والاستبقار والاستهبال والبله والغباء، الذي أصاب العقل العربيّ هو الذي خلق وصنع وصاغ انقساماتنا وتشققاتنا، وقادنا إلى مناخاتٍ عامةٍ كشفت قرب انهيارنا. إن من علامات [التفوق] ..، و [العبقريّة] ..، التي يدعيها العقل العربيّ هي ما ظهر في الإنتاج الشعريّ العربيّ منذُ عصور الجاهلية، وحتى اليوم، فهذا شاعرهم الأعظم أبو الطيب المتنبي يقول في قصيدته : واحرّ قلباه؛

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرأها ويختصم
ويقول أيضاً :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدًا
وفي بيت آخر يقول وفي نفس القصيدة :

ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي والأخر الصدى
وهذا الشاعر العربيّ أبو فراس الحمداني يقول :

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ومن شعراء الجاهلية الشاعر الكبير عمرو بن كلثوم يقول في معلقته

الشهيرة:

نَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا

وفي أبيات أخرى يفاخر ويقول بكل غرور وغطرسة وكبرياء:

رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِيْنَا وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقِدَ فِي خَزَايِ

تَسَفُّ الْجَلَّةُ الْخُورَ الدَّرِيْنَا وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ بِإِذِي أَرَاطِي

وَنَحْنُ الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا وَنَحْنُ الْحَاكِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا

وَنَحْنُ الْآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِينَا

مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلُوهُ سَفِينَا

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

ثم يختم معلقته بأبيات كلها فخر واعتزاز وكبر وتكبر فيقول:

وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلُوهُ سَفِينَا مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا

تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ

ولقد أبدع العقل العربي في صناعة أرقى وأفضل وأكبر صناعات

.. (الفكر النفاقي للسلطة)..، فهذا الشاعر العباسي، أبو هاني الأندلسي يقول

لحاكمه الخليفة الفاطمي الإمام المعز لدين الله:

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتْ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

فكأنَّما أنتَ النبيُّ محمدٌ	وكأنَّما أنصارك الانصارُ
أنتَ الذي كانتَ تُبشِّرنا بهِ	في كُتُبها الأخبارُ والأخبارُ

وَعندما فشلَ، ويفشلُ، العقلُ العربيُّ فإنَّه يتجهُ فوراً بإلقاءِ اللائمةِ على فقرِ الامكانياتِ، واندثارِ الحضاناتِ، وضعفِ الحقائقِ، أو غيابها، وفقدانِ الجِدِّ، وغيابِ الإخلاصِ. يقولُ العقلُ هذهِ الردودُ عندما تطرَحُ أمامه أسئلةٌ: لماذا لمْ تبلغِ الأهدافُ المرجوةُ لرفعِ مستوى الأمةِ العربيةِ؟



أرى أنَّ العقلَ العربيَّ ساعدَ على زيادةِ معاناةِ المفكرينَ والمثقفينَ والفلاسفةِ حينَ اتجهَ إلى عمليةِ.. (الوادِ)..، ونشرِ أساليبِ.. (الإحباطِ)..، فقتلَ الكفاءةَ، وحوطَمَ الجدارةَ، وأجهضَ مختلفَ أشكالِ ومستوياتِ العبقرياتِ في الذاتِ العربيةِ، وحدَّرَ الطموحَ، وبدَّدَ الأحلامَ، وأضعفَ الامكانياتِ البشريةَ. ممَّا جعلَ العالمَ العربيَّ **تنتشرُ فيه ظاهرةُ (هجرةُ العقولِ)**، إلى الغربِ أيَّ أنَّ العقلَ العربيَّ متخصصٌ في دعمِ الفشلِ ونشره وموازرةِ الفاشلِ، فتُحبطُ كلُّ القدراتِ العقليةِ، وتُخمَرُ العبقرياتُ.



وفي جانبِ دورِ المثقفِ والسلطةِ والعلاقةِ بينهما؛ كَتَبَ المفكرُ المصريُّ المعروفُ، ووزيرُ الثقافةِ الأسبقُ الدكتورُ جابر عصفور، دراساتٍ نشرَ عنها بجريدةِ الحياةِ بعدها (19384)، وتحتَ عنوانِ مجموعةِ دراساتٍ بمقدمةٍ عن السلطةِ والإبداعِ، جاءَ فيها: ((والثقافةُ على صلةٍ وثيقةٍ بالتغيُّرِ الاجتماعيِّ،

فمصطلحُ الثقافةِ يحوي داخله أشكالَ الوعي الاجتماعيِّ، وتقاليدَ المجتمعِ وقيَمَهُ وعاداته وأعرافه، إضافةً إلى العاداتِ اللغويةِ المقترنةِ بفنونِ الشعبِ في جوانبها الماديةِ أو غيرِ الماديةِ، وإذا كانتِ الثقافةُ مُنتجاً اجتماعياً في الأساسِ، فإنَّ لها القدرةَ على إعادةِ إنتاجِ المجتمعِ نفسه. ويمكنُ تلمسُ ذلكَ من ملاحظةِ ثقافاتٍ مُهيمنةٍ، وثقافاتٍ مهمشةٍ والتبادلُ بينهما في مراحلٍ زمنيةٍ تتصلُّ بالتطوراتِ الاجتماعيةِ والسياسيةِ والاقتصاديةِ، والتحويلاتِ الناجمةِ عن الصراعاتِ بينَ هذهِ المكوناتِ. يمكنُ تلمسُ هذهِ التحويلاتِ الثقافيةِ في العالمِ العربيِّ لدىِ المقارنةِ بينَ عصرِ النهضةِ، مطلعِ القرنِ العشرينِ حيثُ شهدَ تطوراً ثقافياً كانَ لفكرِ التنويرِ أثراً مهماً فيه، وبينَ ما ساد لاحقاً خلالَ القرنِ العشرينِ من تراجعٍ للتفكيرِ العقلانيِّ إلى هيمنةِ ثقافةِ التحجّرِ والدوغمائيةِ وهيمنةِ الاساطيرِ والخرافاتِ على العقلِ والعقلانيةِ. لعلَّ تجلياتها الكبرى تبلورتُ سابقاً وراهنأ في المنظومةِ الأيديولوجيةِ للتياراتِ الأصوليةِ في مشاربها المتعددةِ: العقائديةِ والشيعويةِ والنازيةِ وغيرها من أصحابِ الدوغمائيّاتِ التي لا تُنتجُ سوى ثقافةِ الخضوعِ والخنوعِ.

ولا يكتملُ الحديثُ عن الثقافةِ من دونِ التعرّيجِ على علاقةِ المثقفِ بالدولةِ وبالسلطةِ القائمةِ فيها. تتراوحُ العلاقةُ بينَ المثقفِ الأيديولوجيِّ، دينياً كانَ أمَ اشتراكياً، في مدارِ التناقضِ معَ الدولةِ والسلطةِ. من جهةٍ، نجدُ رفضاً لمنطقِ وجودِ الدولةِ نفسه في نظرةٍ أقربَ إلى المنطقِ الفوضويِّ الرافضِ لوجودِ سلطةٍ أو نظامٍ، ومن جهةٍ أخرى يبرزُ التناقضُ في (عقدِ) يحملها المثقفُ

تُفصِحُ أحياناً كثيرةً عن رغبةٍ في السلطةِ في الوقتِ الذي يتحدثُ فيه عن رفضِها. لعلَّ أكبرَ مأساةٍ عرفها المثقفون العربُ كانت في الالتحاقِ الطوعيِّ بالسلطةِ أو (بشراءِ) السلطةِ لهم وحشرهم في مراكزٍ إداريةٍ غالباً، يرفضُ المثقفُ أن يبقى على الهامشِ، ويسعى دوماً إلى الترقّي الذي يراه في موقعِ سلطويٍّ، على رغم أن الثقافةَ في سلطةٍ بذاتها . هكذا شهدنا هجرةً مثقفين عربٍ بأعدادٍ كبيرةٍ، تحت وطأة الهزائمِ والانهياراتِ وضياعِ الآمالِ والأحلامِ بالتغييرِ، هجراتٍ للالتحاقِ بقوى السلطةِ القائمةِ أو أحزابها النافذةِ، أو انزياحاً إلى التياراتِ المتشددةِ، ليست كلّها عن قناعةٍ فكريةٍ بمقدارِ ما هي توقُّ إلى موقعِ سلطويٍّ)).

العقل العربي

اليوم... (.....) ،...

لو أراد أي مفكر أن يخضع العقل العربي للنقد فسيجد أمامه سلوكيات بارزة عليه، تُسيطر على حياته العامة والخاصة منها: العيش، الفوضى، العدمية، اللامبالاة، الاستهتار، التردد، وعدم حب العمل، وغيرها؛ بمعنى أنه لا يمكن فهم ووضع بوصلة التفكير في المستقبل، وصياغة وتأسيس فكر استراتيجي يدير حياته.

إن غياب المعلومات وندرة البيانات وضياع الحقائق، وتشوية المواقف والاحداث هي أحد العوامل الرئيسية في عدم وضع الاستراتيجية المناسبة للمستقبل. أي إن العقل العربي يعاني من .. (تيه) ..، بوصلة التخطيط والتنظيم والتفكير في المستقبل .



إن من أسباب تعثر مشروع التنوير أن العقل العربي يعمل بطريقة إجرائية شكلية، لكنه لا يتعمق في الأمور. فإذا تعامل مع الأمور تعامل معها بطريقة أيديولوجية، ويُغيب المضمون المعرفي. والأمة الراهنة تكمن في سيطرة هذا السبب، فهذا العقل يلح على إعادة فكرة النموذج القديم، ولا توجد حالة من الابتكار سواء كنا نفكر بأسلوب إسلامي أو حديثي بشكل تقليدي غير منفتح على الآخر.



والمؤسف، إنه لم يتجه العقل العربي برغبته لنقد ذاته، كما أنه لم يتجه لصياغة ووضع سياساتٍ للتحديث وعمل تغيراتٍ نوعيةٍ تطال القوى العقلية المنتجة لوضع تغييراتٍ تشريعيةٍ تتماشى مع معطيات العصر وتحترم متغيراته، وإعطاء الحرية حقها في الممارسة لتكون أساساً منهجياً وعملياً وواقعياً يساعد العقل العربي على الخروج من أزماته الفكرية.



اليوم، السلطة العربية في حاجةٍ لإيجاد التقارب والتفاهم والتعاون بينها وبين المفكرين والمثقفين والاصلاحيين لمساعدتها في إعداد الخطط والتنظيمات المدروسة والدراسات والتحليلات العلمية التي تعمل على رسم ووضع الاستراتيجيات المستقبلية للنهوض بالوطن وتنفيذ عمليات التنمية، وإقامة علاقاتٍ إيجابيةٍ بينهم تساعد على استقرار وأمن الأوطان. لكن أن تقوم السلطة بمناصباتهم العدا للفقراء والمثقفين والكتاب والشعراء، ومحاربتهم ومقاومتهم وزجرهم ومضايقتهم وملاحقتهم في حياتهم الخاصة والفكرية والثقافية والزج بهم في السجون ومنعهم من الكتابة والسفر، ومنع ومصادرة كتبهم وإيقاف بحوثهم ودراساتهم، كل ذلك وغيره يصب في مصلحة أعداء وخصوم العقل العربي، وأيضاً يعمل ذلك على إيقاف مشاريع التنوير والاصلاح وإشاعة قيم العقلانية، ويمنع حضور دعاة ومفكري ومثقفي التنوير في المجتمعات العربية.



إنَّ العقلَ العربيَّ .. الحاكمُ .. في أمسِّ الحاجةِ للنقدِ ولفهمِ قيمةٍ وأهميةٍ ودورِ العلاقةِ الإيجابيةِ بينَ المثقفِ والسلطةِ، وأيضاً علاقةُ الحاكمِ والمحكومِ، وتعزيزِ دورِ وحضورِ الفكرِ والمثقفِ والاستعانةِ بهما في نشرِ التنويرِ والإصلاحِ وتعميقِ مداركِ التفكيرِ، الذي ينأى عن الجهلِ والغلوِ والتطرفِ والتشددِ والتجديفِ والتحريفِ والتكفيرِ وغيرها. فينبغي على السلطةِ العربيةِ وعقلها أن تتأملَ في قيمةٍ ومكانةٍ وأهميةِ الفكرِ والمثقفِ، وفي ممارساتها ضدهما، والعواقبُ المترتبةُ على تلكِ الممارساتِ من هجرةِ العقولِ العربيةِ من أوطانها إلى الخارجِ، وتشتيتِ جهودِ الفكرِ والمثقفِ، والطعنِ في صدقيتهِ، ومحاسبةٍ ومعاقبةٍ نواياه وقلبه.



المنطقُ، والحكمةُ، والحاجةُ، والضرورةُ، والأمةُ، والمتغيراتُ والتحدياتُ، والتحوُّلاتُ، تقتضي الحاجةُ على السلطةِ أن تستثمرَ.. (العقلَ العربيَّ)..، ليكونَ لها الفكرُ الاستراتيجيُّ لحمايةِ المجتمعِ وأفرادهِ من التحدياتِ والأشكالياتِ الصعبةِ، وأن يعملَ الفكرُ الاستراتيجيُّ الذي يضعه ويصوغه الفكرُ والمثقفُ لتعميقِ قيمِ الاختلافِ المنهجيِّ في الوطنِ، لإطلاقِ التعدديةِ وبمختلفِ توجهاتها **الأيديولوجيةِ في التفكيرِ والممارسةِ والدعوةِ للتغييرِ.** إنَّ ضرورةَ المرحلةِ تقضي على العقلِ العربيِّ أن يسمحَ بفتحِ النوافذِ، ودعمِ الإبداعِ، حتَّى لا يكونَ..

(السجن)... مقراً وسكناً للمفكرِ والمثقفِ وأفكارهما، وحتى لا يكبل
ويقيد.. (العقل العربي).. بالسلاسل والأغلال والأصفاد.



لم يشأ العقل العربي أن ينتهي من نقد نفسه، والتفرغ لمعالجة قضاياها ومشكلاته.



إلا إنه وللأسف اتجه لشراء وتكوين أعداء وخصوم له، لشن حملاتٍ
غير مبررة عليهم، وغير مطلوبة. فكرّس مفكرون ومثقفون عربٌ كثيرٌ
حياتهم العلمية والعملية للهجوم على العقول الأخرى، وتفنيد ونقد أسسه
الفلسفية ودعائمه الاجتماعية والفكرية، وفي مقابل ذلك قامت العقول
الأخرى بحملاتٍ مضادة على العقل العربي. وهذه الصراعات الضارية تضيّع
الجهود والوقت، وقد تأخذ أبعاداً بالغة الخطورة على مستقبل العقل العربي،
والتي قد تضعنا على حافة الخطر، والمزعج في هذا النوع من الصراعات التي
تكون بين العقول، أن كل عقل يتوعد العقل الآخر بهزيمته شرّ هزيمة، غير
أن الأحداث والوقائع أثبتت بما لا يدع مجالاً لأي شك، إن هذا النوع من
الصراعات هو أحد أهم عوامل تخلفنا وتأخرنا، وعدم قدرتنا على تجديد أنفسنا،
وعدم استفادتنا من عمليات النقد الموجه للعقل العربي، وأيضاً تلك الصراعات تعمل
على تجميد عقولنا جموداً شديداً، وهذا يصعد من سقف فشلنا من خلال
الممارسات النظرية العقلية النقدية التي رغبت وأرادت أن تقدم قراءاتٍ جديدة

لعقلنا العربيّ. وقد تقودنا تلك الصراعاتُ إلى التخلّي عن المُسلّماتِ والثوابتِ والقيمِ والمبادئِ والقواعدِ الاخلاقيةِ، وهذا ما لا نرضاه لمستقبلنا.

من هنا، يمكنُ لنا القولُ أنّ فهمَ ما حدثَ للعقلِ العربيّ، لا يمكنُ أنْ يتمَّ في شكلٍ موضوعيٍّ لو بُنيَّ على أساسٍ.. (منهج الحوار)..، الذي يميّزُ تمييزاً فاصلاً بينَ كافةِ مستوياتِ التفكيرِ ومخرجاته المتعددةِ والمختلفةِ، ويساعدُ على فهمِ حالاتِ التآثرِ والتأثيرِ، وكيفيةِ انتقالِ الأفكارِ والتجاربِ وتفاعلاتها من عقلٍ إلى آخرٍ، وبرضاً كافةِ الأطرافِ.



تلك الصيغُ السلطويةُ وغيرها والتي لا تُشبعُ ولا تهدأُ ولا تستقيمُ، كانت ومازالتُ متفتحةً على شهوةِ الجسدِ، وشهوةِ جمعِ المالِ، وشهوةِ اشباعِ أهواءِ النفسِ الأمارَةِ بالسوءِ وخدمةِ الأنا المتعاليةِ لدى منظري التوحّشِ والعنفِ العربيّ.



إنّ العقلَ العربيّ لمْ يستخدمْ في حركاته وتحركاته أساليبَ التحليلِ والتفكيكِ والتشريحِ الفكريِّ والثقائليِّ الذي يكونُ الأفكارَ في تكويناتها الأساسيةِ وتحويلها وتغيرها، فإنّ فعلَ العقلِ هذه العملياتِ استطاعَ فهمَ ما حدثَ من تقلباتٍ وانقلاباتٍ وتغيراتٍ ومتغيراتٍ وافرازاتٍ وتداعياتٍ مختلفةٍ في عالمنا. وهذا ما أدّى إلى عجزِ العقلِ العربيّ أنْ يفكّرَ في رسمِ خريطةٍ عقليةٍ نقديةٍ شاملةٍ متكاملةٍ لكلِّ عملياتِ العقلِ ومستقبلها تمكّنه من تحديدِ التغيراتِ الكبرى التي لحقتْ بالأمةِ العربيةِ، وأيضاً ما رافقَ من متغيراتٍ

معرفية وثقافية واجتماعية واقتصادية أسهمت في إحداث مستقبل الأمة العربية.
إن ممارسة نقد العقل العربي بجرأة وبكل شفافية وشجاعة تسهم
إسهاماً فعالاً في رسم السيناريوهات المتعددة، التي تحرك القوى المختلفة لفتح
أبواب التقدم والرقي والتطور، وكل ذلك يستمد تحريك محركات القوة عبر
..[التنبؤ]...، فالتنبؤ حين يفعله العقل العربي يسهم في خطوات التحليل
والفحص والمراجعة وإبراز منطقتها وبكل مكوناته المدفونة في العقل الباطني
للإنسان العربي، والذي يُخزن كثيراً من الحقائق والمعلومات والمواقف
والأحداث في عقله الباطني.

فذلك ..[التنبؤ]...، يمكن له فهم متطلبات وروح العصر كما هي،
وكما ينبغي أن تكون، وبكل ملامحه ومنطقه الذي شكل وكون
التغيرات، وحدد المتغيرات المرافقة له. وتلك التفاعلات - لو تمت - بحرفية
ورؤية صافية ومنتزعة ونقاشات علمية وعملية وواقعية، تعمل على تغيير ملامح
المجتمع العربي، فيصبح المجتمع العربي مجتمع علم ومعرفة وثقافة ومعلومة.
فظهرت نقلات نوعية مرافقة لمجالات التطور والتقدم. كما يمكن التخلص
من التفاوتات، وإلغاء الإقصاءات، وإنهاء الصراعات المجتمعية المتفشية في
المجتمع العربي.



إن نقد العقل العربي هو من أهم ضرورات ومستلزمات المرحلة
وضغوطاتها، لأن عملية نقده هي ..[قوة]...، ولا يعرف أسرارها إلا من عرف

أهمية ومكانة النقد في حياة الأمم. وما يحققه للعقل من انفتاح وانتشار فكره وثقافته، وما تخلقه من حرية للإنسان والمساواة في كل مجالات الحياة. فنقد العقل يفتح فرصاً جديدة لتوسعة الأفق، ويُنمي المدارك.



إن الأمة العربية اليوم، واليوم بالذات، في حاجة ملحة إلى **عقل نقدي**...، يستطيع فعل المفاضلة والمقارنة والتحليل والاستنتاج، وأيضاً المفاضلة بين كافة الآراء لتمكنه من إجراء عمليات الفرز المختلفة، وبخاصة الذاتي من الموضوعي.

وهناك عوامل كثيرة أدت في مجملها في هذه المرحلة إلى خلق تغييرات جوهرية في أخلاق وقيم ممارسة **نقد العقل**...، لم يستطع عقلنا العربي استيعابها، للدخول في ساحات التنافس العالمية. وفي ضوء هذه التطورات العالمية لا بد للعقل العربي أن يسهم في رسم سمات المعرفة ومجالاتها الكبيرة، والمعرفة اليوم أصبحت أكثر سرعة في الانتشار والذيع من الماضي. فهو أقوى أدوات التطور والتقدم والرقى، فهي تعد أقوى محركات النهوض والتنمية بالأوطان. لأنها تولد الأفكار والآراء والمهارات. من أكبر العقدة النفسية المعقدة التي عانى ويعانى منها العقل العربي وخوفه من **النقد**...، هو أنه يعتبر **الحرية**...، خطراً يهدده، ويعطل قدراته، بل يخشى أن يعطل الخروج من الأزمات التي نحن فيها.



أصبح العقل العربي يُخرجُ مخرجاتٍ فهمٍ فاسدٍ، مضللٍ، فاسقٍ، متطرفٍ، متوحشٍ،
متشددٍ، حاقدٍ، وحاسدٍ. يشوهُ صورتنا ومكانتنا وأهميتنا.



وتعطيلُ ..[الحرية]..، من قِبَلِ العقلِ العربيِّ المتطرّفِ، والمتوحّشِ،
والمثقفِ، والمتشددِ، الحاقدِ، الحاسدِ، هو الذي جعلنا نصلُ إلى ما نحنُ فيه
اليومَ من كوارثٍ وأزماتٍ ومشكلاتٍ. وهذا التفكيرُ ليسَ بجديدٍ علينا، لأنَّ
حرياتنا منذُ عقودٍ مضتْ كانت مهدرَةً ومصادرةً وأسيرةً في يدِ السلطةِ
والسلطانِ. فلمْ يَكُنْ يُسْمَحُ أَنْ يُنْطَقَ العقلُ العربيُّ بالحريةِ أو يتعاملَ معها في
تفاعلاته المختلفةِ، ولمْ تَرَ الأمةُ العربيةُ أيَّ نوعٍ من مناخاتِ الحريةِ، هذا ما
سكَنَ في تركيباتِ الذهنيةِ العربيةِ، فيما عدا بعضَ الأحداثِ العربيةِ الرائعةِ
والخالدةِ، والتي لمْ، ولنْ تتكرَّرَ في تاريخنا مثلَ الموقفِ الخالدِ يومَ ..[السقيفة]..
وأعني .. (سقيفة بني ساعدة) ..، في بدايةِ العصرِ الإسلاميِّ الرشيدِ، وأيضاً يومَ
توقيعِ .. (حلفِ الفضول) .. الذي وقَعَ في العصرِ الجاهليِّ، بقبيلةِ قريشٍ. وأشادَ به
سيدنا محمدٌ ﷺ، والذي وقَعَ في دارِ عبدِاللهِ بنِ جدعانَ بمكةَ المكرمةِ.



إنَّ .. [السلطة] .. في ذاتِ العقلِ العربيِّ هي انفرادٌ، وتفرّدٌ، واحتكارٌ،
وسيطرةٌ، ونفوذٌ. وعملَ العقلُ العربيُّ على جعلِ .. (الاستكبار) .. و.. (الاستبداد) ..،
و .. ((الظفيان)) ..، نظامَ حياةٍ راسخٍ متجدِّدٍ في تراثنا وأدبياته. وهذا يجسّدُه ما

فعله الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وهو السادس من خلفاء بني أمية ، والذي اشتهر باستخفافه بالدين وشربه الخمر واشتهاره بالفسق والفسوق والفجور ، فيذكر الماوردي في كتاب الدين والدنيا ، عن هذا الخليفة الفاسق أنه تفاعل يوماً في المصحف الكريم فخرج له قوله تعالى : ((اسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)) ، سورة إبراهيم ، (15) . فمزق المصحفَ وأنشأ يقولُ :

أتوعدُّ كلَّ جبارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبارٌ عنيدٌ
إذا ما جئت ربك يومَ حشرٍ فقل يا ربِّ مزقني الوليدُ

فلم يلبث إلا أياماً يسيرةً حتى قُتل شرَّ قتلهِ وصُلبَ رأسُه على قصرِه ، ثمَّ على أعلى سورِ بلده .



إنَّ عدمَ موافقةِ العقلِ العربيِّ للنقدِ قادَ أمورنا للتعطُّلِ ، فنحنُ نحتاجُ أنْ نفكِّرَ ، وأنْ نفهمَ ، وأنْ نعملَ على استيعابِ ما يدورُ حولنا ، وأنْ نفكِّرَ في مستقبلنا كباقي شعوبِ الأرضِ ، وأنَّ منْ حقِّنا أنْ نسألَ كافةَ أنواعِ الأسئلةِ الكبيرةِ منها والصغيرةِ والحرجةِ أيضاً ، وأنَّ منْ حقِّنا أنْ نكونَ الأجوبةَ أو الإجاباتِ وبكلِّ أشكالها ومستوياتها واتجاهاتها . وأنْ نراقبَ أنفسنا ومَنْ حولنا ، ومَنْ يقودنا ، وأنْ نحاسبَ أنفسنا قبلَ غيرنا ، وهذا لا يعني أننا لا نحاسبُ غيرنا ، بل إنَّ المحاسبةَ مبدأً دينيَّ فرضته عقيدتنا الإسلامية كتاباً وسنةً . فلا بدَّ أنْ يعملَ العقلُ العربيُّ على استنهاضِ ذهنيِّنا وقوانا المختلفةِ

وقدراتنا الكثيرة، وملكاتنا، حتى يمكن للإنسان العربي أن يستعيد الثقة بنفسه وبغيره، وحتى يتمكن بما يملك من قدرات وإمكانات من السير في طريق النهضة والتنمية. حتى نصِلَ لمستويات العالم الأول المتقدم والمتحضر، فلا بد أن نبغّه. والذي نتج من عدم نقد العقل العربي من هذا وذاك، وأقول بصراحة وللأسف الأليم، بل والألم يُحيطُ بعقولنا أننا وبكل صفاقة ووقاحة تخلينا عن .. (إرادتنا)...، تخلينا وسلمناها وبكل طواعية لأعدائنا وخصومنا فتحكموا فينا وفي عقولنا وفي مستقبلنا. حتى أزيلت معالم تقدمنا ورقينا في بعض القرون الماضية. بل لم نكتف بتلك الإزالة والهدم، حيث قام أعداؤنا وخصومنا بعمليات عقلية قوية ومنظمة للتشكيك في كل ما أنتجه العقل العربي من منجزات حضارية، وتلك العمليات التشكيكية استمرت بتقنين حملات تشويه لما تم بناؤه من حضارة أسمى، وهذه من أخطر الأعمال التي تهدم العقل.



العقل العربي يدرك ويعرف ويعي ويعلم علم اليقين أن الحال الذي تعيشه الأمة العربية اليوم، لم يكن من ضمن المفاجآت الكثيرة التي باغتت الأمة، وإنما وضعنا أو أوضاعنا وأحوالنا وما نعيشه هو جزء من أجزاء كبيرة من تركة ثقيلة باهظة وضخمة من التحديات والمشكلات والأزمات، ومجموعات من الهزائم المختلفة، والجرائم الفظيعة التي ارتكبت في حق هذه الأمة منذ

عقودٍ انصرمتُ وبكلِّ ما فيها من هزائمٍ وخسائرٍ، وعُقودٍ نفسيةٍ، وحروبٍ
طاحنةٍ، فيما بيننا، وبيننا وبين أعدائنا.



**هل استطاعَ العقلُ العربيُّ أنْ يعملَ على تفسيرٍ وتحليلٍ وتوضيحِ ما وقعَ لنا
وعليّنا؟ وأنْ يستوعبَ بحكمةٍ وموضوعيةٍ الأسئلةَ المتفرعةَ من ذلكَ التفسيرِ
والتحليلِ والتوضيحِ!**



**إنَّ العقلَ العربيَّ يعيدُ نفسه، ويطمحُ أنْ يعيشَ نفسَ معطياتِ وإفرازاتِ
ونتائجِ .. (عصور الانحطاط) ..، التي عاشتها الأمةُ العربيةُ!.** إننا اليومَ نعيشُ
مرحلةً فاصلةً في تاريخنا، فهل فهمَ، وأدركَ، المفكرُ العربيُّ وكذلكَ
المثقفُ؟ أنه من الضروريِّ الاشتغالَ بالتفكيرِ، وإعمالِ العقلِ للاهتمامِ بأسئلةِ
المرحلةِ ومتغيراتها، والإنسانِ العربيِّ. فذاكَ الاشتغالُ الذي أدعُو له يساعِدُ
الجميعَ للسماحِ بالنظرِ الموضوعيِّ في واقعنا المعاشِ.



**العقلُ العربيُّ عانى وما زالَ ويعاني من مشكلاتٍ وأزماتٍ ولدت أزماتٍ
متفرقةً، وشكّلتْ له جوانبَ مختلفةً لم تكنْ ضمنَ حساباته ودراساته
وتوقعاته. أقول ما أقوله عن العقلِ العربيِّ وقصوره وتقصيره في واجباته
ومسئوليّاته وأمانته. فما أفعله في هذا الطرحِ أفعله إيماناً بمسئوليةِ المثقفِ أمامَ
دينه وضميره ومبادئه ومجتمعه، وأمامَ التاريخِ والناسِ عن كلِّ كلمةٍ يقولُها،**

وبخاصة في ظلّ معطيات وإفرازات هذه الظروف العصيبة التي تمرّ علينا وبنا وتفرض علينا جميعاً كمفكرين ومتقفين أن نكون على أعلى درجة من الشعور بالمسئولية وتحملها على أكمل وجه.



العقل العربيُّ إلى الآن لم يراجع تاريخه وحراكه وتحركاته وما جرّته وجرّه علينا من كوارث ومصائب وأزمات، وحتى الآن لم يحدد موقفه من صراع الحضارات، وصراع الأديان، وصراع الثقافات، وغيرها من صراعات تقع عادةً بين كافة الأمم والعقول. أسقطنا العقل العربيُّ في أزمات ومصائب ضخمة، وتركنا نتخبّط هنا وهناك. بل ترك ثقافتنا العربية الخالدة تتخبّط بين أروقة الصراعات ودهاليزها، كما أنّها لم تجد من يدافع عنها ويتبنّى أيديولوجياتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. فظهرت صراعاتنا الفكرية والثقافية وبكل أشكالها وتفرعاتها وتصنيفاتها ودرجاتها.



فالإسلاميون حاضرون في المشهد العام بتلاوين فكرية بعضها معتدلة وأخرى متفرعة بفكرٍ شاذٍّ، وثانيةٌ محافظةٌ، والعلمانيون العرب المسلمون حاضرون في المشهد وأيضاً بتلاوين مختلفة، متذبذبة، ومعتدلة، وراديكالية في فكرٍ كثيرها. ورُغم أن تياراً توفيقياً عريضاً لم يكن حاضراً في المشهد العربيُّ ليعبر عن نفسه في المشهد العام. وهذا قصورٌ في العقل العربيِّ.



ظهرَ في الوطنِ العربيّ تيارانِ رئيسيانِ نهضويانِ نشأا في الفكرِ العربيّ الحديثِ أشارَ إليهما الأستاذُ فادي قَدري أبو بكر في مقالٍ له نُشرَ بجريدة الحياة بعددِها (19461) يومَ السبتِ 16 يوليو 2016م، كَتَبَ يقولُ:

■ ■ **التيارُ الإصلاحِيّ الدينيُّ**: منْ أبرزِ دعاةِ هذا التيارِ جمالُ الدين الأفغانيّ، محمد عبده، عبد الرحمن الكواكبي، محمد رشيد رضا وآخرون. وفي سياقِ فهمِ الأسسِ والمنطلقاتِ التي اعتمدَ عليها دعاةُ هذا التيارِ، فإنّ الأفغانيّ يرى أنّ هناكَ خطريْنِ يهددانِ العالمَ الإسلاميّ، الأولُ خارجيٌّ يتمثّلُ بالاستعمارِ الغربيّ ونزعتِه للسيطرةِ على العالمِ الإسلاميّ، والآخرُ داخليٌّ يتمثّلُ بالانحطاطِ، **التخلفِ واستبدادِ الحكمِ**. وعليه دعا الأفغانيّ إلى تحريرِ الفكرِ الدينيّ من قيودِ التقليدِ، وفتحِ بابِ الاجتهادِ، ليتخلّصَ المجتمعُ الإسلاميّ من **الجمودِ والتقليدِ الأعمى**، الذي لا يتلاءمُ معَ روحِ العصرِ. وفي السياقِ نفسه دعا محمد رشيد رضا إلى الابتعادِ عن الجمودِ والتقليدِ الأعمى لما يمثله منْ خطرٍ على المجتمعِ الإسلاميّ، **ونادى بضرورةِ إجراءِ تعديلاتٍ في الشريعةِ الإسلاميةِ**، منْ خلالِ تأسيسِ مذهبِ إسلاميٍّ جديدٍ مفهومٍ منْ جانبِ الجميعِ ويكونُ أكثرَ تلاؤماً معَ تطوراتِ العصرِ. كما دعا رضا إلى **إقامةِ دولةٍ إسلاميةٍ لا تفصلُ بينَ الدينِ والدولةِ كمنفذٍ وحيدٍ لإصلاحِ الشريعةِ الإسلاميةِ**، معتبراً أنّ الإسلامَ دينُ السيادةِ والسياسةِ والحُكمِ.

■ ■ **التيارُ العلميُّ العلمانيُّ (الليبراليُّ)** : يُصنّفُ هذا التيارُ إلى صنفينِ

رئيسيين: الأول تيارٌ تغريبيٌّ وضعيٌّ يقلدُ التجربةَ الغربيةَ ويرى فيها نموذجًا شاملًا للشعوبِ بكلِّ ما نتجَ منها من نظرياتٍ وأفكارٍ، إضافةً إلى مبدأِ فصلِ الدينِ عن الدولة. ومن أبرز أتباع هذا التيارِ شبلي شميل، يعقوب صروف، فارس نمر وغيرهم. أما الثاني فهو تيارٌ تغريبيٌّ تحريفيٌّ يسعى إلى محاولةِ التوفيقِ بين الإسلامِ والفكرِ الغربيِّ، ويقومُ فكرُ هذا التيارِ على الإيمانِ بأنَّ التقدمَ العلميَّ والثقافةَ المعاصرةَ يستلزمان إعادةَ صوغِ التعاليمِ الدينيةِ التقليديةِ بناءً على المفاهيمِ العلميةِ والفلسفيةِ السائدة. ومن أبرز مفكري هذا التيارِ رفاة الطهطاوي، قاسم أمين، أحمد لطفي السيد، سعد زغلول وآخرون.

لقد وجدَ العربُ أنفسهم عندَ يقظتهم نتيجةَ صدمةِ الحداثةِ الغربيةِ أمامَ نموذجينِ حضاريين: الحضارةَ الغربيةَ التي كانت تشكّلُ تحديًا ثقافيًا وعسكريًا لهم، والحضارةَ العربيةَ الإسلاميةَ التي تشكّلُ الأساسَ اللازمَ لترسيخِ هويتهم وذاتهم ولواجهةِ التحدي. وعلى ضوءِ هذينِ النموذجينِ فإنَّ التعاملَ النهضويَّ العربيَّ على صعيدِ الخطابِ معَ النموذجِ الأوروبيِّ كانَ يتطلّبُ منهم السكوتَ على الجانبِ الاستعماريِّ فيه، ولكنَّ بما أنَّ الاستعمارَ يعوقُ نهضتهم، فإنَّهم مضطرونَّ إلى مقاومتهِ ومعارضتهِ وفُضِحَ سياساته. من جانبٍ آخرَ فإنَّ التعاملَ في شكلِ نهضويٍّ معَ النموذجِ الإسلاميِّ يتطلّبُ السكوتَ عن قرونٍ طويلةٍ من الجمودِ والتخلفِ، وفي الوقتِ نفسه لا يمكنُ ذلكَ لأنَّ تلكَ الفترةَ هي جزءٌ من النموذجِ نفسه، ولا بدُّ من حضورها بشكلٍ أو آخرَ في الخطابِ نفسه. إنَّ هذا التناقضَ الوجدانيَّ

انعكس أثره على الخطاب النهضويّ العربيّ، فجعله خطاباً متوتراً غير مراقبٍ رقابةً كافيةً.

ألقت هذه الصدمة الغربيةُ الحداثيّةُ بالثقّف العربيّ في تناقضٍ لا يسهلُ حلّه، فكانَ على هذا المثقّف الذي تلقّى تربيّةً تقليديّةً أن يصلحَ مجتمعاً تقليدياً بتصوراتٍ تقليديّةٍ متقدّمةٍ، ولهذا كانَ عليه أن يبحّثَ عن أشياءٍ غيرَ تقليديّةٍ في تراثٍ تقليديٍّ أو يبحّثَ عنها لدى الطرفِ الغربيّ المتفوّقِ عليه، ولهذا وجدنا الطهطاوي يبحّثُ عن المعرفة لدى روسو ومونتيسكيو، وفرح أنطون يتعلّمُ من نيتشه وماركس، وطه حسين يستفيدُ من منهاج ديكارت وغيرهم آخرون.



ووصف الأستاذ محمد علي ميرزائي، رئيسُ مركزِ المصطفى للدراساتِ الاستراتيجية وضعَ المفكرِ الإسلاميّ، فقالَ في وصفه عبرَ مقالٍ نُشرَ بجريدة الحياة تحتَ عنوان: الحركةُ الإسلاميّةُ وحتميةُ المواجهةِ معَ الحداثةِ والعقلانيةِ كَتَبَ يقولُ: ((المفكرُ الإسلاميُّ المعاصرُ مُصابٌ بالذهولِ والشُرودِ الفلسفيِّ أمامَ الزحفِ الفكريِّ والعمليِّ للفكرِ الحداثيِّ إلى عقرِ العقلِ العربيِّ والإسلاميِّ))، وهو إلى حدٍّ كبيرٍ عاجزٌ عن تقديمِ البديلِ. فإمّا أنه تابعٌ مقلدٌ مستسلمٌ أو منفعلٌ متشنجٌ ناقدٌ بلا أيِّ بديلٍ أو خيارٍ للهروبِ. ويبدو أنّ المشاريعَ العربيّةَ والإسلاميّةَ، وبالتحديدِ تلكَ التجاربَ النقديّةَ الشاملةَ في المغربِ العربيِّ الهادفةَ إلى النقدِ

والحلّ أخفقتُ في تحقيقِ غاياتها. قد يكونُ السببُ في هذا الوضعِ المأسويِّ في صناعةِ الفلسفةِ البديلةِ للعربِ والمسلمينَ **ضعفَ المنهجِ الاجتهاديِّ أو بالأحرى ضعفَ الاجتهادِ في المنهجِ النقديِّ** وفقدانَ الرؤيةِ الفكريةِ الأصيلةِ من القرآنِ والسنةِ.

العقلُ الاعتزاليُّ الإسلاميُّ الجديدُ أعلنَ عجزه عن التمسكِ بالمنطقِ الإسلاميِّ

الحضاريِّ ودعا إلى الاستقالةِ والعلمانيَّةِ. إنَّ تجاربَ نصر حامد أبو زيد ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي ومحمد اركون وعبدالله العروي وهشام جعيط وعبدالمجيد الشريف والكثيرين الكثيرين من أمثالهم مقتصرةٌ على مقارباتٍ فكريةٍ بمناهجٍ غريبةٍ لا أثرَ للذاتِ الإسلاميَّةِ والعربيةِ فيها، حيثُ آلياتُ القراءةِ والفهمِ والبيانِ تعملُ وفقاً للمناهجِ الخارجيةِ.

إنَّ الحركةَ الإسلاميَّةَ أكثرُ توجَّهاتِ العالمِ الإسلاميِّ قدرةً على تحريكِ العملِ

الاجتهاديِّ لاحتكاكها بالنصِّ الشرعيِّ من جهةٍ وبالعملِ الاجتماعيِّ من جهةٍ ثانيةٍ. ما ينبغي لنا تحريكه وتفعيله هو العملُ الاجتهاديُّ الداخليُّ والتعاملُ مع آلياتِ الاستتباطِ والاجتهادِ بروحِ التجديدِ والمعاصرةِ وبمنطقِ التأسيسِ وإعادةِ فهمِ التراثِ بطريقةٍ فاعلةٍ ومواكبةٍ للحياةِ.

الاقتصارُ على سببِ الحادثةِ والخوفِ منها أو التخويفِ منها، ليسَ مجددياً لأنَّ

المادةُ الفكريةُ والفنيةُ والثقافيةُ اليومَ هي من الجنسِ الحداثيِّ، حيثُ باتَ الإنسانُ في ضوءِ طغيانِ الحادثةِ شيئاً حداثياً، ولمْ تعالجِ المشكلةَ محاولاتٌ ما بعدَ الحداثيينَ بل سبَّبوا المزيدَ من الحيرةِ والشروءِ للعقلِ المسلمِ.

إن الحركات الإسلامية مشدودةً باتجاه العمل الاجتماعي والسياسي وراغبةً في ركوب موجة السلطة وبلوغ المواقع الحضارية التنظيمية أكثر من سعيها لبناء الإنسان المعاصر بعقيدة صالحة وعمل نافع عقلائي فعال. والمهمة الأخيرة لها متطلبات كثيرة وهي تقتضي تجديد قراءة القرآن الكريم وإعمال أكبر قدر ممكن من الاجتهاد الحرفي ضوئها وتخليص المصادر الشرعية والتراث الإسلامي من كل ما أُلصق بها من الخارج وسبب تشويهها وإسقاط فاعليتها، وبقاء الجماعات الإسلامية خارج العمل الاجتهادي العميق سيُبقئها على تماسٍ مع السطح من الفكر الإسلامي. والرهان على المؤسسات التقليدية للفكر والفقهِ لبناء الموسوعات الفكرية الإسلامية حول الأنظمة الاجتماعية في ظل النظام التربوي والعلمي التقليدي فيها رهان غير راجح إلى إشعارٍ آخر في أقل تقدير.



كما إنه لم يستطع العقل العربي في المرحلة الحالية الحديث عن إصلاح ديني معتدل ومقبول بالمعنى الذي جرى في الغرب، لأن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام كنسياً ولا ثيوقراطياً، ولا في أي وقتٍ كان ليخدم أجندات خاصة، ومن ثم فهو ليس بحاجة إلى استعارة مفاهيم من خارج بنيته العقدية أو فضائه الفكري، فلم يتجه العقل العربي إلى إصلاح ديني كما استحققت وطلبت أوضاع المجتمعات العربية، ولم تظهر علمانية سياسية، وتتويرٌ روحي كما دعا إليه العلمانيون في الغرب، بل فقط يمكن الحديث عن «التجديد»، وعن

«الوسطية»، فيما تُبدي موقفاً سلفياً متشددًا ومتطرفاً وبأفكارٍ قديمةٍ ورجعيةٍ، عاجزاً عن الاندراج في تيار التاريخ الإنسانيِّ لمواكبة العصر وفهم متغيراته. غابت عن العقل العربيِّ بحثاً عن الخبرة الإسلامية الحديثة (النهضوية) مع الإصلاح الدينيِّ. وبعضُ المحاولاتِ اتسمتُ:

1/: حينَ تَظهرُ كتاباتٌ فكريَّةٌ فإنَّك تجدُ الفِكرَ يكرِّرُ أفكارَه المنتميةَ إلى فضاءِ العلمانيةِ الراديكاليةِ، وهذا أمرٌ يجدُ النُفُورَ والرُفُضَ من الكثير.

2/: وظهرَ تيارٌ منتقداً جُلَّ المفكرينَ النهضويينَ، خصوصاً الإمامَ محمد عبده الذي رآه مجردَ عقلٍ توفيقِيٍّ متردِّدٍ، والذي لمَ يستطعَ أن يحسِمَ موقفَه من قضيةِ العقلانيةِ، ولمَ يكتفِ بذلكَ بلُ ذهبَ بقضيةِ تاريخيةِ النصِّ الدينيِّ إلى حدودٍ متطرفةٍ، فلمَ يتوقَّفَ عندَ النصِّ التراثيِّ. فتوقَّفَ محمد عبده عندَ أولِ صخرةٍ ارتطمَ بها، ولمَ يستطعِ الالتفافَ حولها بحثاً عن مخرجٍ جديدةٍ لأزمةِ الأمةِ. وهذا مأزقٌ فكريٌّ وثقافيٌّ وقعَ فيه البعضُ من دعاةِ التتويرِ، ولمَ يفسِّرُ ذلكَ المأزقُ كما ينبغي، لفهمِ أسبابِ ومسبِّباتِ كلِّ ذلكَ، والتفَّ الغموضُ على تلكِ الحالاتِ.

فلمَ يظهرِ الإصلاحُ الدينيُّ جيداً وقويّاً واصفاً أوضاعَ بعضِ اطرافِ الأمةِ الذي ينشدهُ الإنسانُ العربيُّ. وذلكَ لارتباطه الوثيقِ بالنفعيةِ السياسيةِ. في هذا الجانبِ كَتَبَ المفكرُ المصريُّ صلاحِ سالمٍ مقالاً بعنوانِ: مصرُ وتونسُ عواصفُ الربيعِ ومفارقاتُ الحداثةِ، نُشِرَ بجريدةِ الأهرامِ يومَ الأحدِ 22 يناير

2017م. مما جاء فيه قوله: ((أولهما هو أن ثمة فارقاً كبيراً بين مفهوم تاريخية النص، الذي يعترف بوجود النص أصلاً كحقيقة ورسالة ذات مضمون جلي، يجري إعادة تأويله ليبقى أوثق ارتباطاً بحركة الزمان وحياة المؤمنين، بإعادة الاكتشاف الدائمة لكوامنه وخفاياه. تُحيلُ التاريخية بهذا المعنى إلى نزعة نسبية في فهم حقيقة النص وحقيقة التاريخ معاً، وهو أمر نراه مقبولاً وضرورياً. وبين مفهوم إعدام النص، الذي لا يعترف بوجود النص (جوهرياً) وإن لم يصرح بذلك بل يدور حوله، فالتاريخية هنا تتعلق بعملية تكوين النص نفسه وليس فقط مسألة فهمه، إنه من صنع بشرٍ ابتداءً، ومن ثمّ يمكن تجاوزه كلياً، وهي عين النزعة النسبوية التي لا تُقرُّ بوجود حقائق مطلقة تتعالى على التاريخ، فلا أخلاق أبدية ولا قيم كونية، بل مجرد نزعات ذوقية تتسم بالنسبية القصوى، والذاتية الفائقة، الأمر الذي يجعل النص القرآني إنسانياً بالكلية، كأى نص أدبي يخضع لمقولة بارت عن موت المؤلف وحياة القارئ، وهو ما لا نظنه يتناسب ونصاً دينياً تأسيسياً ناهيك عن أن يكون القرآن الكريم.

وثانيهما هو أن كل فكرٍ إصلاحيّ نهضويّ يبقى توفيقياً بالأساس، لأنه ينطلق من نصّ (إنجيليّ - قرآنيّ) يبغى تجديد فهمه، أو تراثٍ حضاريّ (غربيّ - عربيّ) يبغى إنهاض واقعه. وقد كان ديكرت، أبو الفلسفة الحديثة، توفيقياً، يجمع بين عقلانية شككية وبين إيمانٍ روحيّ دفعه إلى الادّعاء بإمكانية البرهنة على وجود الله بدرجة اليقين نفسها التي يُمكنُ بها إثبات

تساوي طرقي في معادلة رياضية، هما بالقطع متساويان. وقد أثبت عن عقلانية ديكارت التوفيقية بين العقلانية والمثالية هذه موقفان نقيضان، فذهب اسبينوزا بالمكون العقلاني فيها إلى حد النهاية في كتابه الأشهر (رسالة في اللاهوت والسياسة) الذي برر فيه الحاجة إلى نقد الكتاب المقدس، مؤسساً لما عُرف بعد ذلك باسم النقد الأعلى أو الرفيع، وعلى العكس ذهب الفيلسوف الألماني ليبنتز بالمكون المثالي إلى الحد الأقصى في كتابه الأشهر «مقال في الميتافيزيقيا» الذي استعار فكرة الذرات كوحدات أساسية في بنية الوجود الكوني، وهي فكرة يونانية قديمة قال بها الفلاسفة اليونان الذريون، خصوصاً بارمنيدس وأنبادوقليس، ليؤكد على الضد منهم أن الوجود روعي بالأساس، وأنه ينبني على وحدات روحية (موناتات). وهكذا طبيعة الفكر البشري، الذي يتطور جدلياً عبر التاريخ، في سياقات تبدو متناقضة أحياناً.

لقد كان محمد عبده توفيقياً على نحو ما كان ديكارت نفسه. ورغم أن إصلاحه لم ينتج أثره فعلياً، بدليل التطرف الديني والإرهاب الأصولي الذي يحيط بنا، فإن ذلك لا يعود إلى جوهر فكر الإمام بل إلى السياق التاريخي اللاحق عليه، حيث خرج من عباءته تياران؛ الأول منهما كان استمراراً طبيعياً له ممثلاً في الشيخ على عبد الرازق الذي نفى كون الخلافة السياسية فريضة شرعية، مثبتاً تاريخيتها، وداعياً من ثم، وإن لم يسمها صراحةً، إلى علمانية سياسية. وأما الثاني فكان بمثابة نقض لمشروعه توزع على حلقتين: في الأولى

كان التأويلُ السلفيُّ الرجعيُّ له على يد تلميذه محمد رشيد رضا، الذي أمعنَ في الحديث عن الخلافة السياسية. وفي الثانية كان التدشينُ الحركيُّ للإسلام السياسيِّ (الحزبيِّ - الجماعاتيِّ) على يديِّ حسن البنا، وهو ما ألقى ببذور الانقسام في تربة العرب، التي أنبتت العنفَ بعد رحيل الإمام. وهنا تبدى لى ما يعانیه المجددُ الحقيقيُّ من ظلمٍ مزدوج، سواءً من السلفيين المحافظين الراضين جوهرياً لإعمالِ العقلِ بُغيةَ تجديدِ الفكرِ، أو من العلمانيين المتطرفين، الذين يدافعون عن عقلانيةِ ماديةِ أحاديةِ وصلبةٍ لم تعد قائمةً الآن، فكلا الطرفين لا يودون، حقيقةً، حلَّ الإشكالياتِ الفكريةِ القائمة، بقدر ما يرغبون في امتلاكها كـأسمالٍ ثقايِّ عاشوا عليه طيلة أعمارهم، ولا يودون أن يفقدوه قبل رحيلهم.



لا يزالُ العقلُ العربيُّ يرفضُ نقده، فهو لا يزالُ يفعلُ فعله المدمرَ في حياتنا كلها. ثم إننا لم نلتفت حتى الآن للعلاقة العضوية التي تربط بين العقل العربيِّ، وهذا التوحشِ التدينيِّ الفتاكِ، واللذين يتصارعانِ علانيةً وبكلِّ صفاقةٍ ووقاحةٍ وتهوُّرٍ بهدفِ **الجلوسِ على مقعدِ السلطان**، وتحالفانِ ضدَّ الأمة وتمزيقها. يُعابُ على العقلِ العربيِّ أنه لم يستطعَ مراجعةَ تاريخه، وتاريخ صراعاته، ليستفيدَ من تلكِ المراجعة، لأنَّه في حالاتِ المراجعة تتحولُ تلكِ المراجعاتُ إلى خِبراتٍ يستطيعُ بها تجاوزَ ما يواجهه من أزماتٍ مستجدةٍ، وعقباتٍ تقفُ ضدَّ أداءِ العقلِ. ولأنَّ العقلَ لم يفعلْ فعلَ المراجعاتِ فأصبحَ أداؤه

وأعماله كلها.. (رُدودُ أفعال)..، ولم تتحوّل إلى أفعالٍ حضاريةٍ. والفرقُ كبيرٌ وواضحٌ بينَ .. الفعلِ، ورُدودِ الفعلِ. فالفعلُ هو استجابةٌ فوريةٌ وحرّةٌ ترتبطُ بما يريدُه الإنسانُ الفاعلُ، ويختاره طواعيةً وبإرادته، ويحدّدُ منه غاياته فيرسّمُ طريقه. أمّا رُدودُ الفعلِ فهي استجابةٌ غريزيةٌ لما يقومُ به الفاعلُ. واعتمدَ العقلُ العربيُّ في كثيرٍ من أفعاله ومواقفه على بناءٍ .. (الشعاراتِ).. الورقيةِ والقماشيةِ، التي يرفعها في كلّ المناسباتِ المختلفةِ المخزنة والفرحة، والأزماتِ والأحداثِ، وغالبًا ما تكونُ تلكَ الشعاراتُ مؤجلةً من مرحلةٍ لأخرى. مثالُ ذلكَ الشعاراتُ السياسيةُ التي رُفعتُ من أجلِ قضيةِ فلسطينَ، باعتبارها قضيةَ الأمةِ العربيةِ المركزيةِ، مثالُ ذلكَ الشعارُ العربيُّ الشهيرُ: (ادفعُ دولاراً تقتلُ إسرائيلاً). فهذه الشعاراتُ لم تعملْ على حلِّ أو إنهاءٍ مشكلاتنا أو أزماتنا في فلسطينَ، بل نُهبَتْ و سرقتْ تلكَ الأموالُ الضخمةُ، كما أنّها لم تفتحْ لنا مجالاتٍ لبدائلِ الحلِّ، وأيضاً لم تفتحْ لنا تاريخاً ممكناً يساعِدنا على الخروجِ من هذا الانحطاطِ والانحدارِ والترديِّ الدينيِّ والسياسيِّ والأخلاقيِّ والماليِّ، لنسلُكَ طريقاً جديدةً نحوَ النهضةِ والتنميةِ والازدهارِ. وعندما لم نجدْ ما يفيدنا، ولم تُفتحْ أمامنا أبوابٌ ومجالاتٌ أخرى، دخلنا في معظمِ مراحلِ وحالاتِ وأنواعِ ودرجاتِ التخبطِ والعيشِ والسكنِ في ظلماته القاتلةِ.



إننا صممتنا على جهلٍ وتجاهلٍ عقلينا العربيِّ، بل لم نكتفِ بالصمتِ، بل مارسنا أعلى درجاتِ كتمِ الحقِّ، وإخفاءِ الحقيقةِ، السكوتِ على الباطلِ

والظلم الذي يُمارسُ أمامنا، فأصبحنا شهودَ زُورٍ ضدَّ تاريخنا وحضارتنا وثقافتنا، فعلنا ذلك بدوافعٍ مختلفةٍ.



فالعقل العربيُّ هو الذي أنجزَ، وأخرجَ لنا طغاةً لم يُعرفْ مثلهم في التاريخ مثل: الخليفة الأمويِّ السادسِ الوليدِ بن يزيدَ بن عبدالمكِّ بن مروانَ، ومسلمِ بن عقبةَ قائدِ الأمويينَ في معركةِ الحرةِ، والحصينِ بن نميرِ قائدِ جيشِ الخليفةِ عبدالمكِّ الذي ضَرَبَ الكعبةَ بالمنجنيقِ . والقائدِ الأمويِّ الحجاجِ بن يوسفَ الثقفيِّ، والقائدِ العباسيِّ أبو مسلمِ الخراسانيِّ، والبرامكةَ، وصدّامِ حسينَ، وحافظِ الأسدَ، ومعمّرِ القذافيِّ، وغيرهم، وكلّهم طغاةٌ متألّهونَ.



فالعقلُ العربيُّ هو الذي شكّلَ وكونَ أفكارهم ورسَمَ ونفَذَ بطولاتهم وطفاهم، وجعلهم أسطورةً من أساطيرِ الأولينَ، في حينِ أنّهم في حقيقةِ الأمرِ .. (أكاذيبُ) .. و(افتراءاتُ) ..، تاريخيةٌ، والمخزيُّ أنّ كلّ تلكِ البطولاتِ والطفاهِ والجبروتِ والظلمِ، ترسّخَ في عقلِ الأمةِ فأصبحتْ كأنّها .. (عقيدةٌ سياسيةٌ) ..، يُتغنّى بها. فالتاريخُ كتبَه العقلُ العربيُّ الذي مجدّدٌ ومدحٌ واعتزُّ بقوادٍ وقادةٍ وأسماءٍ قتلوا المسلمينَ، فهذا الحجاجُ بنُ يوسفَ الثقفيِّ، يسألهُ الخليفةُ عبدُ الملكِ بن مروانَ قائلاً له: كم عددُ قتلاكِ يا حجاجُ! فيجيبُه بكلِّ فخرٍ قائلاً له: يا مولايّ أعتقدُ أنّهم مائةُ ألفٍ أو يزيدونَ، فقالَ له: الخليفةُ عبدُ الملكِ، ولما

حدّتهم بمائة ألفٍ أو يزيدون، فقال له: يا مولاي ألمْ تقرأ قوله تعالى في:
(وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ). سورة الصافات (147).



هَذَا هُوَ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ يَفَاخِرُ وَيَفْتَخِرُ بِإِنجازاتِ أفعالٍ .. (التوحش) ..
و..(الوحشية)..، يفاخرُ ويعلوُ القائدُ الفاسدُ الحجاجُ بنُ يوسفَ بآئه قتلَ ظلمًا
وعدوانًا مائة ألفٍ أو يزيدونَ منَ المسلمينَ منَ بينهم علماءُ وفقهاءُ ومفكرينَ
ومثقفينَ أجلاءَ وفضلاءَ مثل: العالمِ الورعِ الزاهدِ سعيدِ بنِ جبيرةٍ رحمه الله .
فعلَ ذلكَ منَ أجلٍ ..(مقعدِ السلطان)..، منَ أجلِ المحافظةِ على مُلكِ بني أميةَ
الذينَ جعلوا منه ..[طاغية]...، .



إنَّ تاريخَ العقلِ العربيِّ مزوّرٌ بأكاذيبَ وافتراءاتٍ وبدوافعٍ مختلفةٍ، فمثلاً
كيفَ حصرَ وعدَّ الحجاجُ بنُ يوسفَ عددَ قتلاه؟.

أليسَ هذا هو الخللُ في العقلِ العربيِّ!.



إنَّ نتائجَ كذبِ العقلِ العربيِّ نعيشُها عبرَ هذه التركة الضخمةِ والثقيلةِ
منَ الخسائرِ الفادحةِ والهزائمِ الواسعةِ والأزماتِ المجنونةِ والأحداثِ المرتكبةِ.
إنَّه إرثٌ وميراثٌ لا يشرفُ الأمةَ. لماذا صمّتَ العقلُ العربيُّ على تلكِ الأيدي التي
عبثتْ بتاريخنا؟. بل تسترّعليها، وارتكبَ جرائمَ في حقِّ الأمةِ حينَ اتجهَ
لتبريرها والتسترِ على الفاعلينَ الحقيقيينَ.

وهذا يعني - عندي - أن العقل العربي سمح لأولئك الطفافة بما فعلوا وارتكبوا ما

ارتكبوه باسم الأمة.

وسؤالي الكبير أتوجه به إلى حضرة العقل العربي فأقول له: من هو، أو من هم، الذين أتى، أو أتوا بهؤلاء الذين صنعوا بالأمة العربية ما صنعوه من انحطاطٍ وتخلّفٍ وكوارثٍ وأزماتٍ وفواجعٍ؟!



■ ■ ألسنت، أنت أيها العقل!.



إذن، لابدّ للعقل العربي أن ينتقد نفسه، ثمّ يُسمح بذلك من قبل المختصين، ولا بدّ أيضاً أن يراجع كافة حساباته، وأن يفهم واقع الأمة على حقيقته، وكما هو، وكما ينبغي أن يكون. فلعله يصل لنتائج وأفكارٍ جديدةٍ. يقبلها العصر، ويستجيب لمطالب الإنسان العربي.

كما أن العقل العربي يفضّ بتسريباتٍ لا تنظر إلى العوامل الخارجية والداخلية والظروف الهيكلية في كلّ الاتجاهات التي ينبت منها الصراع، كما أن تلك التسريبات والفرضيات التي بُنيت عليها كثير من التخمينات الذهنية لم تتفع في تحقيق أيّ تقدّم لإنهاء شتى أنواع الصراعات العربية.



كما أن العقل العربي شيء واحد في ذهنيته وأيديولوجيته أحادية، وهذا العقل أغفل كثيراً من الفرضيات، رغم أنه مرّ بتحوّلات تاريخية نادرة، لكنّه

رفض كثيراً من الافتراضات الواقعية التي عاشتها الأمة بكل تبعاتها وتداعياتها. والمؤسف أنه اتجه لقبول كثير من الافتراضات غير الواقعية والتي لا تسندُها الحقائق، على رُغم توفر التسيريات الذهنية التي أكدت تلك الافتراضات. وهو ما قد كان ويكون له انعكاسات على قدرات العقل. إن القول بسيطرة العقل العربي على كل التسيريات وغيرها من الافتراضات غير الواقعية هو افتراض مبني على مغالطة تقول بتوقف الوقت والمكان في ذهنية العقل العربي. المؤسف، والمخزي، والمزعج أن العقل العربي سيطرت عليه فكرة واحدة هي **تشكيل أيديولوجية للوصول إلى السلطة والجلوس على مقعد السلطان**، بهدف إشباع .. (([شهوة الحكم])). وهذا اليوم نلمسه ونشاهده بوضوح في فكر وعقل تيارات الإسلام السياسي وبمختلف أيديولوجياتها، وأرى أن الصلات واضحة المعالم في هذا التفكير. بل إنني وجدت أن بعضهم يغالي بالقول والفعل لتحقيق هذا المراد. وهذا فكر وتفكير المسكين الحقيقيين بمراكز صنع القرار داخل تنظيمات .. (التوحش)، وأصبح الهم الرئيس لتنظيماتهم هو توسيع وتوسع سلطاتهم بأي ثمن كان. إن هناك عوامل عدة يجب النظر إليها عند تحليل العقل العربي في هذا الجانب المهم والمرتبط بالقواعد الذهنية في عقل التوحش منها: **شهوة التسلط، وتعدد وتنوع وسائل القمع الوحشي.**



فلقد عجزت مختلف أيديولوجيات العقل العربي عن الإجابة عن تساؤلات

العقول الأخرى حول فقدان العقل العربي لوظائفه العليا المرتبطة بالتنوير والإصلاح، وتجنيده لخدمة قضايا الأمة الكبرى، وفهم رؤيته العالمية للأشياء، لمحاولة رفع مستوى كفاءات وقدرات التفكير لإخراج مخرجات تصب لصالح الأمة العربية. دون أن يمسّ أيديولوجيات العقول الأخرى، ومن الأمثلة على ذلك إيجاد سبل التعاون والتفاهم مع العقول الأخرى دون التعدي على خصوصياتها ومبادئها، وضرورة تسليط الضوء على التغيرات والمتغيرات التي طرأت على هويات العقل العربي، وعدم المساهمة على تهميش أي فكر أو ثقافة، أو الوقوع في أي مآزق طائفي أو مذهبي أو عنصري. ومن المهم للغاية استيعاب التحول في الهوية والتغير في الأيديولوجيات الأخرى، والابتعاد عن صناعة مزاعم أو أكاذيب مع الأطراف الأخرى، لأن ذلك يخلق الصراعات وبأهداف ودوافع دينية وسياسية، بل ينبغي إيجاد تقارب أيديولوجي لخلق مصالح مشتركة، لأنه في النهاية، يمكن القول إن التنظيم العقلي العربي يخضع لسيطرة .. [التوحش]... . في هذه المرحلة الصعبة من تاريخنا. لهذا فإنه لم يستطع الإجابة على التحديات التي واجهها، ووجد ضالته في صناعة .. [التوحش]...، لهذا أقول فقد فشل في وظائفه ومهامه وواجباته. فاتجه ذلك العقل العربي المتوحش إلى الإخضاع والاستبعاد والسيطرة والقمع بشئ أشكاليه. والتحوّلات التي على الأرض العربية كفيلاً بصحة ما أقول، مما أغرقه في استخدام العنف المروّع لتثبيت وتوسيع سيطرة .. [التوحش]... على أجزاء كبيرة من الوطن العربي.



إنَّ العقلَ العربيَّ اليومَ يسيرُ وبهمةٍ عاليةٍ، لكنَّ في حلقاتٍ دائريةٍ مفرغةٍ من فضائياتها. وهي لا تأخذُ خطأً صاعداً، بلُ وجدتُ أنَّ العقلَ العربيَّ يُعيدُ تَكَرَّارَ نفسه وبنفسِ الأخطاءِ والتجاوزاتِ، وفي نفسِ الأحداثِ والمواقفِ والأزماتِ، وبكلِّ الغبائاتِ العقليةِ، ويعتمدُ كلياً على كلماتٍ: **نحنُ نقولُ، أو يقولُ بعضنا، وينبغي أن نقولُ.** وهذا ما جعلَ البعضَ يقسِّمُ ذلكَ إلى جماعاتٍ فمثلاً سُميَ بعضها ..([جماعةٌ .. لا ينبغي])..، والثانيةُ ..([جماعةٌ نحنُ نقولُ])..، وكلُّ جماعةٍ كوَّنتُ أتباعاً وتابعينَ وعناصرَ تحميها وتدافعُ عنهما وعن أهدافها . ومنهم من لا يُريدُ أن يعرفَ مواصفاتِ العصرِ الذي نعيشُهُ. لذا فهو يخافُ منَ ..[التغيير]..، ويعتمدُ ذهنياً على مركباتِ مثلٍ أو أمثلةٍ شعبيةٍ وصلتُ إلينا عبرَ الموروثِ الثقافيِّ، ومن ذلكَ المثلُ القائلُ: [اللهُ لا يغيرُ علينا]، نحنُ اليومَ نكرِّرُ أنفسنا في معظمِ مواقفنا وأحداثنا وأزماتنا. نحنُ أصبحنا نخافُ أن نغيرَ أقلامنا التي نكتبُ بها مستقبلنا، ومستقبلَ أبنائنا، نحنُ نقبَعُ بالكتابةِ بأقلامنا تحتَ وطأةِ الخوفِ منَ الآخرِ. لهذا لمْ تختلفِ الأطروحاتُ الفكريةُ والثقافيةُ التي نقدِّمها ونطرحها، فهي مثلُ ما قدَّم في الماضي. لمْ نبحثُ عن مفاتيحٍ مختلفةٍ، بعيداً عن قصصِ **سلطةِ الخوفِ والتخويفِ.** فعندما يظهرُ قلمٌ حرٌّ، صادقٌ، نقيٌّ، نظيفٌ، ومخلصٌ نتصارعُ من أجلِ التخلُّصِ منه وحيَاكةِ المؤامراتِ ضدهُ.



اليوم، أصبح المفكرُ والمثقفُ الصادقُ ضعيفاً لا يستطيعُ أن يقدمَ مما لديه من أفكارٍ وآراءٍ ورؤى للخروج من القوالب الجامدة. التي صنعها العقلُ العربيُّ، حتّى الظلم الذي نعيشه. فلم يستطع ذلك المفكرُ أو المثقفُ الحرُّ أن يواجهَ كافةَ التحدياتِ في المجتمع. بل إنَّ العقلَ العربيَّ السلطويَّ أرادَ ويريدُ أن يفرضَ على ذلك المفكرِ والمثقفِ نمطَ تفكيرٍ محددٍ يخدمُ مصالحه وغاياته.



عندما أفكرُ بالأمرِ، أجدُ أن الجميعَ يشتكِي من الجميع، فيرثي لحالنا، وهناك من يتلذذُ بما أصابنا من ضُمورٍ وقصورٍ في عقولنا. وهم الذين رفضوا تطبيقَ أيِّ نوعٍ من المقارناتِ ليعرفوا مواقعَ الإصاباتِ العقليةِ التي أصابتنا.



العقلُ العربيُّ مصابٌ بوهمٍ كبيرٍ وخالدٍ في ذهنيته وهو أنه سيدُ العالمِ في التفكيرِ، وهذه أكبرُ أكذوبةٍ ابتلعها العربُ، بعدها ابتلعَ اللسانُ العربيُّ. يخافُ العقلُ العربيُّ من .. [النقد]..، ويظنُّ أن النقدَ هو .. (إصبعُ ديناميتٍ)..، قابلٌ للانفجارِ في أيِّ لحظةٍ. وغفلَ هذا العقلُ العربيُّ، أنَّ العقلَ الغربيَّ عرفَ وأدركَ ووعى أنَّ النقدَ هو الطريقةُ المثلى في الكشفِ عن كلِّ الأخطاءِ وتحديدِ مستوياتها وأنواعها، ومعرفةِ حجمِ أخطارها.



يجبُ أن يعودَ العقلُ العربيُّ من الانفكاكِ من خيالاته الواسعةِ ويعيشَ

الواقع. الغرور، والتكبر، والغطرسة، والتعالي هي أمراض أصابت العقل العربي في مقتل، وهي المثيرة للمتعاب والأزمات التي أصابت الأمة. إن متعاب الجدل والتصادم السائد بغض النظر عن الأدوات المستخدمة من قبل العقل، هل ينبغي أن يصطدم العقل العربي بالعقول الأخرى وأفكارها كي يكون عظيمًا؟.



الجواب: لا، قطعاً.



هل من الضروري أن يناقش العقل العربي باقي العقول بنفس مشبعة بالأنانية؟.



الجواب: لا، قطعاً.



ينبغي أن يناقش ويحاور ويكتب ما هو مؤمن به وما يراه، حسب قناعاته. بصرف النظر عما يؤمن به الآخرون أو يرونه. على أن يحترم ما يراه الآخرون.

واليوم، الناس أصبحت تحبُّ المفكرَ والمثقفَ القويَّ والصريحَ الصادمَ للمألوفِ أكثرَ مما تحبُّ المفكرَ والمثقفَ المهادنَ والمجاملَ للسلطةِ والسلطانِ. كما لا بدَّ للعقلِ العربيِّ أن يؤمنَ بما يقولُ ويفعلُ ويفكرُ به، وأن يعتمدَ على الاصطدامِ لإظهارِ الحقِّ

وكشف الحقيقة. وحتى يبقى قويا، على العقل العربي أن لا يخاف من .. (شعلة الكبريت) .. يجب أن يعمل من أجل أفكار تعمل على النهوض.



إن واجب العقل العربي حين يكتب، فيكتب من أجل أن يشاركه الآخرون قراءة ما كتب. فلا قيمة لما يكتب إذا لا يقرؤه الآخرون. وأن يفكر بأفكار تصبح قادرة على استيعاب الظروف الجديدة التي تمر عليه.



لا يزال العقل العربي، يظن - خاطئا - أنه سلطة قوية نافذة لا يراجعه أحد. وحتى الآن لم يدرك العقل العربي ونحن في هذا القرن أن مفاتيح الإعلام وآلياته وأدواته اختلفت وتختلف تلقائيا كل يوم بطريقة مجنونة تفوق قدراته وإمكاناته.



العقل العربي ما زال يظن وبكبرياء وغطرسة وجهل أنه العقل الوحيد الذي يملك تاريخا، لا ليس نحن فقط كعرب من نملك تاريخا يخفي الحقائق. فكل العقول البشرية لها تاريخها المليء بالحقائق. فالتاريخ صنع ليكذب، بل هو خالق الكذب على البشرية.



إن العقل العربي وبما يعتقد من أكاذيب جعل الأمة تعيش تحت وطأة الخيبات، تلو الخيبات، لذلك فهو يلجأ إليها كلما تعمقت الأزمات. فهو يهدف إلى تجديد التذكير بالنكبات والمآسي التي أحدثتها في تاريخنا الملوث، وهدفه

ربطُ تفكيرنا بالماضي فقط.



إنَّ العقلَ العربيَّ ورُغمَ قسوةِ ما مرَّ به من كوارثٍ ومصائبٍ ونكباتٍ، فهو وحتى الآنَ أسرعُ ما يكونُ إلى التشدّدِ والتطرّفِ والغلوِّ، ولمْ يتعلّمْ، ولا يريدُ أنْ يتعلّمْ، ولا يريدُ أنْ يستجيبَ تفكيره لخطرِ التوحشِ والتشدّدِ والتطرّفِ والغلوِّ. والمؤلّم، والمخزي، والمقلقُ والمستغربُ، إنَّ كثيراً من الناسِ أصبحتْ تعشقُ التطرّفَ والتشدّدَ والغلوَّ، وبخاصةٍ عندَ توجيهِ السؤالِ التقليديِّ، **لماذا أصبحنا وأمسينا نحبُّ هذا التوحشَ والتطرّفَ والتشدّدَ والغلوَّ؟** يُجيبُ وبكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ وعلى الملا. إنَّ قناعاتي بهذا التوحشِ والتطرّفِ والتشدّدِ والغلوِّ، إنّما هو وسيلةٌ وحيدةٌ للتفيسِ عن غضبٍ مكنونٍ في داخلي. غضبٍ من كلِّ شيءٍ أمامي، غضبٍ من الدولة، والشارع، والمجتمع، والعائلة، والأصدقاء، بل إنّهُ غضبٌ يعبرُ حقيقةً عن فشلنا الذريعِ عن الرقيِّ والنهضةِ كغيرنا من الأممِ والشعوب. ذلكَ الغضبُ علمتُ السلطةُ به، ولكنها لمْ تفهمه، ولمْ تستوعبه، ولمْ تحلله، ولمْ تخف منه، ولمْ تعملْ على تفكيكه، ولمْ تسمحْ بنقده، وعندما نُقدّ من قبلُ أهلِ العقلِ الآخِرِ والفكرِ والثقافة، تمّ معاينةُ المفكرِ والمثقفِ!



العقلُ العربيُّ وتاريخه ينسى الأبطالَ الحقيقيينَ الذين أسهموا في رسمِ المستقبلِ، ونسيَ المفكرَ والمفكرينَ والمثقفينَ والاصلاحيينَ والتتويرينَ الذين وقفوا بكلِّ صمودٍ، بلُ حققوا النصرَ في معاركِ الحياة، في كلِّ معركةٍ تلوَ

الأخرى. بل إنَّ العقلَ العربيَّ خافَ منَ فكرٍ وثقافةِ أبنائه، وشعرَ بأنَّ هذه القوةَ أصبحتْ تشكُّلُ مصدرَ قلقٍ وخطرٍ على نظامه الفكريِّ والثقافيِّ، وعلى بقائه بهذه المنظومة. وبدلاً من أن يقومَ بالإصلاحاتِ الفكريةِ والثقافيةِ التي تطالِبُ بها الأمةُ، لتجنَّبِ المحاولاتِ التدميريةَ، لجأَ إلى توجيهِ ضرباتٍ متتاليةٍ وسريعةٍ لكياناتِ المثقفينَ والمفكرينَ والإصلاحيينَ. بتفكيكِ هيكليةٍ وتهميشِ قياداتِ الفكرِ والثقافةِ وإقصاءِ العديدِ منهم، وإعدامِ المصلحينَ، واستبدالهم بكتائبٍ تُجيدُ فنونَ الكذبِ والنفاقِ والرياءِ والمجاملاتِ، والمداهناتِ، وهي تشبهُ الكتائبَ العسكريةَ القمعيةَ. إنَّ مهمةَ الكتائبِ الفكريةِ والثقافيةِ النفاقيةِ والكاذبةِ أن يكونَ ولاؤها لذلكَ العقلِ السلطويِّ. وأن تكونَ مهمتها الأولى حمايةَ نظامِ العقلِ العربيِّ، مبرراً ذلكَ العقلَ بما فعله ويفعله بطريقةٍ تمويهيةٍ.

لكنَّ العقلَ العربيَّ، فضَّلَ، وقَدَّمَ، بيتَ الشاعرِ العراقيِّ محمد بن عبيدالله أبو الفتح المعروف بابن التعاويذيِّ أو سبُّطِ التعاويذيِّ (519 . 583 هـ) حيثُ قال:

وقالوا استبانتي يا ابن عروة إبتتك
فقلت لهم ما ذاك في حقه نقص
إذا كان رب البيت بالدف مولعاً
فشيمة أهل البيت كلهم الرقص



إنَّ العقلَ العربيَّ قائمٌ على الأرضِ العربيةِ، ببصره وبصيرته، وحتَّى الأعمى يراه ويشاهده ويلمسه ويدركُ حساً وشعوراً، وليسَ وهماً أو خيالاً كما

يُسَوِّقُ لَهُ أَعْدَاؤُهُ، حَتَّى لَا يُوَدِّيَّ وَاجِبَاتِهِ وَيُنْجِزَ مَهْمَاتِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ، وَأَنْ يَقْدِمَ التَّضَحِيَّاتِ الْكَبِيرَةَ بِلا حُدُودٍ. وَهَذَا الْعَقْلُ نَفْسُهُ كَرَّسَ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِ لِدَعْمِ تِلْكَ الْمَجْمُوعَاتِ، وَفِي الْمَقَابِلِ كَانَ الْخِنَاقُ يَشْتَدُّ عَلَى الْمَفْكَرِ وَالْمُتَقَفِّ الْمَصْلِحِ وَالْإِبْدَاعِيِّ. وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تُوَدِّيَ هَذِهِ الْمَتَغَيِّرَاتُ فِي ظُرُوفِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى إِطَالَةِ أَمَدِهَا، لَكِنْ رُغْمَ كُلِّ ذَلِكَ تَبْقَى النَتِيجَةُ وَاحِدَةً، هِيَ انْتِصَارُ الْعَقْلِ السَّلْطَوِيِّ. وَلَفَتَ نَظْرِي مَقَالَ جَيِّدٌ وَحَيَوِيٌّ يَحْوِي أَفْكَارًا جَيِّدَةً فِي الْجَانِبِ الْإِصْلَاحِيِّ، كَتَبَهُ الْمَفْكَرُ الْمَصْرِيُّ الدُّكْتُورُ مِصْطَفَى الْفَقِي، نُشِرَ بِجَرِيدَةِ الْحَيَاةِ. تَحْتَ عَنَوَانٍ: مَتَى يَتَعَاْفَى النِّظَامُ الْعَرَبِيُّ؟. قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَرَبَ ظَاهِرَةٌ صَوْتِيَّةٌ، وَتَطَاوَلَ آخَرُونَ عَلَيْهِمْ فَاعْتَبَرُوهُمْ عِبْنًا عَلَى الْعَصْرِ وَحَضَارَتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ أُمَّةٌ مُسْتَهْلِكَةٌ وَليستْ مُنْتِجَةٌ، وَهِيَ كُلُّهَا عِبَارَاتٌ بَأْسَةٌ تُوَدِّيَ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْإِحْبَاطِ وَالْاِسْتِسْلَامِ لِلوَاقِعِ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ عَوَارٍ، بَيْنَمَا نَهْضَةُ الْأُمَّمِ وَصَحْوَةُ الشُّعُوبِ تَعْتَمِدَانِ عَلَى رَكِيزَتَيْنِ هُمَا «الْإِرَادَةُ» وَ«الرُّؤْيَا»، فَإِذَا تَوَافَرَتَا لِلْعَرَبِ «إِرَادَةٌ» حَقِيقِيَّةٌ وَتَصْمِيمٌ مُؤَكَّدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِي عَالَمٍ مُخْتَلَفٍ، فَإِنَّا نَكُونُ تَقَدَّمْنَا خَطَوَاتٍ إِصْلَاحِيَّةً مَدْرُوسَةً، فَكُلُّ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِالْإِرَادَةِ، وَالَّتِي هِيَ قَرَارٌ عَقْلِيٌّ يَنْبُعُ مِنَ الْعَقْلِ الْجَمْعِيِّ لِشُعُوبِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ. وَ«الْإِرَادَةُ» لَا تَتَوَلَّدُ إِلَّا بِصَحْوَةٍ ذَاتِيَّةٍ تَبْدَأُ بِالْاعْتِرَافِ بِالوَاقِعِ وَالتَّسْلِيمِ بِالْأَخْطَاءِ وَالخُرُوجِ مِنْ أَسْرِ الْمَاضِي لِلتَّطَلُّعِ نَحْوَ الْمُسْتَقْبَلِ. أَمَّا «الرُّؤْيَا» فَهِيَ الْمَضْمُونُ الْحَقِيقِيُّ لِلتَّغْيِيرِ، وَقَاطِرَةُ التَّطَوُّرِ الَّتِي تَتَشَكَّلُ عَبْرَ الْأَجْيَالِ مِنْ خِلَالِ الْخَبْرَةِ التَّارِيخِيَّةِ وَتَرَاقِمِ الْأَزْمَاتِ وَالانْتِقَالِ مِنْ مَرَحَلَةٍ إِلَى أُخْرَى، بِحَيْثُ نَجِدُ أَنْفُسَنَا فِي النِّهَايَةِ أَمَامَ

منظورٍ مختلفٍ يستوعبُ التطوراتِ الدوليةَ والإقليميةَ ويتمكّنُ من تحديدِ الخطوطِ العريضةِ للمستقبلِ. وقد تراكمتْ علينا نحنُ العربَ في العقودِ الأخيرةِ أخطاءٌ متتاليةٌ بلغتْ حدَّ الخطيئةِ نتيجةَ غيابِ الرؤيةِ، وقد دفعني ذلكَ في مطلعِ تسعيناتِ القرنِ الماضي، إلى إصدارِ كتابي «الرؤيةُ الغائبةُ» لأنني أدركتُ، مثلَ غيري، أننا نفكرُ بأسلوبٍ مجتزأٍ ولا نملكُ النظرةَ الشاملةَ ولا الرؤيةَ المتكاملةَ، فتكونُ النتيجةُ أننا مشتتونَ نخرجُ من نكبةٍ إلى نكسةٍ ثمَّ إلى مأساةٍ ولا نتعلمُ من أخطائنا ولا نستوعبُ نقاطَ الضعفِ لدينا، كما أننا قد نستغرقُ أحياناً في التفاصيلِ التي تصرفنا عن أمّهاتِ الأمورِ. فعندما غابتِ الرؤيةُ سقطتِ البوصلةُ وفقدنا القدرةَ على تحديدِ التوجّهِ الصحيحِ والاتجاهِ السليمِ. ولا أريدُ أن أستغرقَ في «جلدِ الذاتِ»، لكنني أتطلّعُ إلى رؤيةٍ عصريةٍ تحتوي كلَّ المتغيراتِ التي استجدتْ وتستوعبُ التجاربَ كافةً التي طرّحتْ، خصوصاً إننا وقعنا كثيراً في مشاكلٍ مكررةٍ وأزماتٍ تعودُ إلينا مرةً ثانيةً بسياقها نفسه أحياناً، ألم يُضربْ سلاحنا الجويّ على الأرضِ مرتينِ في عامي (1956 و1967)؟ إنَّ ذلكَ يعني على الأقلِ إننا لسنا مؤمنين، فالمؤمنُ لا يلدغُ من جحرٍ مرتينِ! ما أسهلُ «جلدِ الذاتِ» وتوجيهِ اللومِ إلى النفسِ حتّى تصلَ إلى حدِ الإحباطِ، لكن يبقى أماننا واقعٌ مؤلمٌ يطلُّ علينا صباحَ مساءً، ولا يغادرنا إلا كي يعودَ إلينا، وإذا كنّا نتطلّعُ إلى تعاليفِ العربِ بنظامهم الإقليميِّ، وعملهم المشتركِ فإننا نطرحُ المحاورَ التاليةَ:

أولاً : لقد تحدثَ غيرنا عنّا بقولهم **إنَّ العربَ أمةٌ ماضويةٌ تعيشُ على التّفنِي**

بالأمجاد، وترديد الشعارات الحماسية والاعتماد على رصيدِ عصورِ الازدهارِ العربي الإسلاميّ، وذلك أمرٌ لا يخدمُ طبيعةَ التطورِ ولا اتجاهاتِ العصرِ، بل يبدو أحياناً مبرراً للتواكلِ والتكاسلِ والاستسلامِ للظروفِ كما هي، خصوصاً أنّ العقلَ العربيّ يعيشُ فيه دائماً تفكيرٌ يدورُ حولَ «نظريةِ المؤامرة» حتّى إنّ كثيراً من المسؤولين العربِ فضلاً عن أجهزةِ الإعلامِ، يفسرونَ الاحباطاتِ المتواليةَ، والاختفاقاتِ المتكررةَ وفقاً لمنطقِ «التفسيرِ التأمريّ للتاريخ»، ولا شكّ في أنّ العقليةَ العربيةَ مسؤولةٌ عن ذلك إلى حدٍ كبيرٍ بطريقةِ تفكيرها المشدودةِ إلى الماضيِ والبعيدةِ من روحِ العصرِ، إنّها تبدو مسؤولةٌ عن حالِ الترديِ التي يشهدها الواقعُ العربيّ الراهنُ.

ثانياً: يمتلكُ العربُ نظريةً إسلاميةً للشورى، لكنهم عاجزونَ عن الأخذِ بها لأسبابٍ يطولُ شرحها، وهم في الوقتِ ذاته لا يأخذونَ بأساليبِ الديمقراطيةِ الغربيةِ الحديثة! فهم يتأرجحونَ بينَ نظريةِ يملكونها لكن يصعبُ تطبيقها، وبينَ نظريةِ عصريةٍ قد لا يتحمسونَ لها ولا يرونَ فيها إلا نمطاً للفكرِ المستوردِ الذي يجا في طبيعةِ الشخصيةِ العربيةِ غيرِ المتحمسةِ للتطبيقِ الديمقراطيّ الغربيّ، حتّى رأينا أنظمةً كثيرةً في التاريخِ العربيّ الحديثِ تأخذُ منَ الديمقراطيةِ الغربيةِ شكلاً خارجياً يبدو مثلَ «ديكور» يخلو منَ الجوهرِ الحقيقيّ والمضمونِ الصحيحِ، وقد كانت لي مساجلاتٌ دائمةٌ معَ أستاذهِ المشرفِ على أطروحتي للدكتوراهِ في جامعةِ لندن، وكان هو أستاذُ العلومِ السياسيةِ الشهيرِ (بانايوتيس فاتيكوتس)، فقد كان دائماً

يرددُ في حديثه معي مقولة مؤداها أن «الإسلام هو المسؤول عن ضعف المشاركة السياسية وغياب الديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي». وكان يضربُ لي مثلاً يقارنُ فيه بين الهند وباكستان، ويعزو استقرار نظام الحكم في الهند واضطرابه في باكستان، وغياب الديمقراطية الصحيحة في معظم سنوات عمر الدولة الباكستانية، إلى الاختلاف بين الدولة المسلمة في باكستان والدولة الهندوسية في الهند، وكنتُ أدهشُ لهذا المنطق وأحاورُ أستاذي كثيراً في النصف الأول من سبعينات القرن الماضي، وأضربُ له أمثلةً بدول إسلامية قبلت الديمقراطية الغربية ومضت على طريقها من دون ترددٍ، لكن عالم السياسة الراحل كان يؤكدُ لي أن العرب يأخذون الديمقراطية الغربية كمصدرٍ موقتٍ للشرعية ثم يخرجون عليها كلَّ الوقت، بل ويتحولُ الزعيمُ المنتخبُ إلى ديكتاتورٍ حقيقيٍّ في أقصر وقتٍ.

ثالثاً: يعاني العربُ من حلمٍ دائمٍ بالوحدة كادَ يتحولُ إلى وهمٍ بفعل التغير الذي طرأ على أولويات كلِّ دولة عربية على حدة، فأصبح الصراعُ بين القطرية والقومية مظهرًا من مظاهر حالة «التشردم»، و«التجزئة»؛ التي تعانيها الخريطة السياسية العربية، وظهرت «نعراتُ شعبية» تتحدثُ عن تراث ثقافي محليٍّ تعتبره خصماً من التيار العروبي لبعض الأقطار العربية، فأصبحنا نواجهُ أجناداتٍ سياسيةً لبعض النظم العربية تبدو متعارضةً مع المصالح العليا للأمة العربية ودورها الإقليمي والدولي.

رابعاً: هناك جدالٌ تاريخيٌّ يثورُ بين حينٍ وآخر يدورُ حول التساؤل: مَنْ هو

السببُ وما هي النتيجة؟ هل الإسلام هو الذي حمل العروبة إلى أقطارها، أم أن العروبة هي التي نشرت الإسلام واحتضنت دعوة نبيه العربي حتى نزل القرآن بلسان عربي مبين؟ بينما تشير دراسات موضوعية كثيرة إلى أن الإسلام هو الذي حمل العروبة وليس العكس، بدليل أن هناك دولاً إسلامية غير عربية قبلت الإسلام ديناً، ولكنها رفضت العربية لساناً وثقافةً وسلوكاً، حتى أصبح معظم العرب مسلمين بينما لا نستطيع القول إن معظم المسلمين عرب، فالتطابق بين الإسلام والعروبة يشغل حيزاً في التراث العربي، لكنه لا يدعو إلى صدامٍ بينهما، بل نراهما متكاملين في تحديد الهوية العربية الإسلامية وتنظيم العلاقة بين السياسات القطرية والتوجهات العروبية.

خامساً: لا ينكر أحد أن الدول العربية تعيش تحت طائلة ضغوطٍ شديدة خارجية وداخلية، وهي ضغوطٌ تسحب منها دورها الإقليمي وقدرتها على تجديد حيوية نظمها السياسية، ولا يقف الأمر عند حدود الضغوط الأجنبية، لكنه يتجاوز ذلك إلى الأجنداث الموازية التي تكون إحدى القوى الكبرى طرفها الآخر.

سادساً: من أبرز مظاهر التخلف السياسي العربي، الإحساس المبالغ فيه بالخصوصية ورفض الاندماج أحياناً في الأساليب العصرية للحياة السياسية. وما زال العرب يراوون مكانهم حتى الآن، لذلك نبتت في البيئة العربية مظاهر «الإرهاب» التي جرى ربطها به، حتى ولو كان ذلك ظمناً وافتراءً، وأضحت

أصابُ الاتهامُ تشييراً إلينا بمناسبةٍ وبغيرِ مناسبةٍ، ربّما كان اندماجُ النظامِ العربيّ بواقعه الإقليميِّ في منظومةِ العلاقاتِ الدوليةِ المعاصرةِ، خروجاً من عباءةِ الخصوصيةِ، وأوهامِ التراثِ، هوَ أحدُ المخارجِ التي يمكنُ أن تساعدَ على نهوضِ العربِ من أزمتهِم الطاحنةِ ومشاكلهم المتزايدةِ.

سابعاً: إنَّ وجودَ إسرائيلِ باعتبارها كياناً غريباً على العروبةِ والإسلامِ، بدأ يطرحُ آثاره السلبيةَ على المدى الطويلِ بمزيدٍ من الإحباطِ والإحساسِ بالدونيةِ من دونِ مبررٍ، فالكيانُ «العبريُّ» يسعى دائماً إلى تمزيقِ أوصالِ الأمةِ العربيةِ وتأييدِ التخلفِ فيها وإضعافِ نظمها، وتحويلها إلى أمةٍ مستهلكةٍ لا تنتجُ ما تحتاجُ إليه ولا تساهمُ بنصيبٍ وافٍ في حضارةِ العصرِ، ولا بدَّ من أن نسجلَ هنا، إنَّ إسرائيلَ نموذجٌ استيطانيٍّ عدوانيٍّ توسعيٍّ يتميزُ بالشراسةِ والمضي بطرقٍ استفزازيةٍ تحاولُ اختزالَ المنطقةِ كلّها في دورها المستترِ الذي يقفُ وراءَ المشاكلِ المختلفةِ والأزماتِ المتتاليةِ، خصوصاً بعدَ ظهورِ ما سُمي بـ «الربيعِ العربيِّ» وتداعياتهِ في المنطقةِ وملاساته المختلفةِ عليها.

هذه قراءةٌ في ملفٍ له أهميته الكبرى على المستقبلِ العربيِّ، وإمكانِ تعافيه ممّا يعانیه، فالمستقبلُ سيظلُّ محكوماً بإصلاحِ النظمِ العربيةِ، وإعادةِ ترتيبِ البيتِ من الداخلِ بالتركيزِ على التعليمِ والبحثِ العلميِّ، وضخِ ثقافةٍ عصريةٍ تجعلُ العربَ عنصراً فاعلاً في انجازاتِ عالمِ اليومِ، والأخذِ بأسبابِ التكنولوجيا الحديثةِ والتقنياتِ المتقدمةِ، ولن يتعافى العربُ ما لم يدركوا أنَّ اتحادهم هو سرُّ قوتهم ومصدرُ نهضتهم ومبعثُ الأملِ بشراكةٍ عصريةٍ تثبتُ

للجميع أن الأمة العربية وجودٌ حيوي مؤثرٌ، وليست مجرد ظاهرة صوتية عاجزة.



العقل العربيّ له حساباته الخاصة، وتكاليفه العامة، في معالجة وفهم كلّ مشكلٍ أو أزمةٍ، وهو في ذلك يستخدمُ مناظيرَ تختلفُ عن تلك التي يستخدمها العقلُ الوطنيّ الآخر، فالعقلُ الوطنيّ الآخرُ يستخدمُ فكره وثقافته وفقاً لما تقتضيه المصلحة العامة للأمة، لأنّ العقلَ الوطنيّ يضعُ في مقدمة اهتماماته مصلحةَ الأمة وعلو شأنها دون سواها، وهو ماضٍ في كفاحه ونضاله، وستقرأ الأجيالُ القادمة في مناهجها الدراسية وفكرها العام وثقافتها؛ إنّه في الوقت الذي كان العقلُ الوطنيّ يحاربُ ويقصي، إلا أنّه لم يخن مسؤولياته، ولم يغدر أمتَه بلاشك، إنّ سلاحَ العقلِ الوطنيّ الأهم هو.. (إرادته الصلبة)..، التي لا تتكسر، ولن تتكسر، وذلك إيماناً بأنّه يعمل، وينجز، ذلك إلى جانب الحق، ورفع شأن الأمة، وإنّه وظف ويوظف الإعلام عامةً لنشر الحقائق كما هي، ولم يهدف في أيّ مرحلةٍ من مراحل عمله النضاليّ من أجل إبراز كفاحه ونضاله، بل تصدّي لكل، أو معظم محاولات تشويه أعماله وإنجازاته بموضوعية وشفافية على الذين يعملون على قلب وإخفاء الحقائق، ويبثون روح الفتنة والكراهية والكره والحقْد بين الحاكم والمحكوم، ويعملون على نشر الأكاذيب بينهما لزعزعة الأوضاع وعدم الاستقرار. والمؤسف أن البعض من الناس تخدعه الزخرفة والتشويهاة الدعائية التي

يعتمدُ عليها أعداءُ النجاح.



على العقلِ العربيّ أن يفهمَ ويستوعبَ ويدركَ أنّ الحياةَ لها المئاتِ والمئاتِ مِنْ قواعدٍ فنَّ قبولِ وقابليةِ الاختلافِ والحوارِ والتحاوُرِ والمحاولةِ والمناقشةِ والتعايشِ الإيجابيِّ بينَ البشرِ كما لا بدَّ له مِنْ معرفةٍ إنَّه عندما نتناقشُ علينا أن نعى ونفهمَ حقائقَ ثابتةً رسمُها وحدُها كثيرونَ منها.

1/: أنا لستُ أنتَ وغيرُنا، لستَ أنا، ولا أنتَ.

2/: ليسَ شرطاً أن تقتنعَ بما أقتنعُ به.

3/: ليسَ مِنَ الضرورةِ أن ترى ما أرى فهناكُ ثالثُ يرى ما لا نراه معاً.

4/: الاختلافُ شيءٌ طبيعيٌّ في الحياةِ.

5/: يستحيلُ أن ترى كلَّ شيءٍ بزاويةِ (180 °) . فانحرفُ زاويةَ الرؤيةِ
تختلفُ.

6/: معرفةُ الناسِ للتعايشِ معهم لا ، لتغييرهم بالقوةِ وفرضِ الآراءِ عليهم.

7/: اختلافُ أنماطِ الناسِ إيجابيٌّ وتكامليٌّ وطبيعيٌّ مِنْ طبائعِ البشرِ.

8/: ما تصلحُ له أنتَ قد لا أصلحُ له أنا، ولكنه يصلحُ لغيرنا.

9/: كلُّ المواقفِ مِنْ مواقفِ الحياةِ وأحداثها تُغيّرُ نمطَ الناسِ، فأنتَ وأنا

نتغيرُ.

10/: فهمي لك لا يعني القناعةَ بما تقولُ.

11/: ما يُزعجك قد لا يزعجني، ولكنه قد نزعجُ الآخرَ.

- 12/: الحوارُ للاقناع وليسَ للالزام، ولا يكونُ بالقوة.
- 13/: ساعدني على توضيح رأيي حتى تفهمني.
- 14/: لا تقفَ عندَ الفاظي ونصوبي وكلماتي، وأفهمُ مقصدي.
- 15/: لا تحكمْ عليّ من لفظٍ، أو سلوكٍ عابرٍ، أو كلمةٍ انطلقتُ مني.
- 16/: لا تتصيدُ عثراتي وأخطائي حتى لا تصغرُ من قيمتي.
- 17/: لا تمارسْ عليّ دورَ الكبيرِ الفاهمِ.
- 18/: ساعدني أن أفهمَ وجهةَ نظركِ حتى تستطيعَ فهمي.
- 19/: اقبلني كما أنا حتى أقبلكَ كما أنتَ.
- 20/: ليسَ شرطاً أن يتفاعلَ الإنسانُ إلا معَ المختلفِ عنه.
- 21/: اختلافُ الألوانِ يُعطي جمالاً للوحةٍ ويمنحُها جاذبيةً.
- 22/: عاملني بما تحبُّ أن أعاملكَ به.
- 23/: أنتَ جزءٌ من كلِّ في منظومةِ الحياةِ.
- 24/: الحياةُ تكونُ بفريقيينِ مختلفينِ، أو مثقفينِ.
- 25/: الاختلافُ استقلالٌ ضمنَ المنظومةِ.
- 26/: ابنكَ ليسَ أنتَ وزمانه ليسَ زمانكَ.
- 27/: زوجتكَ أو زوجكَ وجهٌ مقابلٍ وليسَ مطابقاً لكَ كاليدينِ.
- 28/: لو أنَّ الناسَ بفكرٍ واحدٍ لقتلَ الإبداعَ وما كانَ ظهرَ اختلافُ
الامكاناتِ.
- 29/: إنَّ كثرةَ الضوابطِ تشلُّ حركةَ الإنسانِ.

- 30/: الناسُ بحاجةٌ للتقديرِ والتحفيزِ والشكرِ أكثرَ منَ التقريرِ والتبويخِ.
- 31/: لا تُبَخْسُ عملُ الناسِ ولا تقللِ منهم ولا منَ قيمتهمِ.
- 32/: ابحثْ عنَ صوابي فالخطأُ مني طبيعيٌّ.
- 33/: انظرْ للجانبِ الإيجابيِّ في شخصيتي.
- 34/: ليكنْ شعارك وقناعتك في الحياة: يغلبُ على الناسِ التسامحُ، والعضو، والخيرُ، والحبُّ، والطيبةُ.
- 35/: ابتسمْ وانظرْ للناسِ باحترامٍ وتقديرٍ.
- 36/: أنا عاجزٌ مٌ دونِ أنْ نخدمَ بعضنا البعضِ.
- 37/: لولا إنك مختلفٌ لما كنتُ أنا مختلفٌ عنك.
- 38/: لا يخلو إنسانٌ منَ حاجةٍ وضعفٍ وقوةٍ.
- 39/: لولا حاجتي وضعفي لما نجحتَ أنتُ.
- 40/: أنا لا أرى وجهي لكنك أنتَ تراه فانظرْ إليه بإيجابيةٍ.
- 41/: إن حميتَ ظهري أنا أحميَ ظهركِ.
- 42/: إذا اتفقنا أنا وأنتَ ننجزُ العملَ بسرعةٍ وبأقلِ جهدٍ.
- 43/: الحياةُ تتسعُ لي أنا وأنتَ وغيرنا.
- 44/: ما يوجدُ في كلِّ الحياةِ يكفي الجميعَ.
- 45/: لا تستطيعُ أنْ تأكلَ أكثرَ منَ مليءِ معدتكِ، فهذه طبيعةٌ بشريةٌ.
- 46/: كما لكِ حقٌّ فلغيركِ حقٌّ، لا يفوتك هذا التفكيرُ.
- 47/: يمكنكُ أنْ تغيرَ نفسكِ ولا يمكنكُ أنْ تغيرني.

48/: أقبَلُ اختلافَ الآخرِ وطوّرَ نفسَكَ بذلكَ الاختلافِ.



اتجَهَ العقلُ العربيُّ في هذه المرحلةِ إلى التعاملِ مَعَ أفكارٍ وسلوكياتٍ وأخلاقياتٍ مثلَ:

1/: الرياءُ الدينيُّ.

2/: الرياءُ والنفاقُ السياسيُّ.

3/: النفاقُ وبكلِّ أشكاله.

4/: المداهنةُ الإعلاميةُ.

5/: الولاءُ المغشوشُ.



عجزَ العقلُ العربيُّ عَن طرحِ وإيجادِ فكرٍ وتفكيرٍ لحلولٍ ومعالجاتٍ لكثيرٍ مِن مشكلاته وأزماته المتعددة، فقدَ ظهرَ إخفاقٌ وفشلٌ مشروعٌ الناصرية، والاشتراكية، وغيرهما مِن أيديولوجياتٍ فكريةٍ، مما أدى إلى صعودِ تياراتِ الإسلامِ السياسيِّ بعدَ ستينياتِ القرنِ العشرينِ، فإمَّا يقفَ العقلُ خائفًا، أو مترددًا، أو متلونًا، أو منافقًا، فلمْ يستطعْ التقدمَ بجرأةٍ طرحِ الحلولِ، ولمْ يستطعْ قراءةَ الماضيِ والتراثِ العربيِّ، وغيرها مِنَ الأدبياتِ، التي حملتْ الحلولَ لمعضلاتِ كبرى في تاريخِ الأممِ، فقدَ حفلتْ واحتوتْ قصصُ الأنبياءِ والرسلِ حلَّ الكثيرِ مِنَ المعضلاتِ الكبرى، والقضايا الضخمة مثلَ القصةِ الشهيرةِ التي وقعتْ في عهدِ سيدنا سليمانَ عليه السلامُ، عندما جاءتْ

إليه امرأتانٍ تحملانِ طفلاً، وتُدعي كلُّ واحدةٍ منهما أمَّها أمه، فأقترحُ نبيُّ
اللهِ الملكُ سليمانُ عليه السلامُ تقسيمَ جسدِ الطفلِ عليهما مناصفةً، قبلتُ
إحداهما هذا الحلُّ الفوري، بيدَ أنَّ الأخرى رفضتُ ذلكَ الحلِّ، فأدركَ سيدنا
سليمانُ أنَّ التي رفضتُ هي أمه.



فاليوم، يعاني العقلُ العربيُّ من أفكارٍ غريبةٍ حاقدةٍ تعملُ على إقناع
الأمّةِ بفكرةٍ تقسيمِ الوطنِ العربيِّ، أيِّ بمعنى آخر تقسيمِ العقلِ العربيِّ ذاته.
لابدَّ أن يتقنَ العقلُ العربيُّ أنَّ الذي يقبلُ بتقسيمِ الوطنِ العربيِّ، فهو لا ينتمي
إلى الأمّةِ العربيةِ، وهو بائعٌ لشرفه وعرضه وكرامته وعزه ومجده، بل إنّه غيرُ
عارفٍ ولا عالمٍ بنضالِ الأجدادِ والآباءِ وجهادهم من أجلِ تطهيرِ الوطنِ من
المستعمرِ والاستعمارِ، فما أكثرُ المشروعاتِ السياسيةِ التي تهدفُ للتقسيمِ
وتصدرُ علانيةً عبرَ كلِّ وسائلِ الإعلامِ، ونعرفُها وقرأناها ولكن لم نتحركْ
لإيقافها، أو إلغائها.



يفترضُ ألا يستسلمَ العقلُ العربيُّ لمثلِ هذه التوجهاتِ والنظرياتِ السياسيةِ
والعسكريةِ الغربيةِ، للتأكيدِ بكلِّ تلكِ المحاولاتِ التي تدعو لتقسيمِ الوطنِ
والأمّةِ، بهدفِ أن يسهلَ عليهم السيطرةُ علينا وانقيادنا لإرادتهم وتوجهاتهم.
ولو أنَّ العقلَ العربيَّ تيقظَ، وأخذَ الحيطةَ والحذرَ لما غمسَ نفسه في مثلِ
هذه التجاذباتِ السياسيةِ، للأسفِ إنني أشعرُ أنَّ قضيةَ تقسيمِ الوطنِ العربيِّ

ليست من ضمن اهتمامات العقل العربي المركزية، وللأسف أن اهتماماته مصبوبة ومصبوة نحو إثارة الفتن والصراعات العربية، وأصبح العقل العربي لا يتابع الأحداث المجنونة عن قرب، مثل قضية تقسيم الوطن العربي لضعافه وسهولة نهش جسده، في المقابل نجدّه يدفع بأفكاره للتدخل في الشأن السياسي الداخلي للدول، ودعم وتمويل الإرهاب والخارجين على القانون والدولة والأمة.

لدي سؤال حان أوانه، وشغل بال كل أبناء وشعوب الأمة العربية قاطبة وهو: ما

نفكر فيه حالياً متى يفوق وينهض العقل العربي، ويسخر كافة إمكانياته الذهنية لاستعادة الوطن العربي من أيدي أعدائه، وإنقاذ ما تبقى من الضياع، وإيقاف هذا التشرذم والتمزق؟ .



يبدو لي - هكذا أتصور الأمور والأوضاع - أن العقل العربي لم يعرف بعد قيمة وأهمية وضرورة عملية..[النقد]...، التي يجب أن يخضع لها المليون ثغرات تاريخ الأمة العربية، فهو يعرف كما عرف قبله العقل الغربي أن مراجعة ونقد العقل في كل عصر، أو في كل مرحلة من مراحل التاريخ وتطوراته وسكناته تكشف له ولأمته التيارات العقلية والفكرية والثقافية السائدة، ورصد تحولاتها من مرحلة إلى مرحلة، فضلاً وتأكيداً عن اكتشاف التفاصيل الحية والدقيقة لملامح التيارات العقلية والفكرية والثقافية الغالبة والسيطرة، وبالإضافة إلى ذلك كله توضح وتكشف مراجعة وفحص العقل في كل

مرحلة تاريخية محددة، عن أثر الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية على تحولات التيارات العقلية المختلفة، مثل فهم دور وأثر وتأثير تيارات الإسلام السياسي على مجمل الحياة العامة في مرحلة ما، فالتاريخ العربي عاش فترات مختلفة، منها ما هو مملوء بالأحداث والتحويلات التي انقلبت بالتاريخ العربي القديم والحديث من النقيض إلى النقيض، وهناك مراحل من تاريخنا العربي تميزت بمزايا عقلية، وخاصة احترام.. (الحرية)...

فنهض بها الإبداع الفكري والثقافي وبكل كفاءة واقتدار ومهنية عقلية عالية، ولم تخلو تلك المراحل من فكر وتشنج واعتراض المعارضين، فقد أخذ الفكر دربه وطرقه على كل المستويات، خصوصاً بعد أن جذب إليها من الحاكم الخليفة العباسي مثل هارون الرشيد، فقد كانت مرحلته تمثيلاً واضحاً لقيمة العقل العربي، والمرحلة الفلسفية التي اقتحمها كثير من المفكرين والمثقفين والفلاسفة، والتي ارتبطت بالعديد من مشكلات الوجود الإنساني، وطرح المشكلات الاجتماعية للنقاش والتجاوز، وذلك عبر مناهج وفصول تتبع المضامين النقدية للعقل العربي، ولا يستطيع أي باحث، أو مؤرخ موضوعي ومحايدي أن ينكر ما بذله الخليفة هارون الرشيد من جهود في تتبع ملامح العقل العربي، وهذا النهج سار عليه ابنه الخليفة المأمون، والذي جنح بتطرفه وغلوه في قضية خلق القرآن الشهيرة.

فأنا - وحتى الآن - لم أستطع أن أتبين ملامح تيارات ومذاهب نقدية تمت للعقل العربي في مراحل تاريخية متصلة، أو محددة، لكن يبدو - هكذا أرى -

على حد علمي، إنَّ عيّناتٍ عقليةً متسلطةً، وأعني بها تتبعُ السلطةَ العربيةَ كانتُ متسلطةً على نحوٍ خاصٍ على كافة التياراتِ النقديةِ العقليةِ، فإنني لم أستطع أن أمح، أو أجدَ أمامي أيّ تنوعٍ، أو تجديدٍ في التياراتِ النقديةِ العقليةِ سواءً في معالجاتِ الدين، أو السياسةِ، أو الإقتصادِ، أو الفكرِ، أو الثقافةِ. كما لم أستطع أن أتبينَ الفارقَ بينَ الملامحِ المائزةِ لبعضِ المراحلِ التاريخيةِ وأنظمتها السياسيةِ الحاكمةِ، وهذا - في ظني - لا يكفي استنتاجه من تحليلاتٍ لإعطاءِ مؤشراتٍ غيرِ مباشرةٍ إلى التحولِ في مسارِ نقدِ العقلِ العربيِّ، الذي لم يسودَ في أيّ مرحلةٍ تاريخيةٍ في تحولاتها العربيةِ وبكلِّ توجهاتها. لقناعتي، إنَّ ما وصلنا من علمٍ ومعرفةٍ وتاريخٍ وكتاباتٍ، لم تنجُ من المبالغاتِ والتضخيمِ - أحياناً - وبخاصةٍ في جوانبها السياسيةِ والدينيةِ، لأنَّه لم يذكرْ لنا الممثلُ الفعليُّ، والواقعُ، أيّ إنَّه لا علاقةَ بينَ سياساتِ السلطةِ، وما يذكرُه الكاتبُ، أو المؤرخُ، والذي قد يكونُ قد دمجَ أثناءَ الكتابةِ موقفه وخلافه معَ السلطةِ، يذكرُه كنوعٍ من أنواعِ الإدانةِ الزائفةِ، أو إنَّه يتهمها بالالفظةِ والغباءِ والبله والاستهبال والاستحمار والاستبقار، فلا يذكرُ العناصرَ الفنيةَ للعقلِ الذي لم ينهضُ فيها حجمه، بل يسرفُ في الغرابةِ والمبالغاتِ بقراءةِ الرموزِ التي ظهرتْ على الأحداثِ وشخصيتها.



وفي مقالٍ جيدٍ ومركزٍ للأستاذِ عليّ حرب، نشرَ بجريدةِ الحياةِ، وبعنوانِ :
ما بعدُ الحقيقةِ من اليقينِ الأعمى إلى اللايقينِ الإيجابيِّ، ذكرَ:

((والذين خافوا من نقد العقل وحسبوه عودةً إلى مجاهل اللامعقول، إنما يشهدون أولاً على جهلهم بالحدائث التي بدأت كمنشأ نقدي عند ديكارت وكنط، كما يشهدون على نظرتهم المثالية والمجردة للعقل، في حين هو فاعلية بشرية لها حدودها، بمعنى أنه في ما ينتج من الأنظمة المعرفة ولغات الفهم، لا ينفك عن إنتاج آلياته اللامعقولة، أو التستر على بداياته الخادعة وممارساته المعتمدة، من هنا لا مهرب من إعادة النظر في ما نتج من النظريات والمذاهب، أو المناهج، على سبيل التحسين والتطوير، أو التعديل والتغيير، من غير ذلك يتحول دعاة العقلانية إلى مجرد ديناصورات فكرية، بقدر ما يتعاملون مع أفكارهم بصورة أصولية متحجرة، لكي يشكّلوا الوجه الآخر للمشروع الأصولي)).

وفي موضع آخر من مقاله كتب: ((من هنا حاول نقد الحقيقة بمعالجة المشكلة، بالعمل على تفكيك منظومة فكرية تحكمت بالفكر الفلسفي منذ أرسطو، تأسست على مقولات المماهة والمطابقة، أو الماهية والثبات، وسواها من المقولات التي تعاملت مع الحقيقة على نحو أيقوني قدسي، بل ديكتاتوري، وكانت النتيجة أن نحصد ما نحصد من الاستبداد باسم الحقيقة المطلقة والنهائية، ولا عجب، فمن قدس شيئاً وقع ضحيته، أو استبد بواسطته، كما يشهد أصحاب الكتب المقدسة والنظريات الشمولية، سواء في معسكر الدين، أو على جبهة العلمانية.

بهذا المعنى لم يكن نقد الحقيقة مجرد عبث، ولا هو وقوع في أفخاخ

اللايقين، بل كان سعيًا للكشفِ عمَّا تعامى عنه خطابُ الحقيقةِ وأسهمَ في
تلغيمه، وذلكَ بفتحِ مفهومِ الحقيقةِ على إمكاناته، على وقع التراجعاتِ
والصددماتِ والانهياراتِ، وفي ضوءِ التحولاتِ الجذريةِ التي يشهدها العالمُ على
غيرِ صعيدٍ، وفي غيرِ مكانٍ.



إنَّ العقلَ العربيَّ يكرهُ معظمَ المذاهبِ النقديةِ الغربيةِ، لأنَّه يعشقُ
المذاهبَ التقليديةَ، التي لا تكشفُ عوراتِه، ولا تفضحُ سوءاته، ولا تبينُ
انحرافَ ثوابتهِ وقيمهِ وتجاوزَ قواعدهِ، التي استخدمها كوسيلةٍ لتشويهِ
الفكرِ الحرِّ والمخلصِ والسلوكِ الحسنِ، وأيضًا استباحةِ دماءِ الأمةِ، ودعمِ
حشودِ الجهلِ ورفعِ قيمةِ الجاهلينَ، ونشرِ البلهِ والاستهبالِ والاستحمارِ والاستبقارِ.
وأيضًا استباحةُ عقولِ العلماءِ والفقهاءِ والمفكرينَ والمثقفينَ، وكذا استباحتهِ لشتى
صراعاتِ الدينِ، ودعواتِ التكفيرِ والزدقةِ والالحادِ، وإثارةِ الفتنِ، واشعالِ
الحروبِ الأهليةِ، وتغافلِه المتعمدِ، وغفلتهِ السياسيةِ حينَ دفعَ لخروجِ أبناءِ الأمةِ
الواحدةِ، والعقيدةِ الواحدةِ يتقاتلونَ ويدمرونَ كلَّ شيءٍ، مِن أجلِ الجلوسِ
على.. (مقعدِ السلطان)..، فأصبحتْ لغةُ الخطابِ الدينيِّ تشملُ وتهتمُّ بمفرداتِ الموتِ
والقتلِ والسحلِ والاعتصابِ والتدميرِ وهلاكِ الأمةِ ومكتسباتِها ومقدراتِها.

وَعَفَلَ العقلُ العربيُّ عَنِ الحساباتِ التي أصبحتْ مسؤولياتِها أكبرُ مِنَ
التاريخِ ذاتهِ، فظهرتْ هنا وهناكُ مستجداتٌ نَحْنُ على وعيِّ كاملٍ بها، وهي
مستجداتٌ هددتْ وجودنا في كلِّ شيءٍ، واجهتْ الأمةَ العربيةَ صواعقَ

وأعاصير لم تشهد قبلها ولا مثلها، هددت كيان الأمة، وأساءت لراية أقدس مقدساتها، وهي.. (العقيدة الإسلامية)..، كتاباً وسنةً، إنَّ في هذا القول شيئاً من الحقيقة، إلا أنَّ الصورة التي مازالت ثابتةً تؤكدُ أنَّ مَنْ حولنا بأننا لسنا بعيدين عن فكر المؤامرات، والتي أصبحنا جزءاً منها في معظم أزماننا ومشكلاتنا، ولأنَّ ما يحدثُ حولنا وعلينا لن يكون بعيداً في يومٍ من الأيام القادمة، لأننا قد لا نستطيعُ الخروجَ من عاصفةٍ، أو عواصفٍ رهيبَةٍ أوشكتُ أو توشكُ أن تحطمَ الأمةَ العربيةَ لولا إرادةَ الله وصلاحه بعض أبناء الأمة من علمائها وفقهائها ومفكرها ومنتقفيها أمام تحدياتٍ ضخمةٍ دخلت وتدخل إلى عمقنا، وتخرجُ منها صراعاتٌ تستهدفنا مباشرةً، ترافقها محاولاتٌ تسعى لتحجيم القدرات، وتبديد الكفاءات، وتقسيم الأوطان والأمة، وكلُّ ذلك باسم الدين، وتحت مظلتِهِ، وهذا أسوأ، وأخطرُ خطرٍ يعيشُهُ العقلُ العربيُّ، لأنَّ أفضلَ وأسرعَ وسيلةً للانقسام والفرقة والتشردم والتجزؤ.



كذلك تغيرُ مفهومنا للحقيقة، بالتحرُّرِ من مقولةِ الحقيقةِ المتعاليةِ على شروطها، بوصفها توجدُ بصورةٍ مسبقةٍ ومستقلةٍ عن مشاريع الإنسان وأنشطته، أو أعماله وصنائعه، لمصلحة مفهومٍ آخرٍ يتعاملُ مع الحقيقةِ بوصفها جملةً ما يوجدُ، أو يحدثُ من الحقائقِ المفردة، أو الوقائعِ الجزئية.

بهذا المعنى فالحقيقةُ هي قدرةُ الإنسانِ على الخلقِ والابتكارِ والاختراعِ في هذا المجالِ أو ذاك، بقدرِ ما هي طاقته على التحولِ والتجددِ، وما يخلقه

المرء يصنعُ به حقيقته بقدرِ ما يدعي كشفَ الحقيقة. هذا ما فعله سقراطُ الذي كان، وكما روى عنه أفلاطونُ، أوَّل مَنْ ابتكرَ منهجاً معرفياً لتوليدِ الحقيقة: لم يقبضْ فيلسوفُ الساحةِ على الحقيقة بل صنعَ حقيقته، هو الذي اعترفَ في نهايةِ المسيرةِ بالجهلِ، وعدمِ المعرفة. طبعاً نحنُ لا نوافقُه ولا نتفقُ على ذلك، لأنَّ المسألةَ تتعدى ثنائيةَ الصدقِ والكذبِ، والاجتهادِ، أو الشكِّ واليقينِ، فالرجلُ قد لعبَ لعبته وترك أثره على المستوى المعرفي، أو الفكري والثقافي.



عدمُ نقدِ العقلِ العربيِّ، أدى إلى عدمِ قراءته القراءة الناضجة في تلك المراحلِ، لكنَّ المرحلة تقولُ إنَّ المسألةَ فيما يجري من العقلِ العربيِّ إنَّه لا يدعمُ فكرةً.. [النقد]...، وهذا هو الجزء العَلنيُّ الظاهرُ على السطحِ، لكنَّ الجزءَ الأكثرَ غائصاً في العمقِ، وهو محاولاتُ الاختراقِ المتتاليةِ والجادة للعقلِ العربيِّ، وبالذاتِ في مسألةِ استغلالِ.. (الدين)..، لتمزيقِ وتقسيمِ وتجزئيةِ الأمة. وهي محاولاتُ توظيفِ بعضِ العقولِ العربيةِ في بعضِ المواقعِ الدينيةِ المهمةِ، لتنفيذِ ما خططَ له من الأعداءِ والخصومِ، وأيضاً محاولاتِ اختراقِ بعضِ العقولِ المفكرةِ والمثقفةِ لصياغةِ أبلغِ ما لديهم من أقوالٍ ومقولاتٍ للتأثيرِ في أبناءِ الأمة. في هذا الإطارِ دعونا نتحدثُ إليكم ومعكم بكلِّ شفافيةٍ ووضوحٍ وصراحةٍ عن أوضاعنا وأحوالنا السياسيةِ، فالمفاصلُ الرئيسةُ في الأمة العربيةِ أصبحت لديها عادةً وهي إنَّه ينتابهم حالةٌ .. (جزع)..، و.. (خوف)..، عندَ الحديثِ عن

سيطرة التيارات الإسلامية السياسية على شرائح كثيرة من الشارع العربي، فلا يريدون الحديث عن الاختلافات والخلافات بين الأنظمة الحاكمة، وبين الشعوب في الرؤى والمواقف والأحداث، وما ترتب ويترتب عليها من قرارات مصيرية، يجب أن تنتهي من كل الصراعات والمشكلات والاختلافات والخلافات، وهذا الانتهاء سوف يصب في مصلحة الشعوب العربية، حتى يلتفت الجميع للمحافظة على مقدرات ومكتسبات الأمة وفهم مصالحها.

بل، ينبغي على العقل العربي الاعتراف الصريح بوجود الكثير والكثير من الاختلافات والخلافات الكبيرة بين الحاكم والمحكوم، في المواقف والرؤى والتفكير، وهذا أمر طبيعي من طبائع الأمور، والأجدى هو العمل الفوري للدخول في حوارات، وخاصة حوار عميق بين الحاكم والمحكوم، وبخاصة فيما يتعلق ..[بالحريات]..، و..[الحقوق]..، على أن تظهر تلك الحوارات بصورة راقية ومتحضرة بعيدة عن عضلات وسائل الإعلام واستعراضاتها، حتى نبعد التشاحنات والتجاوزات والبذاءات والسب والشتم، والتي عادة ما يلجأ إليها البعض من فاقد الموضوعية والحجج.



وفي جانب الحقوق والواجبات وهو جانب أهمل بقصد - وسوء نية -، بل فقد من حياة العقل العربي، كتب الأستاذ عرفان نظام الدين، مقالاً نشر بجريدة الحياة، تحت عنوان أين العرب من الحقوق والواجبات؟ ذكر فيه:

الدرسُ الأوَّلُ في العلاقةِ بينِ المواطنِ ودولتِه الممثلةِ بالحكومةِ يكمنُ في تحديدِ الحقوقِ والواجباتِ وتقنينها لكيَّ تصبحَ واضحةً المعالمِ ومرسومةً الحدودِ، فلا يضيعُ حقُّ لمواطنٍ، ولا يتهربُ مواطنٌ منْ واجباتِه.

ولكنَّ هذاَ الدرسُ أهملناه منذُ زمنٍ بعيدٍ ونسيناهُ ووضعهُ العربُ في سلةِ المهملاتِ، فلا الحكوماتُ احترمتْ حقوقَ مواطنيها، ولا المواطنُ طالبُ بحقوقه وناضلُ منْ أجلها، وهي منْ ضرورياتِ الحياةِ وحاجاتها الأساسيةِ، وليستْ كما يروجُ بعضهم، أو يلمحُ بعضهم الآخرِ إلى إنَّها مجردُ كمالياتٍ، أو إنَّها صعبةُ المنالِ، والعجيبُ أنَّ المواطنَ، إلى أيِّ فئةٍ أنتمي، عاشَ منذُ عقودٍ طويلةٍ على التواكلِ والتخاذلِ واللامبالاةِ في تحصيلِ حقوقه والمطالبةِ بها، أو مجردِ الحديثِ عنها، إمَّا خوفاً، أو إهمالاً، أو جهلاً بأنَّ العقدَ الاجتماعيَّ، أيَّ عقدٍ بينِ الدولِ والمؤسساتِ، يتضمَّنُ بنوداً أساسيةً تدورُ بمجملها حولَ بنديِّ الحقوقِ والواجباتِ لكلِّ طرفٍ منْ الأطرافِ، وعندما اندلعتْ ثوراتُ «الربيعِ العربيِّ» تفاؤلنا بعودةِ الشعبِ إلى رشدهِ، وتسليمِ أنظمةِ الحكمِ بتلبيةِ المطالبِ المشروعةِ له، وإعادةِ الحكومةِ المسلوبةِ عبرَ العصورِ منْ نظامٍ إلى نظامٍ، ومنْ رئيسٍ إلى رئيسٍ، لكنَّ حسابَ العقلِ لمْ يطابقْ حسابَ البيدرِ، وعادتْ حليلةٌ إلى عاداتها القديمةِ.

الجماهيرُ طالبتْ بالحريةِ والشفافيةِ والديموقراطيةِ والعدالةِ، وهي مطالبٌ عادلةٌ وضروريةٌ ومهمَّةٌ، لكنَّها لا تكتملُ وتنجحُ إلا بالتركيزِ على المطالبِ الحياتيةِ والأساسيةِ للعيشِ الكريمِ وتأمينِ فرصِ العملِ، والخدماتِ الصحيةِ

والتعليمية والاجتماعية، فلا حرية بلا كرامة ولا ديموقراطية بلا حقوق أساسية، ولا عدالة بلا عملٍ وعيشٍ كريمٍ، ولقمةٍ حلالٍ من عرقِ جبينِ العاملِ.

أمّا الحكوماتُ والمعارضاتُ، فقدُ أغرقتُ الشعوبَ بالوعودِ والكلماتِ الرنانةِ والشعاراتِ المزيفةِ، ولكنها لم تقدمْ خطةً عملٍ فاعلةً لتأمينِ الحدِّ الأدنى من المطالبِ الشرعيةِ، بل تركزُ الأمرِ كله على الحكمِ، واقتناصِ الفرصِ واستغلالِ الناسِ ومعاركِ الكراسيِ والمناصبِ الزائلةِ وتأمينِ المصالحِ الخاصةِ على المصلحةِ العليا للوطنِ، والدخولِ في أتونِ صراعاتٍ سياسيةٍ وعقائديةٍ تزيد من عمقِ مآسيِ الشعوبِ ومعاناتهم اليومية وتمعن في ضربِ الاقتصادِ الوطنيِّ، ونسفِ أسسه وإشاعة أجواءٍ من الاحباطِ واليأسِ وخيباتِ الأملِ.

ويختتمُ مقالهُ بقوله: صدقوا، أو لا تصدقوا... فهذه هي الحقيقةُ، وهذا ما يجبُ أن يكونَ دورُ الدولةِ ومسؤوليةِ الحكامِ، وبعضِ واجباتهم تجاهَ مواطنيهم، وهذا ليسَ منّةً، أو مكرمةً من أحدٍ، بل واجبٌ وطنيٌّ وحقٌّ شرعيٌّ للمواطنِ للقاءِ ولأثمه لوطنه ومشاركته في الدفاعِ عنه، وتقديمِ كلِّ ما يُطلبُ منه، ويبقى السؤالُ: أين العربُ من كلِّ ذلك... ومن الحقوقِ والواجباتِ؟ وأين الربيعُ... والخريفُ والشعاراتُ الزائفةُ؟ بل أين نحنُ من الوطنيةِ والمواطنةِ والحاضرِ والمستقبلِ والأمنِ والأمانِ.



عَلَى الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يَدْرِكَ مَا حَدَثَ مِنْ تَغْيِيرَاتٍ وَمَتَغْيِيرَاتٍ وَتَحْوَلَاتٍ
جَوْهَرِيَّةٍ وَرِئِيسِيَّةٍ فِي حَيَاتِنَا ، غَيْرَتْ مَجْرَى التَّارِيخِ ، وَإِنَّ الْمَرْحَلَةَ لَا تَحْتَمِلُ الْحُكْمَ
عَلَى الرَّأْيِ الْوَاحِدِ ، وَإِنَّهُ لَمْ تَعُدْ الْأُمَّةُ تُطَبِّقُ وَسَائِلَ وَطُرُقَ وَأَسَالِيبَ مُصَادِرَةَ الْأَرَاءِ
الْمُضَادَّةِ ، أَوْ مَنَعَ وَسَائِلِهَا . وَإِنَّ التَّعْبِيرَ عَنِ الرَّأْيِ أَصْبَحَ مِنْ ضَرُورَاتِ الْحَيَاةِ ، فِي ظِلِّ تَفْهَمِ ،
إِنَّ لِكُلِّ عَقْلٍ ، وَلِكُلِّ وَطَنِ ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ ، ظُرُوفٌ وَضَرُورَاتٌ لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيرِهَا
وَاحْتِرَامِهَا ، بَلْ حَمَايَتِهَا . إِنَّ طَرَحَ مُخْتَلَفِ الْأَرَاءِ وَالْأَفْكَارِ وَالرُّؤْيَى وَالتَّوْجِيهَاتِ
وَفَهْمِ الْمَوَاقِفِ ، وَاسْتِيعَابِ الْاِخْتِلَافَاتِ هُوَ فِي - نَظْرِي - مِنْ أَهَمِّ ضَرُورَاتِ التَّوْجِهِ
لِمُسْتَقْبَلِ مُسْتَقَرٍّ يَحْقُقُ النُّهْضَةَ وَالتَّثْمِيَّةَ ، لِأَنَّ الْحَوَارَ يَفْتَرِضُ أَنْ يَجْمَعَنَا أَكْثَرَ
مِمَّا يَقُودُنَا إِلَى الْفَرْقَةِ ، وَحَتَّى نَفْهَمَ لِمَاذَا يَتَّجَهُ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنْ
الْأَحْيَانِ إِلَى اِزْدَوَاجِيَّةٍ فِي الْمَوَاقِفِ وَالْحُلُولِ؟ إِنَّ الْحَوَارَ يَجْعَلُ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ
مُنْفَتِحًا عَلَى النِّقَاشِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى سَيْرِ تَطَوُّرَاتِ الْأَحْدَاثِ .

فهل يقبل العقل العربيّ، بالحوار ونتائجها، وتداعياتها، ومخرجاتها؟

سؤال مهم للغاية!



الحوارات هي المخرج الهندسيّ الوحيد لحلّ كلِّ مصائبنا واشكالاتنا
ومشكلاتنا وأزماتنا ، وهي طريقٌ واضحٌ للنهضة والنهوض الرقيّ والانفتاح
الجاد على مشكلاتنا وقضاياها ، دون الخشية في الوقوع في حالات الصراع
والتصارع ، لا بدّ أن يفسر كيف نقبل اختلاف الرؤى ، بين مختلف العقول! لأنّ
ذلك في نهاية المطاف سيصل بالجميع إلى وضع رؤية ، أو رؤى مشتركة ، لأنّ

نوع التحديات التي تعيشها الأمة هي تحديات بين أن نبقى أولاً نبقى، أي بصراحة متناهية تحديات وجود، وليست هي ردود أفعال، أو مخاطرة عابرة، أو سريعة. حتى نقف على أرضية صلبة في مواجهة أعدائنا.



فمتى يستطيع العقل العربي أن يبدد ظلام.. (السحب الداكنة)..، السوداء، والتي تقف فوق سماء الوطن العربي؟ والتي هي خلف حجب.. (الحرية)..،..،.



العقل العربي، لم يفهم حتى الآن أن القرآن المجيد ضرب لنا كمسلمين وعرب نماذج رائعة، وابداعية.. (للحرية المسئولة)..، كما أن العقل العربي وحتى الآن، لم يفهم، ولم يستوعب أن تجديد.. (العقل الديني)..، مرهون بالمصلحة العليا للأمة العربية، وأيضاً مقاصد الشريعة الإسلامية.



لم يع العقل العربي أن تغيب أهل الفكر والثقافة يشكل.. (محنة)..، للأمة ومستقبلها وازدهار الإبداع، يحتاج إلى تلك العقول، ولم يرغب، ولم يع، العقل العربي أن الإصلاح في الأوطان يحتاج إلى مناخ داعم بلا تعصب.



العقل العربي لم يمنحه الله طبيعة متسامحة، تنفر من التعصب بكل أشكاله، رغم أن الإسلام جاء ليطهره من ذلك، إلا أن هذه.. [النزعة العنصرية]..، باقية ومدفونة في داخله، وتظهر بصورة جلية في تعامله

ومعاملاته وأقواله وأفعاله، فهو في هذا الجانب ينطلق من خلف المواقف والأحداث بسرعة صاروخية لإشباع شهواته المتعددة في **مجال العنصرية**، فصار العقل العربي نافذاً ومشهوراً في هذا الجانب ولا مَعاً في الوسط العالمي، وظلت **العنصرية**...، وسيلته في البروز، وأعمد على الجهد المضاعف المتواصل بلا كلل في تنمية هذه النزعة البغيضة، وهذا يتجسد في طبيعة وطبائع كافة القرارات والاجراءات والخطوات في دول الخليج العربي.



لَم يضع العقل العربي لمنهجه العقلي نظاماً قاسياً ومنضبطاً غاية الانضباط لمعالجة اشكالاته ومشكلاته، فهو لا يعرف ما يعنيه الوقت للأمة، رغم خروج مفكر عربي مصري، وهو الإمام حسن البنا، قال: (إن **الزمن جزء من العلاج**)، ولعدم توفر المنهج العقلي لم تصبح لأفكار ورؤى العقل العربي لها وهج خاص، ومن العيب على العقل العربي إنه يعتبر وينظر إلى القضايا والمشكلات وكأنها.. **(بالون)**... معلق في الهواء يسقط في أي حين. ولهذا تضخمت قضايا ومشكلاته، وأصبحت تشكل عليه كثيراً من الأعباء المختلفة، كما يعاب عليه ولرفضه.. **[النقد]**...، إن قضايا ومشكلاته، لا تسير أثناء معالجتها عبر نهج العقلانية والتسامح والاجتهاد والوعي وشمول الرؤية، وعدم الانفصال عن الواقع بكل معطياته السياسية والدينية والاجتماعية والإقتصادية والفكرية والثقافية، أي إنها مجموعة البنى الحضارية المشكلة

للواقع، بل إنه يعتمدُ على..(المزاج).. و..(الانطباعات).. و..(التعميم).. وهذه - للأسف - أصبحت..[منهج حكم]...، في كلِّ الدولِ العربيةِ دونَ استثناءٍ، وهذا ما جعله دائماً بصورةٍ مستمرةٍ يعيشُ في.. (الظل).. بل إنه لمْ تشغله انشغالاته النخبويةِ العامةِ، فهو لمْ يشتغلْ بهمومِ الشعوبِ، ولمْ يتجَهْ لخوضِ معاركِ فكريةٍ مِنْ أَجْلِ أُمَّتِهِ وقضاياها ومشكلاتها وتحدياتها، وإنْ خاضَ بعضُ المماركِ فتكونَ رؤاهُ فيها معاكسةً لطموحاتِ وآمالِ الأمةِ وشعوبها، تغافل، وغفلَ بغفلةٍ طويلةٍ العقلُ العربيُّ، إنَّ الإنسانَ..(موقف).. مهمًّا تكنُ سطوةُ السلطةِ.



كَمَا إنَّ العقلَ العربيَّ خلطَ بينَ مفاهيمٍ مهمةٍ في حياةِ الأمةِ، حيثُ خلطَ بخلطةٍ عقليةٍ واضحةٍ بينَ..(حريةِ الرأى).. و..(فوضىِ الرأى)..، لهذا وقعَ فريسةً في يدِ السلطةِ العربيةِ التي نهضتْ لمحاربةِ..(حريةِ الرأى).. وبكلِّ أشكالها، وهذا مأزقٌ تاريخيٌّ وقعَ فيه العقلُ العربيُّ، وهذا جعلَ البعضَ منَ المفكرينَ والكتابِ والمثقفينَ ضحايا لهذه الحريةِ، لقد أدركتُ مبكراً أنَّ حريةَ الإنسانِ هي رؤيةٌ وفكرةٌ يملكها، أي: في رأيه وفكره، والتي تحفظُ كرامتهِ وإنسانيتهِ، وتعلمتُ مِنْ تجاربي المتعددةِ أنَّ حريةَ الرأى والفكرِ ليستُ ترفاً، ولا استجداءً، ولا وجاهةً، وإنَّه يجبُ أنْ يحترمَ الإنسانُ كلَّ امتداداتِ قوسِ قزحِ الحريةِ، دونَ أنْ يسألَ عَنْ هويةِ الآخرينَ الفكريةِ وتيقنتُ

أنَّ المستقبلَ سيكونُ في احترامِ الحرياتِ، ولا يمكنُ إنجازِ و تحقيقِ أيِّ إنتاجِ فكريٍّ في هذه الحياةِ بدونِ وضعِ قواعدٍ أخلاقيةٍ مستمدةٍ من مؤسسةِ الأخلاقِ الإسلاميةِ.



لكنَّ لنَّ نقبلَ بإهدارِ كرامةِ الناسِ والإعتداءِ على الحرياتِ العامةِ والخاصةِ.



نَحْنُ الشعبُ مَنْ يحافظُ على.. (الوطن) ..، واستقراره وأمنه ورخائه وطمأنينته، ولا أحدٌ يزايدُ علينا في حمايته، ومقولة.. (الشيوخِ أخص).. حقُّ يرادُ به باطلٌ، فالتمادي في تحدي حرية.. (الكرامة) ..، و.. (الحريات) ..، والتطاولِ على الأمنينِ مرفوضٌ.



فالإنسانُ العربيُّ عجولٌ، ومستعجلٌ بطبعه وطباعه فهو مستعجلٌ في ردهِ على الآخرِ، فعقله لا يحبُّ الإلتزانَ وعدمِ التسرعِ بقولِ الرأيِ، فوقعَ في انتهاكاتِ حريةِ الرأيِ، في هذه الأمةِ أناسٌ يدافعونَ، أو يهاجمونَ نصوصَ فكريةً وثقافيةً ودينيةً لم يقرأوها، تحت مظلةِ حريةِ الرأيِ، وهذه ظاهرةٌ تعيشها الأمةُ العربيةُ، وتظهرُ علينا كثيراً في مواقفٍ وقضايا معينة، وبخاصةِ تلكَ التي ترتبطُ بالفكرِ الدينيِّ، فتظهرُ بصورةٍ جليةٍ، وقد تتوارى مع آخرين في سياقاتٍ مماثلةٍ.



إنني أرى .. (أمةً عربيةً) .. ، بعقلها تصمتُ ، وصمتتُ طويلاً على ضعفِ عقلها ، ولمْ

تخضعه لعملياتِ النقدِ .



لهذا أتمنى أن تشهدَ المرحلةُ القادمةُ أدواراً مؤثرةً وقويةً وحيويةً وفعالةً للعقلِ العربيِّ، عبرَ حراكٍ يتسمُ بتفوقِ العقلانيةِ على الانفعاليةِ، وأن تكونُ المطالباتُ السياسيةَ البعيدةَ عن واقعِ المواطنين، لا تكونُ في سلمِ الأولوياتِ.



أوكدُ أنَّ العقلَ لا يتجزأُ، ولكنَّ القبحُ يتجزأُ، والقبحُ والشرُّ والتطرفُ والتوحشُ تأتي من نبعٍ ومصدرٍ واحدٍ هو.. [العقل]..، وفي النهايةِ إمَّا أن نكونَ بصددِ حضارةٍ إنسانيةٍ، أو لا إنسانيةٍ، والأمرُ يعودُ لعقلنا العربيِّ.



إنَّ سوءَ استغلالِ فشلٍ وترديِ العقلِ العربيِّ، واستغلالِ الأحداثِ والمواقفِ من قلةٍ قد تكونُ تريدُ.. (الفتنة) ..، أمراً وارداً في كلِّ الأحوالِ، بهدفِ عدمِ تمتعِ الإنسانِ العربيِّ بالحريةِ.



العقلُ العربيُّ يعشقُ تكوينَ **المحسوبياتِ، والشلِّ، والجماعاتِ المنفردةِ، وجماعاتِ الضغطِ، والتربيطاتِ بين النخبِ وغيرها**، لخلقِ الفوضى في المجتمعِ، ومحاولةِ السيطرةِ على الأمورِ في المجتمعِ، ثمَّ يسمي تلكَ.. (الفوضى) ..، بإضافةِ

لها معنى أستمدّه من الغرب فيقول: إنها..(فوضى خلاقه).. وهي في حقيقتها وعملها وهدفها غير خلاقه، إنها فوضى عارمة، اختلط فيها الحابل بالنابل. أعود، فأقول لبداية حديثي عن.. (حرية الرأي) ..، إن القرآن المجيد يبين، واحتفظ لنا بأروع قصصٍ وصورٍ ومواقفٍ.. حرية الرأي المسئولة..، لا الهدامة، والمدمرة، وذكرت العديد من الآيات المجيدة التي تمجد وتعلو.. بحرية الرأي.. منها قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة، (30)، فجاء ردُّ الملائكة بقوله تعالى: ((قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ))..، البقرة، (30)، وهنا يتضح لنا استمرارية الحوار الراقي بين الخالق جلت قدرته وبين ملائكته، يلاحظ من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله جل وعلا منح الملائكة حق الإقتناع بالبرهان، بل إن الله الجبار المتكبر حاور أبلّيس اللعين عندما سأله: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ)، قال: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ). سورة، ص، (76).



فالعقل العربي رفض كلياً ومنذُ عصور الجاهلية وحتى اليوم رفض أن تكون..(الحرية)..، هي منهج حكمٍ وتعاملٍ بين الراعي والرعية، أو الحاكم والمحكوم، فيما عدا فترة ظهور الدعوة الإسلامية، وحكم سيدنا محمد ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ. وما بعدها لم يشعر العقل بحريته.



في معظم مراحل التاريخ ربط العقل العربي..(الحرية)..، بكثير من معاني وقيود الخوف والتخويف من ممارستها، لأنها ارتبطت ومنذُ بدايات

الدولة الأموية بمفهومٍ مرتبطٍ ارتباطاً وثيقاً بالتجريفِ نحو الكفرِ والانحلالِ،
وإنَّه أمرٌ غيرُ أخلاقيٍّ، يطعنُ في الدينِ والعباداتِ والمسلماتِ والثوابتِ، وهذا
فهمٌ قاصرٌ، لم يَضَعْ في تكوينه الذهنيَّ أنَّ [..] الحريةَ [..]، تعنيُ الرأيَ، واحترامَ
الرأيِ الآخرِ، مهمًّا كانَ الخلافُ العقديَّ، أو الثقافيَّ، أو الفكريَّ، وإنَّها
تعنيُ وترتبطُ بشرطِ عقديٍّ وأخلاقيٍّ وهوَ عدمُ التجاوزِ على الآخرِ، أو انتهاكِ
حقوقِ الآخرِ، أو النيلِ من كرامتهِ وأدميتهِ والطعنِ في أخلاقه.

لقد عرفَ عن العقلِ العربيِّ الدينيِّ إنَّه لا يقبلُ رأياً مخالفاً ولا معاكساً له، وإنَّه لا

يعطيُ الآخرَ حريةَ الاختلافِ، أو الحوارِ حولِ أنماطِ الحياةِ.



من دونِ ريبٍ، إنَّ مفاهيمَ الحريةِ، لها اتجاهاتها في ذهنية.. (العقلِ
الدينيِّ)..، والذي يمثله رجلُ الدينِ، ومن عاداتٍ وخصوصيةِ هذا العقلِ المغلقِ
والمغلقِ على نفسه، إنَّه لا يحبُّ التعبيرَ عن الإيجابياتِ في الحياةِ، لكنَّ
الأيدولوجياتِ التدينيةَ، اليومَ لا تؤمنُ بالآخرِ ولا تحاوره ولا تؤمنُ بما يقوله.
بل إنَّ هذا العقلَ الدينيَّ عرفَ بعنفِ التعاملِ مع الآخرِ، ويسعى إلى ما يثيرُ على
الدوامِ التباساً عميقاً يضيعُ الهويةَ الإنسانيةَ للعقلِ العربيِّ، بمشاكله
وصراعاته. هذا العقلُ العربيُّ الدينيُّ يريدُ صناعةَ وتشكيلَ أشخاصٍ بذهنيةٍ
تقوُّدهمِ التقاليدَ والأعرافَ القديمةَ إلى حيثُ يريدونَ هم، وذلكَ في توليفِ
متوازٍ متقاطعٍ بينِ الواقعِ والحقيقةِ، ولا يزالُ بعضهم إلى الآنِ موضعَ نزالٍ

وسجالٍ، وحسبنا للتيقنِ مِنْ هَذَا أَنْ نتساءَلَ اليومَ عَنْ مستقبلِ هَذَا العقلِ الذي بيده مصيرُ الأمةِ كُلِّها.



يدعِي العقلُ العربيُّ إِنَّه مِنْ يفهمُ كلَّ شيءٍ، لكنَّه أَكَدَتْ الأحداثُ وتفاعلاتُها، إِنَّه لَا يفهمُ أَيَّ شيءٍ، ونسيَّ مقولةً عربيَّةً تقولُ: **(من جهل شيئاً عاداه)**...، وهذا الجهلُ بالشيءِ، أو الأشياءِ هُوَ مِنْ أوقعَ بالعقلِ العربيِّ للدخولِ والعيشِ مَعَ هذه القضايا والتحديات والمشكلاتِ، فأهملَ كلَّ حقوقِ وواجباتِ الإنسانِ العربيِّ، فنجدُ كلَّ الدولِ العربيَّةِ وضعتْ وصاغتْ كثيراً مِنْ القوانينِ والديساتيرِ وضمنتها بالكثيرِ مِنْ موادِ حريةِ الرأي، وحريةِ الإنسانِ، وحريةِ الأديانِ، ولكنها تتجاوزُ وتتسى وتتغاضى كلَّ الموادِ والقوانينِ التي تدعو للحفاظِ واحترامِ حقوقِ الإنسانِ والمحافظةِ عَلَى كرامتهِ، وأنْ وردتْ بأحدِ الموادِ؛ فهي لَا تطبقُ عَلَى الواقعِ، وهنا يكمنُ الخطرُ، وتظهرُ الخطورةُ.



كلَّمَا أرتفعَ خطُّ التقدُّمِ فِي العمرِ فِي **[العقلِ العربيِّ]**...، انخفضَ.. **((خطُّ الذاكرة))**...، فِي خلايا العقلِ العربيِّ بشكلِ أثرٍ عَلَى مسيرةِ وإنتاجِ ووضعِ العقلِ، وأعتقدُ أَنَّ هَذَا أمرٌ طبيعيٌّ بسببِ طبائعِ الأمورِ والحياةِ والسننِ الكونيةِ. فلا بدَّ لمثلِ العقلِ العربيِّ أَنْ يمرَّ بمرحلةٍ ضعفِ الذاكرةِ لما وقعَ لَهُ وَعليهِ مِنْ أحداثٍ مجنونةٍ أفقدتهُ توازنهَ وارْتبكَ فِي كثيرٍ مِنْ قراراته وأفكاره

وسلوكياته، فلم يعد هذا العقل العربي قادراً على أن يسمي الأشياء بأسمائها لأن.. [الذعر]...، تملكه وبشدة، وكما إنه أصبح غير قادرٍ على الاستطاعة لتذكر ما نسيه من أحداثٍ ومواقفٍ وأزماتٍ وكوارثٍ، والأمرُ اللافتُ للنظر أن العقل العربي لا يشعرُ بوهنٍ.. [ذاكرته]...، رغم أن أعراض النسيان ظاهرة عليه، وشعوره بالنسيان جعله لا يستطيع أن يسيطر على قلقه، وخوفه من المستقبل، وهذا عائدٌ إلى أن العقل العربي لا يملك المعرفة بخصائص هيكل المخ وكيميائه، لهذا لم يعد يستطيع العقل العربي أن يرى كل ما يرى بالعين. وهذا ما جعلني أتساءل مع غيري، أهنالك.. [عقل عربي شاب]...، ثم أهنالك.. [عقل عربي شاخ]...، حتى يستطيع العقل العربي أن يعطي صوته إلى الحق أينما كان، وأينما رآه.



ظهر.. [التمرد]...، و.. [الثورة]...، في مفردات العقل العربي، وبصور شتى قولاً وفعلاً وعملاً، وكان ماثلاً في الواقع العربي، فكشف فساد السلطة العربية وتعددها على حق الشعب العام، فعمل العقل العربي على تعرية السلطة العربية، وصدراً كثيراً من الإنتاج العقلي السليم الذي كشف ذهنية وتركيبه العقل العربي حاكمٍ ومحكومٍ، مثل كتاب: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. لعبد الرحمن الكواكبي، وكتاب: خواطر مصرحة للمفكر السعودي محمد حسن عواد، وكتاب: الرجولة عماد الخلق الفاضل للمفكر، والمتقف السعودي حمزة شحاته، وكتاب: رموز على اللوحة للكاتب السعودي عبد الله

السعد، وكتاب: العمل الديني وتجديد العقل، للفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن، وغيرها كثيراً.



العقل العربي يجب أن يكون كله في هذه المرحلة.. (تمرد سياسي) ..، على الواقع الذي نعيشه، ذلك.. التمرد.. مشحون.. (بالتحدي) ..، وبكل أنواعه. لكي نقول للحاكم العربي، لقد رحل زمن.. (سماً وطاعة) ..، بل اليوم كل الأمة يجب أن تقول.. (لا.. سماً، ولا طاعة) ..،.



تلك العقول العربية حذرت وحذرت وحذرت من التمرد الذي يسكن الإنسان العربي، كما إنها حذرت من عواقب كبتة ومحاربة حرية وإقصائه. وفي نهاية المطاف يأتي العقل العربي السلطوي ليقول: إن الفكرة غير قائمة، وغير مستقيمة، بل حتى لغة الخطاب غير سليمة، فتحول إبداع العقل العربي الحر والشريف والمخلص من فكر إبداعي تمردى إلى فكر مصنوع داخل قوالب سلطوية، وهذا ما جعلني أقول فأكرر قولي: إن ولاء العقول العربية الحالية لن يكون للثقافة الوطنية والأمة دور بارز، بقدر ما سيكون للثقافة الغربية الاستهلاكية التي قتلت وتقتل حالة التفكير في داخل ذهنية أجيال الشباب. إن اليوم العقل العربي في حاجة ماسة وحقيقية إلى.. (العقل الأنسب) ..، وليس إلى.. (العقل الأمثل) ..،.



ويذكر الأستاذ وليد محمود عبدالناصر الكاتب المصري في مقال له نشر بجريدة الحياة، وبعنوان في مئوية الثورة العربية الكبرى مالها وما عليها: قال: ((فلا شك في أن انطلاق الثورة العربية الكبرى في 2 حزيران (يونيو) 1916، وما شهدته من نجاحات في مراحلها الأولى كان نتاج تلاقي أدوار ثلاثة أطراف في الأساس أثرت على شعوب المشرق العربي، وأثارت أفعالها حميتهم العربية، وهي: أولاً: جهود وإبداع ومساهمات قطاعات مهمة من النخبة الثقافية العربية، وتحديدًا في بلدان المشرق العربي، في شكل فردي وجماعي، ضمن جمعيات فكرية وثقافية، على حد سواء، في سبيل إنهاض وعي قومي عربي لدى شعوب المشرق العربي، وثانيًا: نشاط وفاعليات قطاع مهم من العرب الناشطين سياسياً، وأساساً من بلدان المشرق العربي، انتظموا في سياق أحزاب سرية، ربما محدودة الحجم، ولكن واسعة التأثير، بغرض تنظيم الصفوف، إن لم يكن لإطاحة الحكم العثماني، فعلى الأقل لإضعاف قبضة سيطرته، وثالثًا: تطلعات وطموحات وتحالفات بعض الحكام ضمن مساعيهم لإقامة دولة عربية كبرى؛ تلبية أحلام الشعوب من جهة وتحقيق لهؤلاء الحكام أمجاداً باقية ويذكرها التاريخ من جهة أخرى.

ولكن ككل الثورات أيضاً، سواء السابقة، أو اللاحقة على الثورة العربية الكبرى، فإن أوقات التحالف بين دوائر السلطة ودوائر المثقفين تكون غالباً قصيرة العمر بما يؤثر سلباً على الطرفين، فالقوة عندئذ تفتقد إلى الفكر

الذي يجعل لها رسالةً ويمنحها الرؤية من ناحيةٍ، والفكر لا يجد الوسيلة التي تساعدُه على ترجمته إلى واقعٍ من ناحيةٍ أخرى، حيثُ تغلبُ لدى الحكامِ حساباتُ السياسةِ وتقديراتُ السلطةِ، ومعادلاتُ توازناتِ القوى، والبحثُ عن أفضلِ ما يمكنُ تحقيقه عملياً على الأرضِ، في وقتٍ يتمسكُ فيه المثقونُ عادةً، أو أغلبهم على الأقلِ، بالأهدافِ الأصليةِ وتصطبغُ نظرُهم باستمراريةِ الطابعِ المثاليِّ، والنظرةِ التفاؤليةِ، ربماً رهاناً على وعيِ الشعوبِ وديناميةِ حراكِها، حتَّى لو اتصفَ ذلكَ الحراكُ بالتلقائيةِ والعفويةِ.

أمَّا الملاحظةُ الثانيةُ، فتتعلقُ بدورِ «الخارجِ» في سياقِ هذه الثورةِ، فقدُ ووجهتُ الثورةُ العربيةُ الكبرى تاريخياً بانتقادٍ تقليديٍّ تكررٌ على مدارِ القرنِ المنقضيِّ، يتعلّقُ بالتشككِ في أنَّ العاملَ الحاسمَ الذي دفعَ إلى قيامِ الثورةِ كانَ ضمانُ الدعمِ والاعترافِ من جانبِ المملكةِ المتحدةِ لها، وللدولةِ المنتظرةِ التي كانَ يفترضُ أن تتجَّ منها، وذلكَ في ضوءِ حساباتِ دوليةٍ وإقليميةٍ مرتبطةٍ بأجواءِ الحربِ العالميةِ الأولى في شكلٍ عامٍ، وبرغبةِ بريطانيا في إطلاقِ رصاصِ الرحمةِ على أيِّ سيطرةٍ للدولةِ العثمانيةِ على أراضٍ تقعُ خارجَ حدودِ تركيا شرقاً)).



لقدُ فقدَ العقلُ العربيُّ سلطتهِ على العاداتِ والتقاليدِ والأخلاقِ المتعارفِ عليها، والتي شكَّلتْ لنا الثوابتَ والمسلماتِ، وعندما فقدتْ كلُّ تلكِ الأشياءِ، وبالتالي فقدتْ سلطتها، عملتْ السلطةُ العربيةُ على صناعةِ ثقافةٍ

خاصةً بها لتكون وتشكل أهدافها، التي من خلالها يمكن لها السيطرة والتحكم على باقي العقول، فقفلت السلطة أبواب الوطن أمام المفكرين والمتقنين، وفتحت أخرى لإطلاق ونشر تيارات فكرية بتوجهاتها السياسية.



وكَمَا بينتُ في السابق أنَّ العقلَ العربيَّ عطلَّ تجديدَ العقلِ والخطابِ الدينيِّ، لأسبابٍ سياسيةٍ نعرفُ كثيرَها، ونجهلُ قليلَها، **فالمؤسسةُ الدينيةُّ، ومنذُ عهدِ سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه هي المشاركُ الحقيقيُّ في ممارسةِ الحكمِ والسلطةِ، بل إنها دخلتُ في حالاتِ الجمودِ الفكريِّ والتخلفِ الثقافيِّ.** وهي لمْ تعملْ، ولمْ تسعى لإجراء نقدِ عقلها البشريِّ، ولمْ تقمَّ أوضاعها بنفسها، ولكنها وللأسفِ الشديدِ، إنها جعلتُ التقويمَ والتجديدَ والمراجعةَ مرهونًا بمصلحةِ السلطةِ، ولكنها لمْ تراغْ مقاصدُ العقيدةِ الإسلاميةِ كتابًا وسنةً، ولمْ تفهمْ المؤسسةُ الدينيةُ الهدفَ الساميَّ والكبيرَ، حينَ عطلَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. (حدَّ السرقة).. في عامِ المجاعةِ.



المرعجُ أن المؤسسةَ الدينيةَ العربيةَ الشعبيةَ والرسميةَ بالذاتِ، فهتتُ خطأً أن تجديدَ العقلِ والخطابِ الدينيِّ لا يعني بأيِّ حالٍ من أحوالٍ هدمَ الفكرِ القديمِ، بل هو يدعو لتطويره بأدواتٍ وآلياتٍ عقليةٍ معاصرةٍ تجمعُ بينَ القديمِ والجديدِ للمحافظةِ على قوةٍ وهيبةٍ ووقارِ الخطابِ الدينيِّ، والتجديدُ لا يمسُّ العقيدةَ الإسلاميةَ ولا العباداتِ، أو الإخلاقَ بالأصولِ والثوابتِ والمسلماتِ الأساسيةِ.



إنَّ تجديدَ الخطابِ الدينيِّ لأبدٍ أنْ يقبلَ بهِ العقلُ العربيُّ السلطويِّ،
وخصوصًا **المؤسسةَ الدينيةَ الرسميةَ، أو السلطويةَ**، وخاصةً المطالبُ الشعبيَّةُ
الملحةُ، والتي تطالبُ بإعادةِ النظرِ في الكثيرِ منْ قضايا ومشكلاتِ الأمةِ
العربيةِ المزمنةِ، إنَّ المرحلةَ التي يعيشُها العقلُ العربيُّ هي ضمنُ مراحلِ
..(الاستثناءاتِ)..، التي تعيشُها عادةً الشعوبِ، وهذهِ المرحلةُ تحتاجُ إلى معاركٍ
عقليةٍ وفكريةٍ وثقافيةٍ متعددةٍ، لفهمِ متغيراتٍ وتغيراتِ العصرِ ومتطلباته
وإفرازاته السريعةِ والمتلاحقةِ، معَ استيعابِ المنجزِ النقديِّ العصريِّ، وإدراكِ
الخلفيةِ الثقافيةِ لكثيرِ منْ قضايا ومشكلاتِ الأمةِ وشعوبها، والإدراكِ
الحقيقيِّ لمعنى التطورِ الحضاريِّ والفكريِّ والثقافيِّ، وهذا ما يدفعُ بالعقلِ إلى
تحريكِ ثقافةِ المجتمعِ، والدفعِ بتجديدِ خطاباتها المتعددةِ، مما يجعلُ الناسَ
على مختلفِ مستوياتهم أكثرَ وعياً وتحسُّساً للحياةِ والوطنِ والأمةِ، وكسرِ
كافةِ الحواجزِ الحاجبةِ التي تفصلُهم عنِ العقلِ الغربيِّ المبدعِ، وهذا يجعلُ
الإنسانَ العربيَّ وعقله أكثرَ إماماً بكثيرِ منْ القضايا والتحدياتِ والمشكلاتِ
التي يواجهونها، وتقفُ كعائقٍ في تطوُّرهم ورفقيهم.



**فلا بدَّ منْ رفعِ حصانةِ المؤسسةِ الدينيةِ الرسميةِ والشعبيةِ لسهولةِ الحوارِ معها
وعبرَ كلِّ القنواتِ، والتوجهِ للإعلامِ ووسائله هو وسيلةٌ جديدةٌ لشرحِ أوضاعنا وكشفِ
همومنا.**



ونقولها بالحرف الواحد وبالوضوح غير القابل لأي تأويل، إنَّ في الوطن وفي كلِّ وطنٍ، مرجعية حكمٍ واحدةٍ، فلا يجوزُ الخروجُ على هذه المرجعيةِ. وإنَّ الوطنَ رقمٌ صعبٌ لا يقبلُ القسمةَ في أيِّ حالٍ من الأحوالِ، ولنَّ يكونَ فيه سلطةٌ حاكمةٌ متعددةُ الرؤوسِ مثلَ لبنانِ، أو مرجعيةٌ موزعةٌ لولاءاتٍ لجماعاتٍ الضغطِ، كما في العراقِ.



لابدَّ من الانصياعِ إلى..(لغةِ العقل)..، والأخذِ بناصيةِ العودةِ إلى..(مؤسساتِ)..الوطنِ، وعدمِ استغلالِ الشارعِ لتنفيذِ أجنداتٍ ذاتِ ولاءاتٍ خارجيةٍ.



إنَّ واقعَ العقلِ العربيِّ اليومَ يشكُلُ واقعُ الصراعِ الأيديولوجيِّ معَ العديدِ من تياراتِ الإسلامِ السياسيِّ المتطرفِ والمتشددِ، وهذا يحيلنا إلى سؤالنا الأولِ: لماذا رفضَ العقلُ العربيُّ أنْ.. **ينقدَ** ..، **وينتقدَ**، للغوصِ في تعاريفِ معاصرةٍ ترافقها متغيراتٍ حادةٍ، وهي مفاهيمُ فكريةٌ وسياسيةٌ ودينيةٌ، والمرحلةُ بكلِّ مقتضياتها وضروراتها لا تحتملُ، بل لا تتقبلُ أنْ يلبسَ كلُّ شيءٍ.. (لبؤساً دينياً)..، وفي بداياتِ الدولةِ الأمويةِ، وبسببِ ذلك.. (البؤسِ الدينيِّ)..، ظهرَ الصراعُ بينَ الفقهاءِ والحكامِ، كما عرفَ واشتهرَ في قضيةِ تحكيمِ القرآنِ الكريمِ، وموقعةِ الجملِ، وموقعةِ صفينَ.



يجبُ، ثمَّ **يجبُ**، بل ينبغي على السلطةِ العربيةِ منَعَ ندواتٍ ومحاضراتٍ

ودروس الفتنة المنتشرة هنا وهناك، ويجب أن تكون ممنوعة، وبعدها لتقل جماعات الضغط ما يشاؤون ويحرضون على من يريدون بالاستجواب أو السجن.



يفترض أن يكون العقل العربي أعمق إحساساً بالمتغيرات، وأن لا يرى ضرراً على التطورات الاجتماعية والفكرية والثقافية والصحافية والاعلامية، والوجدان العربي لم يفهم، ولم يع، ولم يدرك العقل العربي، إن.. (الأقوى)..، في مفهومه واتساع معناه، أو معانيه لا يعني هو الأفضل، فقد يكون.. (الأقوى)..، هو.. (الأخطر)..، عليه وعلى الأمة العربية ومستقبلها، وعادة.. (الأقوى)..، تتوالد معه الكراهية والكراهة والقطيعة والخصومة مع الكثير، لأنه يصاب بعمى البصيرة، فيتجه لكي يفرّد عضلاته ويستعرضها للتعامل مع الآخرين بطريقة.. (النكيات)..، ويقدم.. (العناد)..، في مواقفه، لظنه أنه يملك مقومات وأدوات القوة، التي تمكنه من استخدام.. (العناد)..، كأسلوب ضغط وعمل، كما أن.. (الأقوى)..، لكي يسود ويتحكم في الساحة والمصائر يتجه إلى تهيج الغرائز وتفجير الأحقاد، وزراعة الخوف في النفوس والعقول، بل إنه يبقى معششاً في الذهنية والعقل الباطني، مع نبش للماضي، ويفتعل المواقف ليفعل فعل التهديد والتخويف والقدرة على تعطيل مصالح الآخرين بحكم ما يمتلكه من قوة ونفوذ، هذا هو واقع العقل العربي.



إنَّ العقلَ العربيَّ في حاجةٍ ملحةٍ وضروريةٍ لنقده في هذه المرحلة بالذاتِ،
لأسبابٍ عدةٍ ومهمةٍ منها الترفعُ عن ما تبقى به من الحواجز الوهمية والنفسية التي
لمْ تزلْ بعضُ آثارها باقيةً من بقايا ماضٍ مضى، وكان مؤملاً للغاية. للأسفِ
المؤلمِ أنَّ العقلَ العربيَّ أصبحَ .. (محرقةً) ..، وقودها أبناءُ الشعبِ العربيِّ، الذين
غلبتْ قوةٌ ونفوذٌ وسيطرةٌ غرائزهم على عقولهم، فمنْ يستطيعُ إطفاءِ هذه
المحرقةِ العربيةِ المتخصصةِ في حرقِ الأمةِ العربيةِ؟

الجوابُ: العقلُ العربيُّ وحدهُ القادرُ على فعلِ الإطفاءِ!.



إنَّ العقلَ العربيَّ أثبتتْ التجربةُ؛ أنَّه أمامَ حفنةٍ من دعاةِ الإثارةِ السياسيةِ
الغارقينَ حتَّى آذانهم في قضايا فسادٍ، فعلى هذه الحفنةِ أنْ تكفَّ عن التدخلِ
في الشؤونِ الداخليةِ، وإنْ تكفَّ عن مشاغباتها المراهقةِ؛ لا بدَّ أنْ يفهمَ .. (العقلُ
العربيُّ) .. أنَّ مَنْ علمَ ولمْ يستعملْ علمه لمْ ينتفعْ بعلمه، وأنْ لا يكونَ دائماً في
خانةِ تصديقٍ ما لا يصدقُ من مؤامراتٍ ودسائسٍ، من الضروريِّ جداً أنْ يعملَ
العقلُ العربيُّ بالتأكيدِ على أهميةِ توحيدِ الصفوفِ العربيةِ، وأنْ يحذرَ من
خطورةِ الانزلاقِ معَ بعضِ الدعاويِ الخبيثةِ، التي يطلقها أعداءُ الأمةِ، ويطلقها
المضللونَ والمضللونَ هنا وهناك، بمهاجمةِ طائفةٍ من طوائفِ العربِ، أو إثارةِ
الفتنةِ بينهم، أو إضفاءِ الصوابِ المطلقِ على رؤيةٍ شاذةٍ، أو فتوى متطرفةٍ، أيّاً
كان مصدرُها، أو وصفُ الآراءِ الأخرى التي لا توافقها بالضلالِ، أو الكفرِ

أو الفسوق؛ حتى لا يدخل بالعقل العربي مرحلة الخسة والنذالة بأجل مظاهرها،
احتماءً بقوى الهيمنة والاستعلاء والاستكبار.



من المهم تكوين القناعات الفكرية، والمفاهيم الثقافية التي تفرزها
الغرائز العربية النظيفة والنقية، مع الأهمية لفهم ردود الفعل، على أن لا
تكون ردود فعل خاطئة في حق الأمة. نريد قناعات ومفاهيم وتكوينات
فكرية وثقافية بعيدة كلياً عن الانفعالات المذهبية والعنصرية والعصبية؛ حتى
يعي العقل العربي ويدرك جيداً أن .. (القوة) .. ليست في .. [العضلات] ..، وحدها،
ولست في كمية الأسلحة المملوكة، وليست في المال، ولا الجاه، لأن الأقوى
يكون قوياً بمقدار تمسكه .. (بالعقل) ..، و .. (العقلانية) ..، و .. (الحكمة) ..، و ..
(الموضوعية) ..، و .. (الحيادية) ..، من أين تأتي .. (أعصاب القوة) ..، التي تملكها
جماعات الضغط، الذين يريدون عض اليد التي امتدت لهم، إنهم الذين لا
يعجبهم العجب.

ثم لماذا هذه الجماعات الدينية تحتاج إلى الجمع بين الدنيا والآخرة والشك؟! .

سؤال يحتاج للبحث وتكوين الأجوبة.



فأممّ العقل العربي أعباءً ومسؤولياتٌ وتحدياتٌ ومشكلاتٌ وقضايا
كبيرة، تحتاج إلى .. (إرادات صلبة) ..، التي تلغي مفعول النفوس المريضة، التي
تريد وتسعى إلى إلغاء العقل العربي، ومعها الأمة العربية، تلك النفوس المعتلة

التي لا ترى حقيقةً غير حقيقتهم، ولم ترغب أن تفهم وتدرك؛ أن كل شيء يتغير مع تغير الزمن. إن من ضرورات المرحلة أن يقف العقل العربي مع آية وجهة نظر تدعو إلى .. (التوافق) .. لفهم أن .. [الأقوى] .. هو (الاعتدال)، الذي ينشر ثقافة الاعتدال، التي تفتح أمامنا كل المناطق العقلية على بعضها البعض، لتعزيز قيمة الإيجابيات على السلبيات، وأن نقوم بوضع كل ما اختلفنا عليه جانباً، لكي نستطيع إعادة البناء بكل ما هو إيجابي لصالح أمتنا، فالاعتدال المطلوب اليوم هو يفهم الجانب المتعلق بهواجس عربية نابعة من تاريخها وأحداثها المجنونة، والاعتدال العقلي العربي المطلوب حالياً؛ هو أن يفهم ويقدر مسألة القدرات والامكانيات المختلفة، التي يمتلكها العقل العربي لمواجهة مصيره، وهذا الفهم يحتاج إلى أثمان وقدرات كبيرة تملك رؤية التدايمات الاجتماعية المقلقة، والمتعلقة بمستقبل الأمة ونهضتها؛ رؤية عقلية متزنة لا تولد عواقب اجتماعية.



هذا التهافت الدولي على ملاحقة ومطاردة العقل العربي في الآونة الأخيرة يجب أن يشعرننا بمزيد من الخزي ومن الخجل لفشلنا الذريع في حماية أنفسنا بأنفسنا. قد يظهر من يعترض على هذا التوصيف والقول فيه بعض المبالغة، وإنه يشوه سمعة العقل العربي، وفي وقت لاحق اعتذر من وجه لي هذا العتب معترفاً بالشرذمة العقلية، التي تعكس الشرذمة الفكرية إلى حد كبير. فأين الانسجام بين العقل العربي والعقل الغربي، والوطن العربي والأمة العربية تمر

بواحدةٍ من أخطر المراحل التاريخية، ومن دون أن نعود كثيراً إلى الوراء دعونا نتحدث عن الحملات الصليبية، وتداعياتها، وهنا، يجب الكلام عما لهذه الحملات وما ترتب عليها من تأخير وتخلّف وقع بالأمة العربية، مع الإشارة البارزة إلى أن الأمة العربية لم تتفق، ولم تتوحد مع بعضها لمقاومة تلك الحملات الشرسة منذ بداياتها، فلو تمّ الاتحاد العربي، لتغير كل التاريخ العربي، وحين يذكر التاريخ فيذكر البطل صلاح الدين الأيوبي، القائد العربي الكردي الأصل، وما قام به من بطولة في انتصار الحق الإسلامي.



هناك هواجسٌ موجودةٌ وقائمةٌ ليتضح أن غسيل العقل العربي الوسخ ينشر على الهواء مباشرةً، وهنا كلامٌ كثيرٌ يجب أن يقال، من موقع التحليل الموضوعي للأمور البعيد من الشحن والانفعال. أهمها كان في امكان العقل العربي أن يواكب كافة التحديات من بداياتها حتى نهايتها، رغم أنها لا تنتهي، وأن يصارح العقل العربي كافة العقول البشرية بالهواجس التي يحملها حول المخاوف من مطاردته وملاحقته، لكن هروباً وتهرباً وضعفاً ومراوغةً ومقاطعةً العقل العربي لكل الأوضاع والأحداث لم تكن موفقةً ولا مستحبةً، كان الموقفُ ليكون أكثرَ فاعليةً، **وتأثيراً لو تمّ بمواجهة التحديات والأزمات والمواقف بالوقائع وجهاً لوجه، وعقلاً مقابل عقل، ورأيًا مقابل رأي، وفكرًا مقابل فكر** تمشيًا وتطبيقًا لقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، البقرة، (179).



كان من المستحسن وعلى نفس الطريقة العربية، عدم المواجهة على الأرض بالحروب الأهلية، الأمر الذي ترك المزيد من حالات التمزق والتشرد، وزيادة الشروخ في الجسد العربي، وتعميق الانقسامات العربية، وحول هذا الأمر لنا رأياً كتبته بكل صراحة وموضوعية في كثير من إنتاجي يعبر عن المسئوليات العربية، وهذه مسألة في غاية الخطورة والأهمية، **فحتى اليوم مازال السلاح هو الحل الوحيد الذي بيد العقل العربي**، وفيما يطلق العقل العربي بعض الأحداث التحذيرية، تتسارع أمامه مواقف أخرى نافذة ومطلعة تؤيد تلك المخاوف، التي يعانها العقل العربي. أمّا الأمر الصارخ بغرابته، فهو يتمثل باتجاه العقل العربي نحو الدول الغربية للتدخل لحل أزماته العربية، وهذا الطرح، وهذا الاتجاه يثير الهواجس والكوابيس لدى الشعوب العربية، والخوف كل الخوف من أن يكون العقل العربي هو الهدف، بل هو مركز الاستهداف تحديداً، مثل ما عمل مع قضية فلسطين منذ بداياتها، وحتى تاريخنا تزداد المخاوف الكبيرة أن تتعثر خطوات وأجراءات العقل العربي بارتكابه مزيداً من الأخطاء والتجاوزات في مسألة.. (نقده).. كما حدث في التعاطي الخاطئ بعد احتلال إسرائيل لفلسطين، وتبقى الرؤيا الماثلة أمام جميع العرب إن ما حدث ضد العقل العربي خطيراً وعظيماً وقائماً وواقعاً، لكن الآتي هو الأعظم خطراً والأكثر فداحةً.



لابدَّ أن يفهم ويدرك ويستوعب عقل الحاكم العربيَّ أن .. (العمل
الإصلاحيّ الوطنيّ)..، فرض عينٍ ومسئوليةً فرديةً وجماعيةً مشتركةً. إنَّ همومَ
التخوفِ والقلقِ لا تأتي من الإصلاح، ولكنَّ .. (الفساد) ..، هو مَنْ يقوضُ
المرتكزاتِ والثوابتِ العقديّة، والضروريةَ لتمييزِ الأمةِ وهويتها.



أتمنى، أتمنى، أتمنى، أن لا يقفَ العقلُ العربيُّ في صفوفِ الانتظارِ،
فيقعُ في انتظارٍ ما لا يجيء، لأنني أخشى مثلَ غيري أن يعطلَ هذا الدورَ للعقلِ
العربيِّ في الصخبِ الجماهيريِّ، فتضيعَ الإصلاحاتِ التي تنتظرُها تلكَ
الجماهيرِ.



إنَّ من أكبرِ الأخطاءِ الضخمةِ الناجمةِ من عدمِ نقدِ العقلِ العربيِّ هو بقاءُ
الدورِ، أو الأدوارِ التي تقومُ بها المؤسسةُ الدينيةُ الرسميةُ والشعبيةُ التقليديةُ،
وهي المالكةُ لجماعاتِ الضغطِ القويّة، التي لعبتُ دوراً كبيراً ومؤثراً في
المشهدِ العربيِّ من خلالِ ضخِ ونشرِ وتوزيعِ وتعميمِ المواعظِ والإرشاداتِ
والتوجيهاتِ والدروسِ الدينيةِ التقليديةِ، إلى درجةِ إنَّها عطلتْ وأدتْ إلى تعطيلِ
.. (وعِي)..، الشعبِ العربيِّ وإلهائه عن قضاياهِ ومشكلاتِهِ الحقيقيةِ. فعندما
يسودُ التضخمُ في الممارسةِ والتأويلِ ينفصلُ الفكرُ الدينيُّ عن .. (الدين)..،
فينمو التطرفُ والتشددُ، فكانَ لابدَّ للعقلِ العربيِّ أن يطلعَ على كلِّ ثقافاتِ
الشعوبِ، ويعرفَ ما لديهم من استراتيجياتِ الثقافةِ و المعرفةِ والمعلوماتِ، حتّى

يمكنُ له أن يسيرَ في اتجاهاتِ فهمِ قدراتِ الآخرينَ، ويسهلُ عليه الاندماجَ في الحركاتِ الفكريةِ والثقافيةِ العالميةِ، وهي التي تمكنُ العقلَ العربيَّ من الانتقالِ مِنْ مرحلةِ التقليدِ إلى الإبداعِ، ومِنْ مرحلةِ وحالةِ الاستهلاكِ إلى مرحلةِ وحالةِ الإنتاجِ، وهذا ما وضحه المفكرُ الجزائريُّ الكبيرُ مالكُ بنِ نبي، في كتابه شروطُ النهضةِ، فليسَ أمَامَ العقلِ العربيِّ أيَّ خيارٍ غيرِ اختيارِ واحدٍ هوَ الانطلاقُ إلى .. (منطقِ المعرفةِ) ..، والذي سوفَ ينقلُه إلى مرحلةٍ .. (النضجِ المعرفيِّ) ..، بدلاً مِنْ مضاعفةِ تأخره وتخلفه العقليِّ والعلميِّ بسببِ الانغلاقِ على الذاتِ باستمرارٍ، وعدمِ قبوله للرأيِ الآخرِ. لقد حانَ الوقتُ أن يتخلصَ العقلُ العربيُّ مِنْ هيمنةِ العقولِ عليه، وأن يلغيَ مختلفَ الحساسياتِ العقليةِ والفكريةِ، وكَمَا ينبغي عليه أثناءَ عمليةِ المراجعةِ أن يجعلَ ويخصصَ في حساباته أهميةَ مميزةَ ودورٍ كبيرٍ .. [لشارعِ العربيِّ] ..، وفهمَ المشهدِ العربيِّ يجعلُ العقلُ العربيُّ يتأكدُ أن .. [الشارعَ العربيِّ] ..، هوَ وحدهُ صاحبُ السيادةِ، والإرادةِ السياديةِ، وأن يتقبلَ بكلِّ رحابةٍ أن الشريعةَ الإسلاميةَ هي .. [الشريعةُ الأخلاقيةُ] ..، وهي تمثيلاً حقيقياً لإرادةِ الشارعِ العربيِّ الأخلاقيةِ، ولا بدَّ لهذا العقلِ العربيِّ أن يقبلَ ويتقبلَ ويستوعبَ أن العقيدةَ الإسلاميةَ كتابٌ وسنةٌ تتكونُ مِنْ عددٍ مِنْ النظامِ تأويليِّ والمفهوميِّ والنظريِّ والعمليِّ والتعليميِّ والمؤسسيِّ، كَمَا لا بدَّ مِنْ تلكَ العقولِ العربيةِ المتشددةِ والمتطرفةِ أن تعلمَ وتدركَ إنَّه لا يمكنُ أن تكونَ العقيدةُ الإسلاميةُ مِنْ دونِ نظامٍ أخلاقيِّ

مرتكز على مجاميع من الأبعاد الإنسانية لها سيادة إلهية.



العقل العربي أخذته الغفلة، والتغافل، وسيطر الغباء والتغابي عليه لعقود وقرون. خاف من أعدائه، وانغلق على نفسه بسبب ذلك، وعاقب العقل العربي كل من اعترض عليه من أبنائه، وشطب المشكك وأقصاه، وأعتبر كل من حمل إليه سؤال، أو وجه إليه سؤالاً خائن لعرويته، أطلق الحناجر ضد من يعترض عليه، أو يعارض فكره، وقطع الأصابع التي كتبت ضده، وأجهض أحلام الحالمين من الأمة العربية. فتعفن العقل العربي، وتعفنت الأمة بسقوطه وسقوطها في المستتعات. خرجت بعض الأفكار من عقول عربية تحمل مخيلات مريضة ومشاعر مسنونة ضد الأمة. فعاش المفكرون والمتقفون والفلاسفة من أبناء الأمة في.. (القبور)...، بحثاً عن صناديق بتلك القبور تأويهم. تحول الفرد إلى رقم فصار صدى للدولار، وشكلاً لغم لمن يقترب من مناطق السلطة، اتجه المفكرون والمتقفون إلى الجلوس على أرصفة دول العالم يبحثون عن.. [منفى طوعي]...، خوفاً، وهرباً من عقاب السلطة، ووضعوا بدائل في حالة عدم وجود.. [المنفى]...، وهو إعداد وتجهيز أجسادهم للسجون والتعذيب والموت، وتركوا أوطانهم تتلوى على الأناشيد المختلفة منها العنصرية والمذهبية والطائفية، بعد أن عاشوا أولئك المفكرون والمتقفون وغيرهم من أبناء الأمة إتهم شعباً واحداً، ومصيراً واحداً، ودين واحداً، وهدف واحداً. قام الحاكم العربي بسجن وتعذيب كل عالم، وفقه،

ومفكر، ومثقف، وكاتبٍ وإصلاحيٍّ، قالَ له : اتقِ اللهَ في الأمةِ والوطنِ والمواطنِ، فوقعتُ الصداماتُ والأزماتُ والمشكلاتُ بينَ المثقفِ والسلطةِ، وللأسفِ أنَّ بعضَ الحكامِ العربِ، أو أغلبهم لمْ يكنْ مؤهلاً لشروطِ ومواصفاتِ الحاكمِ، جاءَ في كتابِ سراجِ الملوكِ للطرطوشيِّ، يعدُّ الالتزامُ بالشرعيةِ وتطبيقِ أوامرها أمراً مسلماً بهِ إلى درجةٍ إنَّه لمْ يدرجُ في قائمةِ الصفاتِ التي يجبُ على السلطانِ التمتعُ بها ليكونَ مؤهلاً، كحاكمٍ عادلٍ، أنظرُ: أبو بكرٍ محمدُ بنَ الوليدِ الطرطوشيِّ، سراجُ الملوكِ في: السلطنةِ في الفكرِ السياسيِّ الإسلاميِّ: نصوصٌ مختارةٌ وقراءاتٌ على امتدادِ ألفِ عامٍ، جمعُها وقدمَ لها يوسفُ ايبشِ وياسوشي كوسوجي (بيروتُ: دارُ الحمراء للطباعةِ والنشرِ، 1994) ص 301 - 309 .



أرادَ العقلُ العربيُّ مِنَ المفكرينَ والمثقفينَ أنْ يغسلونَ أيديهمَ وينصرفونَ ويتركوا الوطنَ، وإنَّ عليهمَ أنْ يواجهوا واقعهمَ بكلِّ مشكلاتِهِ، ولمْ يطلبُ منهمُ، ولمْ يرغبُ منهمُ أنْ يبحثوا عنَ الحلولِ فهو ليسَ في حاجةٍ إلى أيِّ مساهمةٍ منهمُ. في حينَ أنَّ المفكرَ والمثقفَ أرادَ أنْ يعملَ مِنْ أجلِ أمتهِ ووطنِهِ، وأنْ يجتهدَ، ولمْ يردُ التقاعسَ عنَ أداءِ دورهِ العربيِّ والوطنيِّ، وطلبَ أنْ تتضافرَ كافةُ الجهودِ للنهوضِ.



أبعدَ، وأقصى، العالمُ والفقيرُ، والمفكرُ والمثقفُ والكاتبُ والإصلاحيُّ بسببِ ما

قدمه من نقدٍ شديدٍ لبعضِ القراراتِ المصيريةِ والمظاهرِ السلبيةِ في حياةِ الأمةِ والوطنِ

والمشهدِ العامِ، وأيضاً طلبَ توجيهَ جهودِ المفكرينَ والمتقنينَ والإصلاحيينَ إلى العملِ على إصلاحِ أوضاعِ وأحوالِ الأمةِ، ولهذا الاختيارُ دلالتُه، فالموقفُ يدلُّ على الجديةِ ويجسدُ رغبةَ المفكرِ والمتقفِ في تحقيقِ الإنجازِ للأمةِ، إلا أنَّ عقلَ **[. الحاكمِ العربيّ]..**، وسلطتهِ، رفضَ العملَ بما يتعلقُ ويرتبطُ مباشرةً بمضامينِ المكتسباتِ والقدراتِ النظاميةِ للعقيدةِ الإسلاميةِ، باعتبارها المرجعِ والمصدرِ الوحيدِ للحكمِ، لكنَّه عملُ **[. عقلِ الحاكمِ العربيّ]..**، على تجحيمِ وتقويضِ دورِ العلماءِ والمفكرينَ والمتقنينَ والإصلاحيينَ، وعملَ على أن تتحكمَ السلطةُ بمؤسساتها الدينيةِ وتنظيمها بتعينِ مَنْ يشاءُ مِنَ العلماءِ والفقهاءِ بها، والذين غالباً ما يخدمونَ مصالحهَ ومنافعهَ وقراراتهَ، وبالتالي استطاعَ عقلُ الحاكمِ التحكمَ بكلِّ منظومةِ الدولةِ وكافةِ مؤسساتها وهياكلها. فغابتُ **[. الإدارةُ الأخلاقيةُ]..**، الرقابيةُ التي يطالبُ بها المثقفُ والإصلاحيُّ، وعندما غابتُ الإرادةُ الأخلاقيةُ الرقابيةُ في الوطنِ تداخلتُ المهامُ والواجباتُ، وأيضاً السلطاتُ التنفيذيةُ والقضائيةُ والتشريعيةُ، وسيطرَ عليها منَ الحاكمِ وبشكلٍ سياسيٍّ واضحٍ، وهذا دَلٌّ وكشفٌ أنَّ عقلَ الحاكمِ العربيِّ فهمَ وطبقَ العقيدةَ الإسلاميةَ منَ أسفلٍ إلى أعلى، ومنَ هنا بدأتُ حالاتُ الطعنِ والتشكيكِ والتطرفِ والتشددِ والغلو.



لقد ترك العقل العربي لعاطفته ومصالحه ونزعاته الضيقة الوقت الكافي للسيطرة على المشهد، فأصبحت.. [شبهة الكلام].. مفتوحة له فقط دون غيره، فانجرف نحو اتجاهات ومسارات شهواته، التي لا تشبع أبداً. مؤسفاً، مخزي، مؤلم، مقلق، عار، أن لا يتيح العقل العربي الاستفادة من عقول مفكرة وملتزمة من أفكارهم وآرائهم التي هي الرصيد الحقيقي للأمة والشعب العربي، وهم المخزون الاستراتيجي الذي لا ينضب لنهضة وتقدم الأمة. إن المرحلة الراهنة هي فرصة ذهبية وتاريخية لانتقال أفكارهم وآرائهم وتصوراتهم التي هي الرصيد الحقيقي للأمة والشعب العربي، حول مختلف قضايا واشكاليات وأزمات وتحديات الأمة وشعوبها. ففي هذا التوجه فتح الطرق ومساراتها لإحداث نقلة نوعية في مختلف المجالات.



إنني أرى إن مجد هذه الجماعات الضاغطة في طريقه للتفكيك والحل، كما إنهم لا يملكون قابلية..(التخلي)..، عن منهج الشك. فلن يفيد الاستلطاف الآن. إن جماعات الضغط الدينية تريد أن تطبق مقولة: أمين الريحاني، التي ذكرت في كتابه: المغرب الأقصى، والتي تقول: ((نهضت ذات ليلة من نومي، عند صياح الديك، وأنا أعتقد نفسي أكبر من أمريكا). أؤكد لتلك الجماعات إن تلك الليلة لن، ولن، تأتي. لأنهم رفضوا الإصغاء الجيد لمنطق العقل، ولم يستوعبوا أن العضلات وبشتى أنواعها لابد لها من أن تضعف وتنكسر في مرحلة أخرى.



العقلُ العربيُّ لا يعولُ عليه، هكذا يقولُ الشارعُ العربيُّ، وهذا هوَ فضلُ عدمِ النقدِ على استقامةِ الأحوالِ. فمادًا عن عدمِ اكتمالِ فهمِ الحقائقِ؟



لابدَّ أن يؤمنَ العقلُ العربيُّ السلطويَّ بدورِ وقِيمةٍ وأهميةٍ ومكانةٍ الثقافةِ والمثقفينَ والمفكرينَ والمفكرينَ والإصلاحيينَ والإصلاحيينَ في المجتمعِ والأمةِ. إنَّهم القوى الناعمةُ للأمةِ العربيةِ، وهم القادرونَ الفاعلونَ، لإحداثِ وإيجادِ الآلياتِ الرصينةِ الكفيلةِ بتحقيقِ النهضةِ والنهوضِ للأمةِ، فهم وسيلةٌ من وسائلِ التاكيدِ، إنَّ الإسلامَ نظامٌ ديمقراطيٌّ من الطرازِ الأوَّلِ، بل إنَّه متقدِّمٌ على الدياناتِ الأخرى، وهذا ما يؤكدُ كلَّ الحراكِ والفعالياتِ والمواقفِ والأحداثِ؛ التي وقعتْ في عهدِ سيدنا محمدٍ ﷺ والخلفاءِ الراشدينَ، وهي المرحلةُ التي أظهرتْ بقوةٍ ووضوحٍ طريقةَ وأساليبَ أداءِ العقيدةِ الإسلاميةِ ووظائفها في الحياةِ العامةِ للأمةِ الإسلاميةِ، وحتى الخلفاءِ الراشدينَ ﷺ بينتْ لنا الأحداثِ التاريخيةِ والسياسيةِ والدينيةِ، كيفَ تحدتْ مهمتهم بالقواعدِ والأخلاقِ والقيمِ والمبادئِ المستوحاةِ بقوةٍ من العلاقاتِ المختلفةِ بين أبناءِ الأمةِ وبخاصةِ.. [نزعة المساواة]...،



العقلُ العربيُّ، اليومَ يدخلُ المشهدُ الراهنَ بمرحلةٍ مختلفةٍ عن سابقِ تاريخِ الأمةِ، فالتغيراتُ سريعةٌ، والتحالفاتُ متعددةٌ، والمواقفُ متناقضةٌ، والأفكارُ

متضاربة، والارتباطات متنوعة، والرؤى متباينة، والاستراتيجيات متقلبة، فلا توجد صورة كاملة لمشهدٍ عربيٍّ ثابتٍ. إذ إنَّ سرعة التغيير وتداخل الأحداث وتقلب المواقف أدت إلى حالةٍ من [السيولة العقلية]...، في المواقف المختلفة نحو المشهد العام مما دخل بها إلى مرحلة الانغلاق العربي، وجعل العالم في حالة ترقب مزدوج، لأنه يراقب ما يدور حول العقل العربي، وفي الوقت ذاته تمضي الأمور والأحداث في ظل ظروفٍ يصعب معها التنبؤ، فالجميع يترقبون ما سوف تسفر عنه الأحداث المتراكمة، من اضطراباتٍ وشتى أنواع الفتن؛ التي تصنع الفوضى والتغييرات، **فإنَّ المشهد العربيَّ يحمل أسباباً للقلق والتوتر والغضب والانفعال، ويحمل أبعاداً لا يمكن إغفال تأثيراتها، فأصبح المشهد معقداً، وأطرافه متشابكة، بل معقدة.** كما إنَّ ما حدث داخل المشهد العربيَّ إشارةً إلى التفاهات الضمنية بين بعض دول الغرب كان على حساب أطرافٍ مهمةٍ من المشهد العربي.



والمؤسفُ أنَّ العقل العربيَّ لا يدركُ خطورةَ ما تعيشُ فيه الأمةُ العربيةُ وصعوبةَ ما ينتظرُها. إنَّ عدمَ الالتزامِ بالمبادئِ والقيمِ الأخلاقيةِ الواردةِ في العقيدةِ الإسلاميةِ، والإصرارِ من قبلِ عقلِ الحاكمِ العربيِّ، أثرٌ على السلوكِ الاجتماعيِّ للإنسانِ العربيِّ، بل ظهرَ أيضاً على أداءِ أنواعِ أعمالٍ كثيرةٍ من مؤسساتِ الدولة، وتغافلَ عقلُ الحاكمِ العربيِّ عنِ المبادئِ والقيمِ، التي هي مصدرُ الحاكمِ العربيِّ الإسلاميِّ، وعدمِ التمسكِ والعملِ بها يلغي حقيقتها

وقيمتها ووظيفتها التدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية، كما يلغي دورها المحوري في تطور ونهضة الأمة، وتجاه واجباتها الاساسية لخدمة الإنسان وقضاياه وشؤونيه.



إنني أظن - هكذا أتصور - ومن دون أوهام أن التطورات التي جرت على أرض الواقع العربي، تؤكد دائماً أن الأمور تجري على وتيرة سريعة، وكأن الأمة العربية تعيش فوق منطقة الرمال المتحركة، دون أن تشعر بذلك.



ومآذا عن فتنة دائرة الفتنة المكتملة؛ التي تخلق الأزمات والمشكلات للعقل العربي؟ .

نريد أن نرى إبداع العقل العربي في مكانه الحقيقي، كما أراد الله له، حين قال تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)) يوسف، آية، (2)، مؤكداً على أنه قد يكون مسموح له بأن يواكب المعرفة معرفة أخرى من منظومة أخرى تدعمها، أو تعارضها، أو تجادلها، ولكن أن يقف العقل العربي كمنظومة معرفية وحيدة على منظومة أخرى تقيسها بأدوات من خارجها، فهذا اختزال غير مقبول.



وفي حين لا يدعو هذا الكتاب إلى حلٍ قد يبدو.. **(بالخالفه)**.. ، بديلاً عن الحلول الحالية، بل إنه يثير إلى توجهات ومعاني أخرى، قد لا يكون من

الحكمة إغفالها ، لما يسمّى وتحت غطاء المصلحة العامة ، فلا بدّ أن يستفاد من مستويات التوازن الداخلي المتصل بالتوازن الخارجي ، حتّى لا يفوت على نفسه فرصاً ليست هينة مهماً بدت غامضة للجميع .



ينبغي على العقل العربي أن يترك إدارة الدولة بأسلوب..(الوشوشة).. ، وفعل..(النميمة).. ، و ممارسة..(نقل الكلام) .. ، حتّى لا تصبح هذه الأساليب تشكل خطراً في حل الأزمات ، مثل مشكلة العقل العربي مع منظمة القاعدة ، وتنظيم داعش ، وغيرهما ، فأصبحوا يشكّون .. (بعبعا) .. ، حقيقياً. وهذه الوشوشة التي يستخدمها ويتعامل بها العقل العربي ، جعلت منه يتجه لصناعة .. [الجواسيس] .. ، وأصبح أولئك .. (الجواسيس) .. ، يأكلون من لحوم الشعب ، ولم يشبعوا منها بعد .

لم يستطع ، ولم يفكر ، العقل العربي استغلال اختلاف.. (الماذاهب) .. ، أو اختلاف .. (الفقهاء) .. ، للقضاء على كثير من أزماته ومشكلاته الدينية مثل رؤية الهلال في دخول شهر رمضان ، وشهر الحج ، والمشكلات الكبيرة المرتبطة بالحج والحجاج ؛ مثل النفرة من عرفة ، والمبيت في مزدلفة ، ورمي الجمرات وغيرها ، ولكنّه وقع في مأزق الاعتماد على مذهب فقهي واحد ، فجنح العقل العربي الإسلامي عن السنة النبوية الشريفة ، وعلى كثير من أبواب الفقه وأصوله الواسعة ، فلهدأ رفض العقل كل أبواب.. (التيسير) .. ،

لرفع الحرج عن العبادات ومقاصدها وأهدافها، لكن، وللأسف، حتى عقل العالم والفقير العربي مولع بالبطولة الفردية، وأنصت لعذابات الإعلام للأبطال.



ورفض العقل العربي الإسلامي كل الكلمات والنصوص والتليمحات التي خرجت مع الأزمات والمشكلات الكبرى، وكل يوم تهب على الأمة العربية العواصف المدمرة في حياتنا، فرغم إنها تبدأ بإرسال اشارات ورسائل، ولكن نتجاهل في العادة وبغباة وتكبر وغرور وتعالى، لتكاسلنا، أو نظن مخطئين إنها لا تستحق الاهتمام والتوقف والدراسة، ونسي العقل إن الريح حين تهب والرعود حين تدوي بعنف نكون في الغالب غير مستعدين لها. وللأسف وبعدها آنذاك ليس أمامنا سوى التعامل مع آثار الدمار والخراب التي خلفتها الكارثة. دائماً يعيش العقل العربي خارج اللحظة، ولا يجب مراجعة حساباته ومواقفه، فالعواصف طبيعتها أن تأتي لتدمر وتكسر، فلا بد للعقل أن يتأهب لما يمكن توقعه.



العقل العربي جيد وماهر في ايقاظ عداوات مكتومة، وفجأة وبدون مقدمات تنفجر تلك العداوات وتخلق معها نزاعات مختلفة لا يمكن معالجتها.



كَمَا أَنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ يَتَغَافَلُ عَنِ الْمَعْلُومَاتِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَا تَكْفِي،
لَكِنَّ الْمَهْمُ كَيْفَ نَسْتَقْبِلُهَا؟ وَكَيْفَ يَسْتَقْبِلُهَا عَدُونُنَا؟ وَكَيْفَ يَسْتَقْبِلُهَا
الْأَطْرَافُ الْآخَرَى؟ فَالرَّأْيُ الْعَامُّ يَرَى الْأَمْرَ بِشَكْلٍ قَدْ يَكُونُ بَعِيدًا عَنِ الصُّورَةِ
الْحَقِيقِيَّةِ لِلْأَمْرِ فِي الْأَزْمَاتِ، فَفِي الْأَزْمَاتِ تَفْقَدُ الْمَعْلُومَاتُ وَالْمَقُولَاتُ السَّرِيعَةُ
مَعْنَاهَا، وَيَتَمُّ تَأْوِيلُ كُلِّ تَصْرِفٍ بِشَكْلٍ سَلْبِيٍّ، وَيَتَمُّ التَّفْشِيشُ فِي الضَّمَائِرِ
وَالْتَشَكُّكَ فِي النُّوَايَا، وَهُوَ مَا يَدْفَعُ بِأَزْمَاتِ الْعَقْلِ لِأَقْصَاهَا، لِأَنَّ التَّفَاوُضَ
يَصْبِحُ مُسْتَحِيلًا، لِأَنَّ الْخِلَافَ بِشَأْنِ تَأْوِيلِ نَصُوصِهِ، أَوْ حَتَّى تَحْدِيدِ الْمَنْظُومَةِ
الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُتَّفَقِ عَلَى سَلَامَتِهَا.



لَا شَكَّ أَنَّ هُنَاكَ نِيَّةً مَبِيتَةً لِلْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، وَهِيَ تَهْدَفُ اسْتِزَافَ جُهُودِ
وَطَاقَاتِهِ فِي مَعَارِكِ وَأَزْمَاتِ وَأَزْمَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ، مَعَارِكٌ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا الْعَقْلُ
مُنْتَصِرًا، وَدَائِمًا إِنَّهُ عَلَى غَيْرِ حَقٍّ، لِهَذَا تَأْتِي الْأَفْعَالُ بَعِيدَةً كُلَّ الْبَعْدِ عَنِ
الْأَقْوَالِ، وَهُنَا يَسْتَرِيحُ وَيَتْرَبُ عَلَى الْمَوْقِفِ الْوَطْنِيِّ أَبَاطِرَةُ الْفَسَادِ، وَهُمْ مَتْرَبِعُونَ
بِقَانُونِ الْقُوَّةِ وَأَخْلَاقِهَا.



وَلَا تَزْعَجُهُمْ أَصْوَاتُ الْمَصْلِحِينَ وَالْمَفْكَرِينَ وَالْمُتَقَفِّينَ؛ الَّتِي تَصْدُرُ بَيْنَ
الْحَيْنِ وَالْآخِرِ. وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى إِيْتَهُمْ فَقَدُوا أَعْصَابَهُمْ، وَإِنْ تَمَّ انْفِلَاتُ
الْأَعْصَابِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ مِنَ السُّلْطَةِ لَا أَفْهَمُ أَسْبَابَ ذَلِكَ الْانْفِلَاتِ.
وَتُورَةُ غَضَبِ السُّلْطَةِ تَعْكَسُ مَدَى الْانْحِطَاطِ وَالتَّرْدِي الْأَخْلَاقِيَّ لِلْسُّلْطَةِ

ومفاصلها ورجالها ، وهنأ تتراقصُ أمامي علاماتُ التعجبِ التي ترفضُ مقارعةَ
الحجةَ بالحجةِ والرأيَ بالرأيِ مهمماً كانَ معارضاً ، وفي حالة انفلاتِ أعصابِ
العقلِ العربيِّ لا يفيدُ تغييرُ الأسماءِ ، لأنَّ ذلكَ لا يعني تغييرَ صفاتها.



وفي مثل هذه الحالاتِ أمأ أن يكونَ الإنسانُ ضعيفاً عاجزاً خيرٌ من قوي
ظالمٍ ، وأن يسجلَ الإنسانُ موقفَ الرفضِ أفضلُ بكثيرٍ من وضعِ الكماماتِ ،
أو الضماماتِ على الجراحِ ، لأنَّها غيرُ مجدِيةٍ ما لمْ تعالجِ الأمراضُ ، فلا يجوزُ
أخلاقياً تبرئةَ الذاتِ وإتهامِ الآخرِ ، وتعمدُ التغافلُ عن قيمةِ الآخرِ.



كانَ العقلُ العربيُّ يعيشُ في مرحلةِ الحروبِ في القرنِ الماضيِّ حالاً من
يريدُ أن يزرعَ شجرةً صغيرةً لإخفاءِ غابَةِ. إننا كعربٍ ، عادةً نبالغُ في تأثيرِ بعضِ
الحروبِ؛ التي خاضها العربُ مثلَ حربِ (1973) ، أو حربِ أكتوبرِ ، فبسببها
نكادُ نهملُ تأثيرَ حربِ (1967م) على مستقبلِ الأمةِ ، ببساطةٍ إذا كانت نتيجةُ
حربِ أكتوبرِ لصالحنا ، فبسببها أصبنا بالكسلِ والتكاسلِ ، واستبدتِ الصدمةُ بنا ، وزادَ
النفورُ من الغربِ ، والعقلُ العربيُّ يظهرُ ندبه على بطنه ، وهذا دليلٌ على الوقاحةِ
وانعدامِ الحساسيةِ السياسيةِ. فاتجَه الحكامُ العربِ وبسببِ كلِّ ذلكِ إلى
زراعةٍ.. (حبوبِ الهلوسة) .. ، في كلِّ بيتٍ وحديقةٍ وعمارةٍ وشارعٍ وزاويةٍ وزقاقٍ.



ضعفُ ، وتهاونُ ، وتكاسلُ ، وخيانةُ العقلِ العربيِّ لدورهِ ومسئولياتِهِ جعلَ

العقل العربي يشاهدُ مناظرَ بشعةٍ للإنسانِ العربيِّ مثلَ رؤيتهِ للحومِ ملقاةً ومرميهِ بالقربِ مِنْ أظافرِ الإنسانِ العربيِّ، وذلكَ بسببِ أنَّ الأمةَ العربيةَ تتكبتُ الصراطُ المستقيمُ فأصبحَ بأسها بينها تقتلُ بعضها بعضاً.



سوفَ يظلُّ العقلُ العربيُّ الرقَمَ الصعبَ في العالمِ، فسياساتهُ وأيديولوجياتهُ لا تخلو من غموضٍ، ولقد سمعَ الجميعُ كثيراً عن التبريطِ والتمهيداتِ؛ التي تمتُ بينه وبينه وبين بعضِ العقولِ الأخرى، ولأنني أعرفُ إنَّه لا يوجدُ مستحيلٌ في العقلِ العربيِّ، فرغمَ ذلكَ فإنني أعبُرُ في هذه الدراسةِ عن قلقٍ دائمٍ إزاءِ مشاهدٍ مختلفةٍ ومواقفَ تبدو من بعيدٍ كأنها كرةُ الثلجِ فوقَ سطحِ المياهِ ولكننا لم، ولانريدُ أن نرى الجزءَ الآخرَ في أعماقها المخفيةِ، وحجمها الكبيرِ والحقيقيِّ، إنني أدهشُ في كثيرٍ من الأحيينِ من مسارِ العقلِ العربيِّ، ولا أستطيعُ تفهَمُ، أو فهمِ طبيعةِ ذلكَ الدورِ الذي يعيشهُ العقلُ العربيُّ في صراعٍ طويلٍ معَ شعبه وأبنائه، وهنا أؤكدُ مرةً أخرى أنَّ الصراعَ معَ العقلِ العربيِّ هوُ صراعٌ عربيٌّ، قبلَ أن يكونَ غربيٌّ.



ورفضَ العقلُ العربيُّ فهمَ ما جرى وما يجري في الوطنِ العربيِّ واستيعابِ أبعاده وتداعياته، لمحاولةِ إجهاضِ المخططاتِ التي رسمتُ ضدهُ من بداياتها إلى نهايتها، والملاحظُ هنا إنَّه في الوقتِ ذاته تتنامى أيضاً مخططاتٌ من داخلِ الأمةِ العربيةِ، لا أجدُ غضاضةً كمفكرٍ ومثقفٍ عربيٍّ في أن أقررَ هنا أنَّ العقلَ العربيَّ

يجب أن يصمد، ويصمد، لتحقيق مفاجآت تأتي بنجاحات، ولحسن الحظ فإن الأمة العربية تضي في طريقها متمسكة بعروبيتها، مؤمنة أن .. (العروبة) ..، هي الحلف الباقي، وإنَّ العقل العربي هو الحصن الدافيء، والملاذ الأخير. إن موجات الحقد والانتقام التي ضربت عصب الأمة حركت المخاوف الراكدة، وأكدت للجميع أن العقل العربي مستهدف من كل الجهات الداخلية والخارجية. وبخاصة بعد هذه [الثورات العربية المجنونة]..، وما رافقها من فوضى ودمار وتدمير وتكسير وقتل وسحل واغتصاب للإنسان العربي، والأرض العربية. فالخطر والحقد الدفين يضرب في خلايا العقل العربي بغير وعي وفي كل مكان، كما إن مستقبل الأزمات ضد العقل العربي هي محصلة نهائية للإخفاق، إذا قبل ووافق العقل العربي على .. (نقده) ..، فقد يخفي ما نشهده من حالة التوتر والقلق والغضب، التي أصبحت واحدة من سمات العقل العربي، وطبيعة أفكاره وآرائه، وسلوكيات الشعب العربي.

فهل يمكن لي، أو لنا، أن نقول إنَّ العقل العربي عصي على الانهيار؟ .

لا نريد أن ينهض العقل العربي على حساب الفهم المستعجل، والقرار العاجل، والفكر الانطباعي، على هذا العقل أن يتخذ القرار السليم في الوقت الملائم، وأنَّ يتهياً لجني المحصول الحضاري ويقطف الثمار النهضة.

أما أن الأوان أن نستيقظ، ولو كان ذلك في الوقت الضائع أو المتأخر؟! □

كَمَا أتمنى ألا تصاب مخيلة العقل العربي بالعطب، فالعقل يحتاج إلى حاضنة تحميه كي يعيش ويعمل وينتج، والحاضنة هي الوطن العربي والشعوب العربية.



الحقيقة، إنَّ العقل العربي لم يجد ذاته عربياً، بل وجدَّ إنَّه أوجدَ علاقاتٍ فكريةً وثقافيةً واجتماعيةً مضطربةً تطفئ على كثيرٍ منها المصالحُ والمنافعُ الشخصيةً. إنَّ العقل العربي ليس لديه إحساسٌ بالألم، ولا الوجد! **إنَّ العقل العربي يحتاج إلى .. (منصة فلسفية) ..، لكي يسند ويقوي من أفكاره وآرائه.**



إنَّ العقل العربي في حاجةٍ إلى .. (مظلة) ..، تغطي عيوبه، وتستتر عوراته، اعتماداً على عددٍ من العوامل والمقومات، والتي يقع في مقدمتها العاملُ الفكري والثقافي قبل سواهما.



استطاع .. (عقل الحاكم العربي) ..، وبقوة نفوذ سلطاته وسيطرت المؤسسة الأمنية والعسكرية على كافة المساحات. إنَّ يعطل دور.. [المفتي] ..، كأداةٍ من أدوات الإصلاح والتطوير. إنَّ .. [للمفتي] ..، دورٌ محوريٌّ في حياة الوطن العربي. فالمفتي هو .. ((قانون شرعي وأخلاقي)) ..، للأمة والوطن وليس تجاه الحاكم. إنَّ واجبَه بلُ واجباته الدينية والوطنية هي العملُ على استقرار الوطن ونشرِ

الطمأنينة بين الأمة، بإصدار الفتاوى الشرعية، وإعلان الإجابات الشرعية والأخلاقية والاجتماعية، واسداء النصائح للحاكم والأمة، ولكن هذه النصائح غير متوفرة اليوم في **[عقل المفتي العربي]**، بل اتجهت مواقف المفتي نحو خدمة مصالح ومنافع وغايات وشهوات **[الحاكم العربي]**، وهذا ما عمل على إبراز مصطلح فكري ومجتمعي وسياسي، وهو **[علماء السلطة السلطان]**. فقد ظهرت هذه الظاهرة السياسية منذ عهد سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فهو أول من قنن ونظم وجهز **[علماء الخلفية]**، ليفتوا له حسب طلبه والمقاسات المناسبة التي يريدونها للفتاوى الدينية، وقد أصبحت فتاوى سلطوية ملزمة للمجتمع والأمة، وأصبحت تشكل **[سلطة قانونية]**، ترتبط بالحاكم مباشرة، وأصبح لهذه السلطة أجهزة حكومية مستقلة بذاتها. ووضعت لها أسماء حسب كل دولة وكيان سياسي، فمثلاً كانت الدولة العثمانية تطلق عليها **[المفتي الأعظم]**، وفي مصر سمى **[مفتي الديار المصرية]**، ثم تغير وأصبح **[مفتي]**، وفي المملكة العربية السعودية يسمى **[مفتي المملكة العربية السعودية]**، أو **[المفتي العام]**، يضاف لذلك إنها أوجدت الأمة العربية ما يسمى **[هيئة كبار العلماء]**، وقد كتب في هذا المجال العديد من الكتب وعن القواعد المنظمة لنشاطات المفتي، انظر: ابن الصلاح، أدب المفتي، ويذكر كأن واجب القاضي استشارة المفتي في المسائل الصعبة. انظر موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، المغنى، ج/14، (بيروت: دار الكتب

العلمية، [د.ب.] ج11، ص: 395 - 400، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: علي عادل ومعوذ عبدالموجود، 9ج (بيروت: دار الكتب العلمية 1997)، ج 9، ص 126 - 127، وعثمان بن عمرو بن الحاجب، جامع الأمهات، حققه وعلق عليه: أبو عبدالرحمن الأخضرّي، (دمشق: اليمامة للطباعة والنشر، 2000)، ص: 464.



الغريب في أمر الفتوى أن عقل العالم، والمفتي العربي لا يقف على مسافة واحدة من كل قضية، وبخاصة القضايا الصعبة، وهذا يدل على عدم الاندماج مع المجتمع. ولكن، كما قلت أن سلطة الحاكم حاسمة في.. (الفتوى الرسمية) ..، وغالباً إذا حصل والغيت فتوى فيكون سبب الإلغاء هو ظهور فتوى جديدة تحقق أهدافاً، وغايات جديدة للحاكم العربي. ولكن لن يكون السبب أن الفتوى الجديدة التي أصدرها عقل المفتي العربي تحمل شيئاً جديداً أو أنها أكثر إقناعاً، أو أشد حصافةً أو أقرب لمطالبات، وحاجات المجتمع، وغالباً وتحديدًا في المرحلة التي اشتعلت فيها الثورات العربية المجنونة، صدرت العشرات بل المئات من الفتاوى التي أصدرها علماء وفقهاء الأمة لكنها لا ترتبط بأي مطلب اجتماعي أو مبادئ الناس أو الأخلاق العامة. وهذه.. [الفوضى في الفتوى] ..، صدرت بشأنها الكثير من الدراسات، والأبحاث، والقرارات السلطوية التي تدعو لتنظيمها، وكذلك أقيمت

المؤثرات، والندوات، ولكنها كلها لم تفلح، ولم تحقق الغايات والأهداف، وذلك يعود لأسباب أهمها: عقل الحاكم العربي الذي يريد أن تُفصل
.. [الفتاوي]...، حسب المقاسات، والمواصفات التي يريدها، هو، لا الأمة . فتاوي
تفسيرها يناقض تفسير واقعنا العربي، بل إن تفسيرها مستبد بالدين، وأيضاً
غيابُ .. [المصنفات الفقهية]...، ولعلَّ أخطرَ ما في جانبِ الفتاوي الدينية؛ هي تلك
التي تصدرُ وصدرت بالفعل من علماء وفقهاء ودعاة وشيوخ .. [المؤسسة الدينية
الشعبية]...، التي تكشفُ عما تملكه هذه الفئات من .. [عقل عربي]... . لا يريدُ
إلا تحقيقَ مصالحه، ومنافعه أشباعَ شهواته التي لا تشبعُ . ويبرزُ هذا النوع من
الفتاوي بتناولها القضايا، والمشكلات القديمة التي ليس لها صلة بالواقع الذي
يعيشه المجتمع، وبخاصة المرتبطة بفقهِ العبادات . أمّا القضايا والمشكلات
التي ترتبط بفقهِ الواقع، وفقهِ المقاصد، وفقهِ النوازلِ أستبعدت نهائياً، أو ما
بقي منها قليلٌ .



العقل العربي

قراءة مصارحة ومكاشفة

إنَّ الحرصَ على توفير أجواءٍ من الشفافية، والمصارحة، والمصالحة، والمكاشفة، والموضوعية مع الذات، والجرأة الحقيقية، تسمحُ بنقاشاتٍ جادةٍ وعلميةٍ وعمليةٍ وحرّةٍ، غيرُ خائفةٍ من القيود، والسلاسل، والأغلال، والأصفاد، حول قضايا الأمة العربية الكبرى، والحساسة وغيرُها، المدعمةُ بقواعدَ بياناتٍ نظيفةٍ ومعلوماتٍ وحقائقٍ صحيحةٍ، ومدققةٍ، وثابتةٍ، تُمكننا، وتمكّنُ العقلَ العربيُّ أن يشكّلُ أساساً صالحاً لتحركٍ واثقٍ نحو بناءِ علاقةٍ إستراتيجيةٍ بين الأمة العربية، وعقلها المفكرِ وقضاياها وأزماتها وتحدياتها وتحولاتها. ربّما تساعدُ على إنتشالِ النظامِ العربيِّ ممّا هو فيه من مأزقٍ تاريخي، قد لا يخرجُ منه بسلامٍ، وعافيةٍ.



متى يستطيعُ العقلُ العربيُّ منع نفسه من التفكيرِ الجادِ في عدمِ التدخلِ في الشؤونِ الداخليةِ للدولِ الأخرى، وأن لا يدعمَ ويؤازرَ العقلَ العربيَ المتطرفَ، والمتشددَ، وأن يقيدَ يديه، وعدمِ إطلاقها ضدَّ الشعوبِ العربيةِ الأخرى.



إنَّ تفكيرَ العقلِ العربيِّ حولَ بعضِ القضايا سيحولُ دون.. (**ثرثرة**)..، وعليه ألا يطلقُ بالكلامِ الفارغِ الذي يلحقُ الضررَ به، وربّما في حالة التماذي، تلحقُ به الهزيمةُ.

كَمَا ينبغي على العقل العربيّ أن لا ينسى أبداً أنّه يعملُ على..(شراءِ
عدوه)...، في كلّ الأمكنة، والأزمة، وأن لا يتخطى كثيراً قواعدَ وأخلاقَ
التحليل، وفقاً لمزاجه المتقلب، والذي لا تحكّمهُ الأخلاقُ النبيلةُ أثناءَ عمليةِ
التحليل.



لا أبالغُ، ولا أقسو، ولا أتحيّزُ، ولا أتجنّي، حينَ أكتبُ فأقولُ بكلِّ
قناعاتي أنّ العقلَ العربيّ في كثيرٍ من حالاته، وقضاياهِ وأزماتِهِ، وتحدياتِهِ،
وتحليلاتِهِ، غيرَ مؤهلٍ للمعالجاتِ، ووضعِ الحلولِ على الضروراتِ، وظروفها
والتي تحلُّ بالأمّةِ العربيةِ.



إنّ القدراتِ التي يملكه العقلُ العربيّ، يمكنُ تجاوزها، أو التغافلُ
عنها، أو إهمالها، ولكنّها - وللأسفِ - معطلةٌ، ومخدرةٌ طويلاً. لأنّ العقلَ ذاته
أرادَ أن يكونَ كذلك. لدرجةٍ في بعضِ الأحيان - أظن - هكذا تريدُ ظنوني -
أنّه يريدُ ذلك بإرادتهِ وطوعه . وخاصةً أنّه يلتزمُ.. **الصمتُ**...، كثيراً، وبخاصةٍ
أثناءَ التحدياتِ الكبرى، والأحداثِ المجنونة، والتي عصفتُ الأمةَ وشعوبها.



كَمَا علمتُ أنّ العقلَ العربيّ لا يطلبُ النقاشَ، أو التفاوضَ السلميَّ من
أجلِ حلِّ لبعضِ القضايا الكبرى والحساسة، والتي قد تشعلُ وتشيرُ الخلافاتِ
والاختلافاتِ الكبرى، مثلَ قضايا رسمِ الحدودِ بينَ الدولِ العربيةِ، وأيضاً

النشاطات الارهابية وغيرها ، التي تثير كثيراً من علامات الاستفهام حول مصداقية النيات لدى بعض الأنظمة الحاكمة ، وهذا ما يقع هو نوع من ..[وقاحات العقل العربي] ..، فلن أكون مبالغاً ، أو مجافياً للحقيقة والواقع حين أصف العقل العربي بقولي عنه: إنه أصبح ..[يعشق] .. ، مناظر جريان الدم العربي في الشوارع والبيادين العامة ، والأزقة والحواري وعلى الأسفلت وأرصفت الشوارع ، وهذا العشق الذي يمارسه العقل العربي ، إنما هو نابع وصادر من ذهنية العقل العربي؛ الذي صنع حرب البسوس وداحس والغبراء وغيرهما من حروب العصور الجاهلية ، ونراه اليوم منتشراً ومنشوراً وموزعاً في كل وسائل وأدوات التواصل الاجتماعي ، وهذا تعبير حقيقي لحالة عقل الإنسان العربي المريض والمتوحش.



لا ، أتجنب أي انطباع يقدم دليلاً للواقع ، ويدل على أن العقل العربي ، لم يتغير منذ العصور الجاهلية ، وحتى لحظتنا هذه ، والتي قادنا فيها العقل العربي للانقسام والشرح.



وكأنني ، أريد أن أكتب فأقول في هذا الصدد؛ أن العقل العربي.. (غير مؤهل) ..، حالياً للحديث عن علاجات لقضايا الأمة العربية ، وبخاصة إنه لم يترك لنا سجلاً مناسباً للاستفادة منه ، والاستشهاد به ، أريد أن يصف العقل العربي بوعوده في كل الاتفاقات؛ التي عقدها مع الشعوب العربية.

كان العقل العربي أكثر وضوحاً ومصداقيةً وشفافيةً وجرأةً في بعض
المواقف العربية الخالدة، كما ذكرت ذلك سابقاً في التوقيع على.. (حلف
الفضول)..، المكي العربي، وأيضاً في الثبات والصبر والقوة في اتفاقية.. (سقيفة
بني ساعدة)..، بالمدينة المنورة، ذلك الاتفاق الخالد والعظيم والتاريخي والذي
وحد صفوف المسلمين بعد وفاة سيدنا محمد ﷺ.

كان العقل العربي من خلال ما ذكرت من اتفاقات يشكل اختبارات
حقيقية لصلابته وقوته وراجحة أفكاره وإرادته، وصفاء ونقاء آرائه، كل
التاريخ العربي لم يقلل من أهمية وقيمة تلك الاتفاقات والاختبارات، والتي
أعلن عنها التاريخ البشري بكل فخر واعتزاز، بل أعتبرت قواعد راسخة،
وأعمدة يرتكز عليها في الشأن والقضايا العالمية بين مختلف شعوب الأرض.
واليوم لا بد للعقل العربي أن يندم، ويندم، ويندم، بل عليه أن يبكي على أنه
لم يستطع أن ينتج، أو يصل إلى صياغة ورسم اتفاقات وتحالفات مثل التي
أشرت إليها، وهذا دليل واحد من أدلة عجز التاريخ العربي وعقله.



اليوم، لم يملك العقل العربي قدرة تمكنه من ممارسة المناورات مع
الأعداء والخصوم، بل حتى فيما بين العربي والعربي، والعربي والغربي،
وبخاصة تجاه الخلافات العميقة، وبالذات بينه وبين كل التيارات السياسية
الإسلامية المتشددة والمتطرفة، وهذا هو.. [الإحراج]..، الحقيقي الواقع في فحاه
العقل العربي.

وأعتقدُ - هكذا تصوريّ للأمور - ناتجٌ من قلة الإدراك لخطورة الموقفِ وما يترتبُ عليه من تداعياتٍ، قد تعيقُ المستقبلَ الذي نخططُ له.
بل، إنني، وجدتُ أنَّ العقلَ العربيَّ لم يفضُلْ، ولم يسعِ إلى التهذئة، أو تخفيفِ التوترِ على غرارِ ما شهدتهُ الأمةُ في أزمةِ وغزو الرئيسِ العراقيِّ صدامِ حسين - رحمهُ الله - في عمليةِ غزوِ الكويتِ عام (1990م)، وهذه في - ظنِّي - وصمةٌ عارٍ في تاريخنا العربيِّ.



وأجزمُ أنَّ الاضطراباتِ التي يصنعها العقلُ العربيُّ سوفَ تستمرُّ، وتستمرُّ، بل ستتمو، وتتطورُ، في صياغةِ التحدياتِ الدوريةِ للأمةِ العربيةِ. بيدَّ أنَّ عمليةَ التفاضلِ، والتكاملِ السياسيِّ باتتْ أصعبُ بكثيرٍ مما سبقَ، برغمِ كلِّ شئٍ حتَّى النوافذِ التي فتحتْ للعقلِ العربيِّ في فعالياتِ بعضِ الأزماتِ العربيةِ؛ التي لم يستفدْ منها العقلُ العربيُّ، كما ينبغي أن يكونَ مثلما حدثَ في العراقِ وسوريا وليبيا وغيرها، لم يستغلَّ الحوافزَ الكافيةَ من أجلِ التغييرِ، تجاهَ حلولِ تلكِ الأزماتِ الطاحنةِ، وإذا ما استمرَّ هذا الوضعُ، سيخسرُ العقلُ العربيُّ أكثرَ، وأكثرَ، فربَّما ستكونُ أكبرَ تهديدٍ ممكنٍ على سلامةِ أدايه مستقبلاً.

فمتى يستطيعُ العقلُ العربيُّ استعادةَ مساراته الوطنية والقومية؟.

على الرغمِ منَّ إنَّه يواجهُ المزيدَ منَ التحدياتِ من جانبِ أبنائه قبلَ أعدائه. والمؤسفِ أيضاً؛ إنَّه مازالَ يخضعُ لسيطرةِ أولئك الذين يعتقدون أنَّ.. (البطش)...

و..(الجبروت) ..، و..(التسلط) ..، و..(العنف) ..، و..(التصفيات) ..، هي القوة،
والمخرج والحل.



أفتتح هذا الجزء من هذه الدراسة بالأطروحة البسيطة التالية: إنَّ العقلَ
العَرَبِيَّ هُوَ النتيجةُ الطبيعيةُ للعنفِ والتوحشِ القائمةِ على إشباعِ نزعاتِ التسلطِ
والسيطرةِ والإستغلالِ، والتي تريدُ أن تتحكَّمَ في كلِّ شيءٍ، وهَذِهِ القضيةُ
ثبتَ أنَّ قسماً من العقلِ العربيِّ لا يستطيعُ أن يفهمَ..(**التوحشُ**) ..، من خارجِ
المنطقِ الثقافِيِّ والإنسانيِّ. فَهَذَا العقلُ المتوحشُ العنيفُ بالنسبةِ إليه، يتصرفُ
كردِّ فعلٍ على تهميشه. لكنْ واقعُ الأمرِ يقولُ غيرَ ذلكَ، فأخرُ شيءٍ يفكرُ
فيه..(**المتوحشُ**) .. مصلحةَ الناسِ. إنَّه يدوسُ أيَّ نوعٍ من الحقوقِ، أو ما تبقى
منها. إنَّ حالنا اليومَ كعربٍ لم يعدْ مثلَ سابقِ الأيامِ، بلْ هوَ أسوأَ بكثيرٍ،
وأصعبُ ممَّا كانتْ عليه أحوالنا من قبلِ. بلْ إنَّ العقلَ العربيِّ ساهمَ ويساهمُ
في انتشارِ أفكارٍ ونزاعاتٍ..(**التوحشُ**) ..، ووصله إلى وسطِ المجتمعِ.



أما قراءتي التحليلية (**للتوحشِ**)، كتعبيرٍ عن هزيمةِ العقلِ العربيِّ،
جعلني أضعه أمامَ عالمٍ يفهمونه، فقراءتي تظلُّ، لا ريبَ غيرَ أحاديةٍ.
فالعقلُ المتوحشُ ليسَ ذلكَ فقطَ إنَّه نتاجُ ضغوطاتٍ عنيفةٍ، ونتاجُ نزعاتِ
السيطرةِ والتسلطِ وإشباعِ الشهواتِ ذاتِ نزعاتٍ ضيقةٍ للغاية، التي شكَّلتها
ذلكَ العقلُ، والذي ينظرُ إلى العالمِ، بنزعاتِهِ الضيقةِ وطبيعةِ ثقافتهِ الدينيةِ،

وهذه نظرة السيطرة التي تحمل معاني عدة في ذلك العقل. فإن.. (التوحش).. الذي يصدر عن.. [التوحش]...، أو بالأحرى الذي يصدر عن.. (التوحش)..، هو عنف غير عقلاني وغير أخلاقي، إنه توحش ذاتي. بل إن تصور عقل المتوحش يصدر عن تدينه المظلم والضييق التفكير، يظل تصور أحادي يقوم على **إستهلاك عقلي أعمى البصيرة**، إنه تصور سطحي التفكير والفكر. لكن يتوجب التأكيد في هذا السياق، إن المركز العقلي للإنسان المتوحش لم يكن مثقفاً منطقياً ولا أخلاقياً مع الأطراف الأخرى بالمجتمع، كما إنه يفهم تطور المجتمع. أما في ما يتعلق بأن الصراع بين التسامح الديني، والعقل المتوحش، ليس صراعاً حقيقياً، فإنه لا ريب في ما نحتاجه اليوم هو مزيد من الضغط على العقل العربي لقبول.. (نقده)..، فهو وحده ما يمثل الدواء الناجح ضد أشكال التوحش، وهنا يتوجب علينا أن لا نسكت عن نمو.. (العقل المتوحش)..، إن مصدر العجب عندي هو أن من يقدسون فكرة.. (العقل العربي المتوحش).. ويعتبرونه هدفاً مبدئياً يعلو كل الأهداف ويتقدمها بحيث تذوب كل القيم وتنتهي كل الأخلاقيات، وهم أكثر الأصوات عويلاً على الثقافة الغربية الاستهلاكية والعولمة، ويعلمو عويلهم لتتعاظم أقوى وأفصح.. (النعرات الانتقامية)..، وما أفهمه هو أن المسلم الحق يقاوم نزعات الحقد والانتقام والقتل وتصفية الحسابات، ويُعادي نشوء كيانات تقسيم الأمة إلى أجزاء أصغر، ولذلك أعجب من هذه المناحة التي هي من صميم المزايدة، ومن صميم

منهج الذين يعدون العدة للجلوس على.. [مقعد السلطان]...، إنها رغبة الجلوس على.. [مقعد الخلافة الإسلامية]...، أولئك الذين لا ينتظرون إلا أن تتبين جوانب الأمر فينتهزون الفرصة تلو الفرصة للقفز على مقعد السلطان. إنهم المتصيدون لأية فرصة حتى يقلبوا الحقائق إلى أباطيل للمتاجرة بالدين وأخلاقه ومبادئه، والتشهير بحالات دون غيرها، وتسجيل بعض المواقف أملاً في أن يؤدي ذلك إلى قصف الأعمار والتعجيل بالأمور.



لدي شعورٌ، ليس نهائياً، بأن احتمالات ستعصف بالعقل العربي، ولا أروج لهذا، ولكن التنبؤات تراهن على ترحيب كثير بهذا التوقع، وهذه التنبؤات ترضي طموح من يريدون للعقل العربي أن يسلك طريقاً آخر يتطابق مع مفاهيم وقيم ومبادئ العقيدة الإسلامية كتاباً وسنةً. لا أحد ينكر أن أفكار.. (قوى العقل العربي)..، اليوم غير متطابقة مع بعضها البعض في كثير من القضايا والنظرة للأمور ومستقبل الأمة العربية، وقد تامت هذه الصراعات المختلفة بعد الجدل القائم حول الرغبة المتمثلة في القضاء على.. (العقل العربي المتوحش)..، وفي الاختلاف في التعامل مع الأحداث. إلى أن أدرك الكل أن الحل لا يمكن في.. (السلاح)..، بل يظهر في تغيير.. (نظام التفكير)..، فإن العقل العربي في أحلك الظروف، لم يحتكم إلى.. [الحوار]...، و.. [النقاش]...، بل يسلم نفسه للسلاح والمتسلحين، وهذا أكبر مازق وقع فيه العقل العربي.



الفرق في الأمر، أن العقل العربي المتوحش والعنيف فكرٌ، وقد يكون ذلك بحسن نيةٍ أحياناً، وأنا لا أميلُ إلى .. [حسن النية]...، إنه أحرصُ على الأمة العربية وشعوبها من الأنظمة الحاكمة، الذين يختلفون ويتصارعون ويتقاتلون فيما بينهم، فضاعت الأمة، وضاعت حقوقها. فظنَّ العقل العربي المتوحشُ إنه قادرٌ ومتمكّنٌ من تغييرِ بوصلةِ الحياة السياسية إلى وضعٍ أحسنٍ، وهذا خطأ في التفكير والتوجيه، وإضاعة العنوانِ متاسين، إنَّ الأنظمة الحاكمة بعضها انتخبها الشعبُ لوضع خريطةٍ للطريقِ تقودهم إلى مستقبلٍ أفضلٍ.



نسيّ العقل المتوحشُ، وبغباةٍ حادٍ أن الشعوب العربية اليومَ ترفضُ بشدةٍ فرصَ الوصايةِ عليهم، هذا العقل المتوحشُ والشرسُ والعنيفُ. لم يفهم الشعبُ العربيُّ لا، ولا، ولن، ينسى ذلك اليومَ الذي قتل فيه ملك العراق الشريف غازي، حيث تمَّ اغتياليه، ولم يتجاوزَ الثالثةَ والعشرينَ من العمرِ، وعلى يدِ مجموعةٍ متوحشةٍ؛ أرادت أن تجلسَ على **مقعدِ السلطان**، وبأيّ ثمنٍ. منظرٌ سحلٍ وسحبِ جثة ملك العراق الشريف غازي، لن، ولن، ينساهُ الشعبُ العراقيُّ. هذا هو أنموذجُ التوحشِ العربيِّ العفنِ والشرسِ.

وفي المقابلِ تركَ لنا العقلُ العربيُّ منظرَ آخرَ للعقلِ العربيِّ الطامعِ في السلطة، وهو ما فعله الثوارُ الانقلابيون في مصرَ عامَ 1952هـ، حين نجح انقلابهم، فقاموا بتوديع الملك فاروق، والتوديعُ عبرَ توجيهه له.. (**تحيةة**)

**عسكرية)..، وهو يغادر البلاد، المهمّ كان عندهم أهمّ شيء هو، حماية مقعد
السلطان.**

هذه الحالات التي ذكرتها وغيرها توضح أنّ العقل العربي لا يعرف قيمة
ومكانة وأهمية.. (شرف صندوق الاقتراع)..، لقد مضى الزمن الذي كان
الاصطفاف فيه عدائياً ضدّ الشعوب، وأدركت الشعوب العربية أنّ ما يهمها هو
الاستقرار، والأمن، وتوفير الطمأنينة، والرخاء، واحترام العقيدة الدينية،
وتوفير.. (الخبز)..، وتحقيق التناغم الاجتماعي، وتوفير اقتصادي متين يحقق
رفاهيتهم وراحتهم كحال الشعوب في الغرب.



المرحلة تتطلب من العقل العربي تركيزاً على تغيير نمط التفكير،
والقبول بالآخر. لا بدّ أن تفهمّ الذهنية العربية، أنّه ليس أمامها إلا العمل بهذا
التفكير الحضاري. لقد أكّدت الأحداث والتحديات والأزمات التي نعيشها أنّ
العقل العربي هو (حجر زاوية الاستقرار)، في الأوطان العربية. إلا أنّ هذا
اليقين، لم يمنعنا من توجيه النقد للعقل العربي، بحيث يتركز نقدنا على
احترام قضايا الأمن والغذاء وحقوق الإنسان وتحقيق العدالة الاجتماعية،
وحرية التعبير، وإلغاء.. (فقاعات الهواء الإعلامية)..، والإعتماد على حقائق
الأرض والواقع، والممارسات الفعلية من دون تقديم مبررات، أو ردود فعل مزورة.



لقد تبدلت غاياتُ.. (المقاومة) .. التي أطلقها ويطلقها العقل العربي المتوحش، بل أيضاً تطورات مراميها من خلال الرغبة على الهيمنة على مفاصل الدول. يلاحظ أن فعل.. (المقاومة والمتوحشة) ..، يتجه مباشرة إلى السعي للتحكم في مفاصل الحكم بكل الوطن العربي، فاتجه العقل العربي المتوحش إلى إجراء عمليات جراحية متوحشة بداخل الوطن العربي بهدف تطويعه ثم إخضاعه بما يمثله من فكر متوحش، يطمح لمزيد من السيطرة والتسلط والنفوذ، وكل ما فعله ويفعله ذلك العقل المتوحش يتناقض تماماً مع ما تعلمه ودرسه من العقيدة الإسلامية كتاباً وسنةً . فلم تعد الحاجة لذلك العقل الشرس؛ لتوطيد سطوة فكره على أبناء الأمة، إلا أن يفرض نفسه بأساليب وطرق التوحش التي يمارسها على الأرض، كوئها ورقة يريد من خلالها المناورة من ضمن أوراق تتطاير منه هنا وهناك، ولم يستخدم ذلك العقل المتوحش فائض قوته في التفاوض والحوار مع أنظمة الحكم العربي. يفعل ذلك وفق معطيات دقيقة يمتلكها، دون الاعتماد على فكر متوحش يقوم على أساسات الكراهية والكراهية، ويقوم على رغبة، بل رغبات تريد تصميم ورسم نظام حكم تتوافق ومقاسات العقل المتوحش. وهذا ما عطل ويعطل الاستحقاق للأمة العربية.



أكد العقل العربي أنه سريع في تكديس العفن الفكري داخل ذهنيته المتوحشة، والذي يفيض على نزوحاً قياسياً لتصدير التوحش والعبث بالأمة وشعوبها ومقدراتها ومكتسباتها، والمؤسف أن العقل العربي السلطوي عرف،

ويعرفُ كلُّ تحركاتِ واتجاهاتِ ونوايا وأعمالِ وجرائمِ العقلِ المتوحشِ، إلا أنه يسيرُ وفق.. **(الإيقاعِ السلخانيّ)**..، لاستنتاجِ مواطنِ الخطرِ، ومعرفةِ العاهاتِ المستدامةِ التي تستوطنُ الأوطانَ، ويكفي تأملُ صمتِ بعضِ الدولِ إزاءِ النقاشِ حولَ تطبيقِ قوانينِ الأرهابِ.



اليومَ، تشغلُ العقولُ العربيةُ السياسيةُ والفكريةُ والثقافيةُ بنقاشاتٍ روتينيةٍ ترتبطُ بالموقفِ الواجبِ اتخاذُه منْ هَذَا المشكلِ الذي أرهقَ الأمةَ كلها. فيماتسى وتتغافلُ بسرعةٍ مفرزةٍ طبيعيةٍ.. **(العقلِ الإجرامي)**..، وما أنتجَه سابقاً في العصورِ المنصرمةِ، وينتجُه حالياً منْ كوارثِ، وما ترتبَ على ذلكَ منْ التعطيلِ الممارسِ على كافةِ المستوياتِ العقليةِ والفكريةِ. كما في عدمِ الغوصِ في غمارِ ما ينشطُ ويدعمُ.. **(العقلِ الإجرامي)**..، أدى إلى تنامي ونمو نشاطاته وزيادة نفوذه وسيطرته، وذلكَ يقعُ بسببِ توجسِ الأمةِ منْ معرفةِ الحقائقِ التي تكشفُ الفسادَ العقليَّ الذي تعيشُه. بدا منْ خلالِ تقاعسِها عنِ الدفعِ بالاتجاهِ إلى فعلِ المصارحةِ والمكاشفةِ، بعيداً عنْ عدمِ إلغاءِ مفعولِ.. **[ورقةِ النوايا]**..، معَ العقلِ المتوحشِ، وأيضاً عدمِ تجاوزِ.. **[ورقةِ التفاهمِ]**..، ووضعِ الجميعِ أعداءِ وخصومِ وحلفاءِ العقلِ المتوحشِ على طاولةِ الحوارِ، لوضعِ همومِ وأزماتِ وتحدياتِ ومشكلاتِ الأمةِ العربيةِ في سلةِ واحدةٍ، ورفضِ أنْ يكونَ لأيِّ فريقٍ.. سلتهُ الخاصةُ...



يراكم خطاب العقل العربي - كما يبدو - من الميديا العامة، إنه يتجه لخلق أزمة جديدة منذ انفجار أزمت الثورات العربية الفاشلة والمجنونة، وانخراطه فيها، بكل تهور واندفاع وحماس وعدم الاتزان وعدم الحكمة. فاليوم الأمة العربية وخطابها العقلي في أزمة حقيقية، يحيطها الخوف من كل جهاتها الجغرافية والعقلية. فنحن أصبحنا الأمة الوحيدة التي تخاف من المستقبل، وتخاف من ظلها، وتخاف من صديقها، وتخاف من حليفها، وتخاف من عدوها، وتخاف من أبنائها، وتخاف من عقلها، والذي لم يعد قادراً على فهم ما تريده أمته منه، ولعل من المؤشرات الدالة على توافر [الخوف]...، وبكل إرادته، وعدم توافر السياسات والاجراءات العقلية المصممة على مواجهة التحديات والأزمات، وعلى أكثر من صعيد، ولعدم تأمين الضمانات العقلية الكافية لنجاح الجهود للتخلص من ذلك.. [الخوف]...، .



بات من ضرورة الضرورات وضغوطاتها أن يعمل ويتحرك العقل العربي للتخفيف من ضغوطات الخلافات في وجهات النظر والتضاربات والتناقضات في المواقف، وذلك من غير شك سيكون له الدور الإيجابي والتأثير المأمول في تهيئ المناخ المناسب؛ لكي يعمل العقل العربي لتقوية المواقف وتقريب وجهات النظر، ولمواجهة التحديات التي تتفاقم في ظل حالة.. (الجمود العقلي)..، في مسارات المشكلات العربية.



مِنَ الْمَهْمِ أَنْ تَبْرَزَ الصَّدْقِيَّةُ وَتَتَقَدَّمَ الْحِكْمَةُ، وَيَعْلُو الرُّشْدُ، لِتَقْدِيمِ التَّنَازُلَاتِ لِتَقَارِبِ وَجْهَاتِ النَّظَرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْوَى مِنْ فَاعِلِيَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ وَيُدْعَمُ فَعَالِيَّتَهُ وَسِيَاسَاتِهِ، وَيُنْظَمُ خَطَوَاتُهُ نَحْوَ الْمُسْتَقْبَلِ، فَيَحْظَى بِثَقَّةٍ كَافَةٍ الْأَطْرَافِ، وَالتِّي تَدْفَعُ بِتَحْرِكِهِ لِلْإِمَامِ، وَتَوْضِحَ جَدِيَّةَ الْفِعْلِ الْمُؤَثِّرِ وَالْجَادِ وَالْفَاعِلِ فِي كَسْبِ الْمَسَاحَاتِ لِصَالِحِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلِلتَغْلِبِ عَلَى تَرَكَمَاتِ الْمَشْكَلاتِ الْعَوِيصَةِ؛ التِّي تَسْبِبُ وَتَتَسَبَّبُ فِي تَعْطِيلِ مَسِيرَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، وَتَعْرِقِلِ جُهُودَهُ نَحْوَ التَّنْمِيَةِ وَفِعْلِ النُّهْضَةِ بِالْأَوْطَانِ.



وَحِينَ أَهْمَلْ، وَتَجَاوَزَ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ مَرِحَلَةً مُهِمَةً مِنْ مَرَاكِلِ نَقْدِهِ، وَتَعْرَضِيهِ وَأَهْمَالِهِ الْمَقْصُودِ لِرُؤْيَا الْمَاضِي بِالْقَدْرِ الَّذِي تَتَضَحُّ مَعَهُ مَعَالِمُ طَرِيقِ الْأُمَّةِ نَحْوَ الْمُسْتَقْبَلِ، أُنْسَدَ أَمَامَهُ الْأَفْقُ لِقَرَاءَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَغْلَقَتْ أَمَامَهُ أَبْوَابُ الْحُلُولِ وَالْعِلَاجَاتِ، وَغَابَ.. [التَّفَاوُلُ]...، لِأَنَّهُ لَمْ يَتَأَهَّبْ لِمُوَاجَهَةِ أَسْوَأِ الْإِحْتِمَالَاتِ، وَلِمُقَارَعَةِ الْخَطُوبِ. فَغَابَتْ عَنْهُ الْعَقِيدَةُ الْعَقْلِيَّةُ الْوَاتِقَةُ وَالرُّؤْيَا الْمَتَفَائِلَةُ، وَلِذَا تَغَيَّبَتْ عَقْلِيَّةَ التَّجْدِيدِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْإِصْلَاحِ وَالتَّنْوِيرِ، التِّي عَادَةً مَا تَنْهَضُ بِالْأُمَّةِ وَشَعُوبِهَا. الْأُمَّةُ مَحْتَاةٌ فِعْلًا إِلَى عَقْلِ عَرَبِيٍّ يَعْمَلُ عَلَى تَطْوِيرِ الْأُمَّةِ بِمَا يَتَلَاءَمُ مَعَ الْمَتَغْيِرَاتِ الْمَتَلَاخِقَةِ وَيَجَارِي الْإِفْرَازَاتِ السَّرِيعَةَ، بَلِ السَّرِيعَةَ الرُّكْضِ، وَيَسَايِرُ التَّطَوُّرَاتِ الْجَارِيَةَ عَلَى الْأَرْضِ وَمُوَاجَهَةَ دَعَاةِ الْفَوْضَى الْهَدَامَةِ. هَذَا هُوَ الْإِحْسَاسُ الْعَمِيقُ بِالمَسْئُولِيَةِ التَّارِيخِيَّةِ، وَهَذَا.. (الْوَعْيُ الْعَقْلِيَّ).. الْمَتَحَضِّرُ الرُّشِيدُ، الَّذِي يَحْتَرِمُ الْحَقَائِقَ وَلَا يَتَجَاوِزُهَا، هُوَ الْبُوصْلَةُ التِّي تَحَدِّدُ

الاتجاهات الصحيحة نحو العمل الجاد؛ الذي يصبُ في مصلحة الأمة وشعبها.
لَمْ، يفهم، ولم يتعامل، العقل العربي مع.. (إستراتيجية المفاجأة)..، والتي
قد تساعد على إعادة تشييد الترابط الاستراتيجي بين مصالح الأمة، لرفع
آليات التفكير العميق في إطار الرؤية التخطيطية المستندة إلى تنوع العلاقات
الاستراتيجية مع العناصر النافذة والفاعلة لصناعة قرار الأمة في إطار موازين
القوى الدولية المختلفة، بهدف تحسين.. (الأداء العقلي)..، للعقل العربي، ولفهم
صفحات في قلب الأعداء والخصوم.



يحتاج العقل العربي.. (الاستراتيجية المفاجأة)..، وفهم قواعدها وأسسها
وقوتها حتى لا يضطر العقل العربي إلى فعل.. (الإنحاء)..، أمام قوة الأعداء،
كما حكى لنا التاريخ العربي القديم كثيراً من المواقف، التي اضطر العقل
العربي فيها إلى.. (الإنحاء)..، أمام عدوه، إنما فعل ذلك بتراجع واعتذار،
لأنه قفز على ممارسات.. (المصير)..، وقد يكون العقل العربي فعل ذلك وفق ما
تسرب إليه من معلومات، أن يأخذ بالرأي الداعي إلى اصدار قرار، لم يخضع
إلى حرية الرأي والحق بالاختلاف في الرأي العسكري والسياسي؛ مثال ما
فعله القائد الأموي الفاسد والسفيه الحجاج بن يوسف الثقفي، حين قدم إلى
مكة المكرمة فأفسد فيها وعبث بأهلها وضرب الكعبة المعظمة بالمنجنيق
وجوع وأفزع أهلها وشردهم. فعل كل تلك الجرائم والكوارث بهدف أن يقوى

..(الوزن الأموي)..، السياسي بالثقل في ممارسة الحكم والتمسك به دون النظر إلى عين العقل في المتربات والتداعيات والخسائر، فعل الحجاج تلك الجرائم في إطار تقوية موازين القوى الأموية.



لهذا المحور وزن كبير، أولاً: في قرارات العقل العربي المتوحش، وارتباطه بالبعد السلطوي العنيف، وليس فقط بالبعدين السياسي والعسكري. كما له انعكاس..(أخلاقي)..، إذ أن هناك إئتلافاً أموياً لترسيخ وتقوية وحكم بني أمية، دون النظر للمتربات والنتائج.



أحد أبعاد هذا..(التوحش السلطوي)..، هو تمزق الروابط بين الناس من جانب، ونشر الرعب والفرع وزراعة الخوف بين أبناء الأمة. علماً إن هذه الحروب والأزمات والمشكلات الأموية ليست في حالة جيدة بسبب السياسات التي انتهجتها الدولة الأموية منذ عهد مؤسسها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وهي سياسات قائمة وتقوت عبر..(التوحش)..، و..(التعسف)..، و..(العنف)..، ومفرطة في جرائم القتل والسحل والتثميل بأجساد أبناء الأمة، وهي مخالفة كلياً لأي رأي، أو خلق، أو مبدع، أو سلوك إسلامي، لأن الدولة الأموية قامت وارتكزت على سجن الرأي المخالف ومصادرة الرأي الحر، وملاحقة الإصلاحيين في الأمة من العلماء والفقهاء والمفكرين والمثقفين، مثلما فعل الحجاج بن يوسف الثقفي في قتل كثير من العلماء والفقهاء والمفكرين والمثقفين، كان آخرهم العالم الجليل الورع الزاهد سيدنا

سعيد بن جبير رحمه الله. كما فعل الحجاج بن يوسف فعل التوحش السياسي والعسكري حين قتل سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، إن أهل مكة المكرمة.. أصحاب دعوة مقبولة...، عند الجبار المتكبر رب مكة المكرمة والكعبة المعظمة، ودعوتهم مستجابة عنده جلت عظمته وقدرته، وهم ليسوا بضعفاء كما يذهب البعض بهذا الاعتقاد الخاطيء، واذكر هنا.. [حادثة تاريخية]...، واحدة فقط من باب التذكير والعظة والاتعاظ، وهي المقولة التي قالتها المرأة المكية السياسية العظيمة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه أم سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، قالت للحجاج بن يوسف الثقفي، قائد عبد الملك بن مروان، قالتها أمامه وفي وجهه وهو يجلس في خيمته في أعالي مكة المكرمة بعد أن ضرب الكعبة المعظمة، وجوع أهل مكة المكرمة، وأفزعهم وقتلهم العطش: قالت: ((أفزعك الله يا حجاج في الدنيا والآخرة، كما أفزعت مكة وأهلها))، تذكر الحجاج هذه المقولة وهو يحتضر للموت ويعاني الويلات من شدة الألم من سرطان المعدة فقال: ((يا ليت أسماء لم تقلها .. ليتها لم تقلها ...)).



أعتقد أن العقل العربي لم يعد أيديولوجية منتجة للزعامة والتقدم والتطور بأوضاعه الراهنة، عبر سبل وطرق السلم والاستقرار، مثل التعامل مع الانتخاب...، والاتجاه نحو.. ([صندوق الاقتراع])...، لاختيار الحاكم، كما فعل الغرب، وإنما أصبح أقرب إلى صناعة التدمير والدمار والتوحش والعنف

والتطرف والغلو، أي أيديولوجية رافضة وطاردة للأيديولوجيات المنتجة للسلام والمحبة والاستقرار والطمأنينة والتقدم والنهضة والتنمية. هي أيديولوجيات غير قادرة على صياغة علاقات استراتيجية مع الآخر. كما إنها ترفض الاختلاف الذي يتناول نقد السياسات، ولا تضع ثقل اهتمامها في مسألة حقوق الإنسان، فإن سوء الفهم وسوء الحسابات أضعف الثقة المتبادلة مع شعوبها وما زالت.



أيديولوجية العقل العربي قد تكون أكثر تفهماً للإجراءات الاحترازية الصارمة للثقافة الاستهلاكية الغربية حتى ولو اختلفت مع بعضها، لأن العقل العربي يريد إدارة البلاد العربية بدون حرية رأي، ولا حريات عامة، وبلا انفتاح ولا شفافية، وهذا يؤكد عدم قدرة العقل العربي على إتخاذ القرار المؤثر في تغيير جذري نحو الحريات والانفتاح، وترطيب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، لترطيب أجواء الغضب بينهما.

أما في ما يخص العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فلا مؤشر إلى تمكن أي كان من إصلاحها في هذا المنعطف، فلا الحاكم يريد التفاهم مع المحكوم، ولا المحكوم يريد المصالحة مع الحاكم. أتت هذه العلاقة بناءً على إقتناع مسبق بأن لا مجال لإزالة الجليد عن علاقتهما، فالثقل السلطوي أقوى في موازين القوى وفق التفكير في ذهنية العقل العربي. ثم إن المحكوم غير قادر على لعب دور مع الحاكم أعمق وأوسع من الدور الذي

يمكنه أن يلعبه مع الحاكم، لقناعته أن ذلك يخرجُه عن منظوماته الأخلاقية والعقدية والإصلاحية والتنويرية.



ووفق تفكير المحكوم يبدو أنه مرتاح ومقتنع لهذا التفكير الذي يحفظ قيمته ومكانته ودينه، وفي هذا الإطار تبقى لديه إمكانية التأثير في المجتمع والشعب.

والمحكوم لن يدخل، على الأرجح، في هذه التفاصيل وسيركز على رسالة إصلاح المجتمع والأمة، وحرصه على عدم الدخول في حالة التوتر وانحسار الثقة مع الحاكم مع الدفع بالتودد معه، عبر التشاور والتعاون والتفاهم.



إن أولويات إصلاح وتقوية العلاقة بين الحاكم والمحكوم لن يكون الأمر صعباً، وذلك لأن الرأي هو أن لا تناقض بين التودد، وطبي صفحة العداء السلطوي للمثقف لبناء علاقات استراتيجية بين السلطة والمثقف، رغم أن الواقع الممارس يؤكد أن السلطة العربية أطاحت بعقيدة التقارب والتفاهم والتعاون مع المثقف واستبدلتها بعقيدة الحديد والنار والسجون، التي ضمنت لها ما تريد في الفكر السلطوي الأمني، وغير المبني على فكر استراتيجي جاهز لتقبل المثقف وفكره الإصلاحي. لن يكون ترسيم العلاقة بين السلطة والمثقف صعباً لا سيما أن العلاقة الأمنية تنطوي على عنصر شراء ضمائر بعض المفكرين والمثقفين الذين لا يملكون مبادئ وأخلاق وقيم الوطنية والإصلاح.



أما في ما يخص أنماط الإعفاء السلطوي للمثقف الحر والوطني من المطاردة والملاحقة، يعد من العبث باستقرار السلطة، لأنها عازمة على إيضاح رفضها المباركة لسياسة الإصلاح. المثقف لا يريد من السلطة ممارسة سياسة الإعفاء من المحاسبة له، ولكن يريد منها الاحتفاظ بحق الاختلاف معها حفاظاً على مصالحها ومصالحه، ولكن - وللأسف - إن السلطة العربية لا تريد تقديم تنازلات منها للمثقف، كمثل ساطع حين يقع الاختلاف بينهما فإن السلطة لا تختار غض النظر عن بعض تجاوزات المثقف - في نظرها - .



إنّ طي .. (صفحة العدا) ...، بين السلطة والمثقف لا بد أن تعمل السلطة على قفلها نهائياً وبدون تردد أو خوف، وعداء السلطة للمثقف ليست صكاً شرعياً ملزماً لها تأخذها بالوراثة، إذا كان الهدف منها مباركة غايات الهيمنة السلطوية.

إنّ الاختلاف بينهما عميق، فإدارة السلطة تؤمن بأن .. (المثقف) ..، هو مصدر القلق والازعاج والبلاء لها ويجب عليها التصدي لدور وفكر .. (الرجال الأقوياء) ..، من المثقفين والمفكرين والإصلاحيين، وهذه السلطة ترفض قطعاً انتقادها، وانتشار نفوذ وتأثير الرجال الأقوياء والشرفاء، والأحرار من المثقفين والمفكرين والإصلاحيين في محاسبة ومعاقبة ومطاردة أولئك الرجال الأقوياء بمبادئهم ومثلهم وأخلاقهم و مشاريعهم الإصلاحية ، لهذا عملت السلطة على

اسقاط سلطتهم، وعقدت العزم في الوقت ذاته على إيقاف دورهم نهائياً.

لهذا أقول، إن فسحة التقارب والتفاهم والحوار في هذا المجال ليست واسعة لا سيما أن الرجال الأقوياء والشرفاء والأحرار من المثقفين والمفكرين والاصلاحيين انتشروا بالمجتمع والمشهد العام مترابطين.. **(القيم العليا)**..، لإصلاح الوطن والمجتمع، وفي الوقت ذاته فإن السلطة سجلها ملطخ بسياسة تعتمد غض النظر عن القيم العليا، بل ويدها ملطخة بالممارسات الفظيعة في المساة الوطنية، كحال معمر القذافي وغيره من الحكام الطغاة.



في هذا الأمر، كما أتصور أنه لا مجال لإصلاح ما أفسده الدهر. العجيب أن العقل العربي لم يستوعب، أو بمعنى أدق لم يستطع استيعاب الأولويات العربية الشعبية القائمة، وأن يدرك مبكراً إنه لا دور لنا كعرب في حروب الآخرين، وإنه لا شأن لنا في ما تفعله دول بعينها من مجازر. كما إنه لم يتحرك على أساس المرجعية الواضحة القائمة في بعض قضايانا ومشكلاتنا الكبرى، مرجعية تتمتع بإجماع عربي، وإنه ليس علينا التنازل عن شيء، فلا يوافق ولا يسعى. إنما إن فعل ذلك التدخل غير المحمود، لعله يجد في تلك الأفكار وسيلة لتحقيق، أو لإشباع رغبة ما، ليمكنه القول إنه نفذ ما تعهد به في نهاية المطاف، وكان العقل العربي يريد أن يقول إنه ظهر ليتألق في خطاه المدروس.



تشهد الأمة العربية، وأخصُّ عقلها أفكاراً مجنونةً، ولكنها مهمةٌ للغاية، وفي مجملها توحى بانحسار، ولو محددٌ ومتعرجٌ، للعقل العربيّ وتعطيلِ دوره ونفوذه في التدخل لمعالجة قضايا ومشكلاته، يقع ذلك من العقل الغربيّ وبلغه عدائية واضحة، تلحقها حروباً وكوارث وأزماتٍ وانهياراتٍ عربيةٍ. ولم يتحسن دور العقل العربيّ ولو بطيء في مساعي التوافق والتعاقد العربيّ - العربي. رغم أن تلك الأحداث لها أهمية في تاريخنا. وكان لهذا - الانحسار - للعقل العربيّ، الذي تفاهم بين العربيّ والعربيّ، وظهور نتائج عديدة، من بينها تراجع في صدقية التكهّنات، أو التوقعات التي انتشرت دولياً حول الانهيار النهائي للنظام العربيّ، رغم أن بعض العقول العربية المفكرة والمثقفة عملت على التقليل من شأن تلك التوقعات، عبر الإشارات المتكررة من هنا وهناك، مع ظهور بعض الإشادات بالروابط العربية، العربية التي تصب في خدمة الشأن العربيّ. لم، يفكر، لم، يتحرك، لم، ينهض العقل العربيّ للبحث في مسألة خلق مناخات التقارب والتعاون والتآزر والتضامن، وبلورة آليات وطبيعة لفهم عمل الأحداث العربية، والتي ظهرت فجأة في وقت غير محدد، ولعلّ الظرف كان يسمح للعقل العربيّ التحرك. نعم، كان لابد أن يتحرك وبقوة وفاعلية وبخاصة في حالات الاقتتال كالحال في العراق وليبيا وسوريا وغيرهما، وأيضاً التواصل لإيجاد اتفاقات تقرب ولا تبعد، مع تفعيل تلك الاتفاقات، ومن الأرجح أن تتقاطع التطورات العربية في أوضاع دول الثورات العربية.



إنَّ هَذِهِ الْفِتْرَةَ الْعَصِيبَةَ مِنْ تَارِيخِ أُمَّتِنَا الْعَرَبِيَّةِ يَفْتَرِضُ أَنْ تَتَّجِهَ كُلُّ مَقُومَاتٍ وَقُوَى وَآلِيَاتٍ وَأَمْكَانَاتِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ إِلَى إِجَادِ حُلُولٍ لِلْمَشَاكِلِ وَالتَّحْدِيَّاتِ الْكُبْرَى الَّتِي تَوَاجَهُ الْوَطَنَ الْعَرَبِيَّ. إِذَا شَاءَ تَجَنَّبَ الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ مَضَاعِفَاتِ اسْتِمْرَارِ جُنُونِ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمَجْنُونَةِ، إِنَّ التَّوَسُّعَ فِي زِيَادَةِ مَسَاحَاتِ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَأَخْصُ بِالذِّكْرِ الثُّورَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَجْنُونَةِ، قَدْ يَكُونُ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ عَلَى حَسَابِ مُسْتَقْبَلِ الْأُمَّةِ. بَلْ إِنَّهُ قَدْ يَتَحَوَّلُ إِلَى عَائِقٍ حَقِيقِيٍّ أَمَامَ تَعْمِيقِ النُّهْضَةِ وَالتَّنْمِيَةِ بِالْبِلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتْ - دَوْلٌ بَعِيْنَهَا - مِثْلَ الْعِرَاقِ وَلِيبِيَا وَالْيَمَنِ وَسُورِيَا غَيْرِ مُقْتَنِعَةٍ بِمَزَايَا النُّهْضَةِ وَالتَّنْمِيَةِ فِي عَمَلِيَّةِ تَحْقِيقِ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ، فَهَذِهِ الدَّوْلُ قَدْ تَقَعُ فِي مَطَبٍ يَشْبَهُ ذَاكَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ الْعِرَاقُ وَإِيرَانُ فِي الْحَرْبِ بَيْنَهُمَا، الَّتِي دَامَتْ ثَمَانِيَةَ سِنُوَاتٍ مِنْ 1980 إِلَى 1988م.

فَإِذَا شَاءَ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ الْإِفَادَةَ فَعَلًا مِنْ مَزَايَا الْأَحْدَاثِ الْمَاضِيَّةِ، يَنْبَغِي عَلَيْهِ الْاِمْتِنَاعُ عَنْ اتِّخَاذِ أَيِّ قَرَارٍ يَرَاهُ غَيْرَ قَابِلٍ لِاسْتِقْرَارِ الْوَطَنِ.

وَأَنْ يَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي تَنْفِيذِ قَرَارَاتِ النُّهْضَةِ وَالتَّنْمِيَةِ، أَيَّ أَنْ يَبَاشِرَ فِي تَطْبِيقِ مَبَادِيءِ الدَّوْلَةِ الْمَدْنِيَّةِ الَّتِي تَسْعَى لِلِاسْتِقْرَارِ وَالْأَمْنِ وَرِفَاهِيَّةِ شَعْبِهَا، وَالَّتِي تَسْعَى فَعَلًا إِلَى الْاِنْتِزَامِ إِلَى دَوْلِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ، يَحْتَاجُ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ إِلَى فِتْرَةٍ مُرَاقِبَةٍ لِنَفْسِهِ تَكْشِفُ عَادَةً هَذِهِ الْمُرَاقِبَةِ، مَدَى اسْتِعْدَادِ الْعَقْلِ لِلْقِيَامِ بِالتَّضْحِيَّاتِ الَّتِي تَفِيدُ الشُّعُوبَ الْعَرَبِيَّةَ.



إنَّ العقلَ العربيَّ، في حالةِ قبولٍ ..[عمليةِ نقده]..، يحتاجُ أولاً إلى التخلصِ والقضاءِ على حالاتٍ مثل: .. (الفرعنة) ..، و .. (العنترية) ..، فالعربُ لديهم فارسٌ شجاعٌ اشتهرَ بالقوةِ والصلابةِ والجرأةِ والمجازفةِ والاقترحامِ، وهو عنترُ بنُ شدادِ، الذي حمى قومه من غاراتِ وهجماتِ أعداءِ قبيلتهِ، ولكنَّ الغريبَ في الأمرِ، إنَّ هذاَ البطلَ العربيَّ .. (الرمز) ..، قتلَ، ولمْ يخلفْ بعدهِ لا ولدًا، ولا بنتًا، فلا أحدٌ من العربِ كلهمِ يستطيعُ أن يدعى أنَّه من أحفادِ، أو ورثةِ عنترِ بنِ شدادِ، والأمرُ الأغرَبُ في تاريخِ هذاَ البطلِ العربيِّ الرمزِ الذي اعتمدَ في قوتهِ على .. (عضلاتِ جسده) ..، وفي نهايةِ الأمرِ يأتي قتلهِ على يدِ رجلٍ أعمى، وأصابه بسهمٍ في .. (خصيته) ..، فقتلَ عنترُ شرَّ قتلَةٍ، وليسَ مثلهِ بطلٌ قتلَ بمثلِ هذهِ الحالةِ والطريقةِ الغربيةِ.

المهمُّ أنَّ .. (أسطورةِ عنترِ بنِ شدادِ)، مازالتْ مسيطرةً على ذهنيةِ الشعبِ العربيِّ، وأصبحَ كلُّ إنسانٍ عربيٍّ يريدُ أن يقلدَ دورَ عنترِ بنِ شدادِ في كلِّ حياتهِ وأدوارهِ، وهو أساسًا لا يملكُ أيةَ أداةٍ من أدواتِ قوةِ عنترِ بنِ شدادِ - الأسطورةِ خالدةٍ - والمصيبةُ أنَّ الأمةَ العربيةَ تعاني، ومازالتْ، من ..[وهم] ..، العنتريةِ.



مشكلةُ العقلِ العربيِّ إنَّه يعاني كثيرًا من نسيانِ تاريخه، وذلك ..[النسيان] ..، أفضى به إلى مزيدٍ من تكريسِ حالاتِ وأساطيرِ جديدةٍ،

فإضافةً إلى عشقٍ .. **ظاهرة العنتيرية** ..، يُعاني العقلُ العربيُّ السلطويُّ والشعبيُّ من.. (**ظاهرة الفرعنة**)..، فنجدُ هذه الظاهرة الفرعونية ظاهرةً على.. (**جبهة السلطة العربية**)..، وسلوكياتها وقراراتها واجراءاتها وتوجهاتها وأفكارها وثقافتها. لكنَّ، التحليلاتِ والتخيلاتِ الفرعونية وحدها لا تخدمُ إلا فرعونَ وحاشيته، وهامانَ وجنوده في الرؤية قبلَ الفعلِ والسلوكِ، والحاكمِ العربيِّ يعملُ على تكريسِ فرعونيته ومن يتفرغُ منه.



قد يصابُ الحاكمُ العربيُّ الفرعونيُّ بكثيرٍ من.. (**السيولة الفكرية**)..، و.. (**الهيجنة أيديولوجية**)..، ومتشابكٍ معقدٍ يحققُ مصالحَ له، كحالِ الرئيسِ المصريِّ محمدٍ مرسيِّ، الإخوانيِّ، فعملٌ على كشفِ فرعونيته بسهولة، إنَّ التزاوجَ الثقافِيَّ لَنْ يسمحَ طويلاً بالتغافلِ منَ الشعبِ عنَ التعقيداتِ العقليةِ والتحدياتِ الذهنية التي ينوءُ بها كاهلُ الحاكمِ الفرعونيِّ.

إنَّ الحاكمَ الفرعونيِّ تسحرُه الأيديولوجياتُ ذاتُ الشعاراتِ الفرعونية الرنانة التي تضخمُ منِ ذاته وموقعه وتسري السامعينَ له، كحالِ الرئيسِ الليبيِّ معمرِ القذافيِّ، تلكَ التعقيداتُ العقليةُ والتحدياتُ الذهنيةُ لَنْ تتيحَ للحاكمِ الفرعونيِّ العربيِّ أن يطاردَ فريسته خارجَ حدوده الجغرافية. كما إنَّ الخطابَ السياسيَّ العربيِّ، مليءٌ، بل هو منتفخٌ ومتورمٌ منَ الكلماتِ والحروفِ والعباراتِ الفرعونية، يقدمُها وي طرحُها هذا الخطابُ السياسيُّ ليصرفَ نظرَ

الشعبِ عَنْ مشاكِلِه وَأزمَاتِه الداخليَّة والخارجية، وهذا مَا فعله الرئيسُ المصريُّ جمالُ عبد الناصر - غَضَرَ اللهُ لَهُ - ، حينَ نطقَ بعبارته السياسية الشهيرة: (سوفُ نرْمِي إسرائيلَ في البحر)، وأيضاً مَا قاله الرئيسُ العراقيُّ صدامُ حسينُ - رحمه اللهُ - قال: (سوفُ نحرُقُ نصفَ إسرائيلَ).

هَذَا الخطابُ السياسيُّ العربيُّ العنترِيّ والفرعونيُّ، وبكلِّ عتاده وأساليبه ومكوناته وآلياته قَادَ الأمةَ العربيةَ للدمارِ والتمزقِ والتشردمِ، ودفعتُ الأمورُ إلى التقصيرِ والفسادِ، وتغطيةِ التحالفاتِ الفاسدةِ، وانتشارِ وتفشيِ الاستبدادِ والاحتكارِ، والتحكمِ في المزايا والفرصِ، وهذا مَا جعلَ الإنسانَ العربيَّ يعيشُ حالاتٍ:

1/: الاستحمارِ.

2/: الاستبقارِ.

3/: الهبلِ.

4/: الاستهبالِ.

5/: الامبالاةِ.

6/: الغفلةِ.

7/: الغباءِ.

8/: الاستخفافِ بكلِّ شيءٍ.



وهذا الخطابُ السياسيُّ جعلَ البعضَ يظنُّ أنه معفيٌ من كلِّ الالتزاماتِ الأخلاقيةِ والمهنيةِ وغيرها ، وتشكيلِ المواقفِ حسبِ مقتضياتِ المنافعِ ، ومنحِ البعضَ نفسه الشعورَ بالأفضليةِ على جميعِ الناسِ ، وإهمالِ أولوياتِ واحتياجاتِ الشعبِ.

هذا الخطابُ السياسيُّ العربيُّ جعلَ الشعوبَ العربيةَ تشمئزُ من العملِ الوطنيِّ ، ولا يجرؤُ أحدٌ على إبداءِ الملاحظاتِ ، أو تبينِ التجاوزاتِ خوفاً من بطشِ واستبدادِ وطغيانِ الحاكمِ.

هذا الخطابُ السياسيُّ كشفَ تناقضاتِ المتناقضاتِ في التفكيرِ ، ووضعَ التناقضَ في السلوكِ ، والتراجعَ في المواقفِ ، لأنها في نظرِ هذا الخطابِ السياسيِّ ملاحظاتٌ تدلُّ على الخيانةِ.

هذا الخطابُ السياسيُّ العربيُّ لا يسألهُ إلا واحدٌ ، هو كاتبُ الخطابِ نفسه ، ولا مكانٌ له سوى مكانٌ واحدٌ ، هو موقعُ كاتبِ الخطابِ ذاته.



ليس عيباً بالطبع ولا عاراً أن يسعى المثقفُ والمفكرُ في تفكيكِ ونقدِ العقلِ العربيِّ ، وكلِّ أنواعِ خطابه. لمحاولةِ التأثيرِ على السياساتِ والتشريعاتِ والقراراتِ والاجراءاتِ والمواقفِ التي يتخذها ، من أجلِ تحقيقِ الحرياتِ العامةِ ، وحريةِ التعبيرِ ، وتحقيقِ العدالةِ الاجتماعيةِ ، وتحسينِ مستوى معيشةِ الشعبِ. كما أن ذلكَ التفكيكُ هو قضيةٌ أيديولوجيةٌ تؤسسُ لمفاضلةٍ مع الآخرِ.

إنَّ تفكيكَ الخطابِ يساعدُ على تقلبِ وقلبِ بعضِ صفحاتِ مفكرةِ الوطنِ، ليحكى عن تاريخنا العربيِّ الحالِكِ الظلامِ والمشؤومِ، مَعَ استحضارِ الذاكرةِ لَدَى الأجيالِ، لأنَّ المعلوماتِ الدقيقةَ والصحيحةَ حَوْلَ مَا جَرَى داخلَ صفحاتِ تاريخنا العربيِّ لا تزالُ غيرُ معروفةٍ حتَّى اللحظةِ، لأنَّه رافقَ اندلاعَ أقسى المعاركِ والحروبِ شراسةً، حربُ.. (الكذبِ)..، و (الشائعاتِ)..، و (التزويرِ)..، و..(الاتهاماتِ)..، و..(القذفِ)..، و..(السبِّ)..، و..(الردحِ)..، و..(الرفضِ)..، و..(اللغوصاتِ)..، و..(فعلِ النميمةِ).. المتبادلةِ بيننا وأعدائنا. نَعْمُ لقد سقطتْ الأمةُ العربيةُ في واحدةٍ منْ أقذرِ أنواعِ الحروبِ، تداخلِ فيها العديدَ منْ العواملِ والعناصرِ.



لقد آليتُ على نفسي وفي كلِّ مراحلِ وخطواتِ ومسيرةِ حياتي الفكريةِ والثقافيةِ والصحافيةِ والإعلاميةِ والكتابيةِ، أنْ أحترمَ كثيراً عقلَ المتلقيِ أينما كانَ، وإلى أيِّ جهةٍ ينتمي، وأنْ أضعَ أمامه الحقائقَ المجردةَ - كما هي -، وأتركُ للمتلقيِ الرغبةَ في ممارسةِ حريةِ الرأيِ والتحليلِ والتفكيكِ والاستباحِ والرفضِ والقبولِ، لهذا، أتجهتُ لطرحِ العديدِ منْ التساؤلاتِ لعلِّي أصلُ في نهايةِ الأمرِ إلى بعضِ الحقائقِ، اكتشفتُ كغيري أنَّ العقلَ العربيَّ أدخلنا في مجاميعِ كبيرةٍ منْ ..[الأوهامِ]..، منها إننا نعيشُ التعايشَ المطلوبَ على اختلافِ توجهاتنا، ولكنْ تبينَ أنَّ ذلكَ ..[التعايشُ].. هوَ أكذوبةٌ

كبرى، لكن في حقيقة الأمر حول النعمة إلى نقمة.

سألت نفسي: هل من خطوة محددة لوقف هذا التدهور والانهيار الخطير؟
في ظني أن هذا ما يجب أن يتم في أقرب فرصة، قبل فوات الأوان!

ولكن!، فعلاً فأت الأوان!



هكذا، أرى، وأتصور واقعنا العربي.



أكد العقل العربي في معظم الأحداث الكبرى والمواقف الصعبة، إنه عقل متفنن لئن إضاعة الفرص لطرح الحلول وبدائلها، وأنه يحرق من الطاقة العقلية والجهد الفكري الكثير، والكثير، للبحث عن تلك الحلول، وأنه عقل لا يحب السير في خط مستقيم للوصول بسرعة لنقطة النهاية، وبسبب إضاعة فرص الحلول والمعالجات خسرت الأمة العربية كثيراً من قضاياها العادلة مثل: قضية فلسطين، وقضية أزمة غزو الكويت، وقضية انهيار أسعار النفط العربي ورسم الحدود الجغرافية بينها وغيرها، والمؤسف أن العقل العربي كرر نفس الأخطاء، ونفس الغفلة، ونفس الاستهتار، ونفس الاستحمار وجاء في مواقف كبرى متكررة، فيصدر من العقل العربي نفس التصرفات والقرارات والاجراءات، وهذا من أدلة واقعية تدل على ضعف الأداء وقلة المسؤولية، وضعف الكفاءة للتعامل مع القضايا العربية الكبرى.



فمتى يهبُ العقلُ العربيُّ للقيامِ بمسئوليّاته وأدوارهِ المطلوبةِ؟ .



الأمةُ العربيّةُ في حاجةٍ إلى عقلٍ يحمي كياناتها المختلفة ويحرصُ على مصالحها بأفكارٍ جديدةٍ، ليستْ كالسابقةِ، والتي دفعَتْها إلى الفرقِ في حساباتٍ ومصالح ذاتِ نزعاتٍ ضيقةٍ. الأمةُ العربيّةُ في حاجةٍ إلى عقلٍ متغيرٍ ينتجُ لها فكرياً عصرياً متجدداً يواكبُ العصرَ وتحدياته ويفهمُ متغيراته ويحترمُ تغيراته، إنَّ مظاهرَ الأداءِ العقليِّ العربيِّ فقيرٌ في حسنِ التعاملِ معَ الأحداثِ والأزماتِ والمواقفِ، وخاصةً تلكَ التي تتشابهُ في مخرجاتها ومدخلاتها، ولهذا نجدُ أنَّ عيوبَ العقلِ أثناءَ تلكَ الأحداثِ كثيرةٌ بلُ قاتلةٌ ومحبطةٌ ومخيبةٌ للأمالِ والطموحاتِ، وهذا ما يصيبُ العقلَ العربيَّ السياسيَّ في سمعتهِ ومكانتهِ، ويجعله فريسةً لمختلفِ الاختراقاتِ والشائعاتِ، ويكونُ موقعُ .. (العطبِ) .. واضحاً أمامه، ويدلُّ ذلكَ على غيابِ رؤيةِ المسئولِ العربيِّ وارتيابِ عقله في وقتِ المحنِ والأزماتِ، ربّما، هكذا تتصرفُ ظنوني، إنَّ العقلَ العربيَّ غيرُ مؤهلٍ للتعاملِ معَ تلكَ الأحداثِ والمواقفِ المختلفةِ، **والأهمُّ من ذلكَ هوَ عدمُ فهمِ مفاهيمِ تحملِ المسؤوليةِ عنِ الممارساتِ والسياساتِ، التي يمكنُ لها أنْ تشكلَ حرجاً بالغاً للأمةِ، لوَ تركتْ للطريقةِ العشوائيةِ التي يتعاملُ بها العقلُ العربيُّ في إدارةِ الأزماتِ وملفاتها وتطوراتها وتحديدِ اتجاهاتها المختلفةِ.**



فالعقلُ العربيُّ لم يراعِ التزاماتِ و ضوابطِ المسؤوليةِ التي يفترضُ أنْ هناكَ

قواعدَ فكريةً تتظمُّها وتتحكُّمُ في حركتها، وعدمُ وجودِ تلكَ القواعدِ الفكريةِ تدفعُ الأمورَ إلى الانفلاتِ، وضياحُ ما يستلزمُ التعرفُ على جميعِ جوانبه.



يعتقدُ العقلُ العربيُّ أنَّ .. (سياسةَ الصدمة)... هي أفضلُ الحلولِ التي يملكها لمعالجةِ الأحداثِ الطارئةِ وغيرها، وهذا غيرُ صحيحٍ علمياً وعملياً وواقعياً ومنطقياً وأداءً، وخاصةً أنَّ هذا العقلُ لم يعبأ أنَّ هناك سياساتٍ واجراءاتٍ وأموراً يجبُ ألا تخرجَ إلى العلنِ أثناء سيرِ اجراءاتها للمعالجةِ واتخاذِ القرارِ، لأنَّ هناك اجراءاتٍ وسياساتٍ يجبُ أن تتوفرَ مسافةً كبيرةً جداً بينَ سياقِ المشكلِ، وبينَ سياقِ التعاملِ معهُ والمتربّاتِ عليه، حتّى لا تفهمُ الأمورُ بغيرِ اتجاهاتها، وأتفهمُ ما سيترتبُ على ذلكَ من تداعياتٍ قد تصيبُ العقلَ العربيَّ في صدره، وربّما أيضاً قد تكونُ طريقةُ التعاملِ ستؤذي الأمةَ وتضعفُ موقفها.



ليسَ، من العيبِ، أو العارِ أن يتجّهَ العقلُ العربيُّ إلى .. (فعلِ التشكيك)... في نوايا الأعداءِ والخصومِ، وبالشكلِ الذي يكفلُ حقّه في الفهمِ والمراجعةِ والعلاجِ. ينبغي، بل يجبُ، على العقلِ العربيِّ أن يقبلَ، ويتقبلَ النقدَ من داخله أو خارجه، ومن كلِّ الوسائلِ المختلفةِ، كما يتطلبُ منه تهيئةُ الرأي العامِ العربيِّ والعالميِّ لكلِّ ما هو جديدٌ ومستجدٌ لقضايا الأمةِ وأزماتها المتعددةِ

ومعرفة كافة تفاصيلها ، حتى لا تحدث الشائعات والصخب الذي يرسلُ سهامه الطائشة هنا ، وهناك ، وحتى لا يقع في سقطاتٍ ، التي ترافقها كمياتٌ ضئيلةٌ.



والعقل العربي يفترض أن لا يعتمد على المعلومات الجاهزة دون تدقيقها وفحصها وتمحيصها وتفليكهها من قبل العقول المتخصصة والراشدة ، وهذا يساعد على عدم انجراف الأمور إلى مسارات غير مرغوبة لمعالجة المواقف ، لأن ذلك يخلق أحاسيس ومشاعر شعبية غاضبة حقيقية ، أو ميسرة لأهداف بعينها . وتلك المشاعر والغضب ، يفجر سبلاً من التهم والادعاءات بين أبناء الأمة ، والتي قد تصل إلى التخوين ، ونزع الوطنية ، والخوف ، وخدمة مصالح الأعداء ، وهي صفات وأخلاق لا تليق بالإنسان وعقله العربي . في كثير من المواقف والأحداث يتعامل العقل العربي بالجهل وأفكاره ، بل نجد أن ..[الغطرسة].. و..[التكبر].. و..[الاستعلاء].. في خطابه وأجراءاته تبدو واضحة ، والجهل والغطرسة والتعالي والكبر والتكبر على العقول الأخرى ، تعمل على استفزازها ، فتتكون .. (الفتن) .. ، بينهما .



إن المنهج العقلي الحكيم والرشيد هو الذي يفهم ، ويتفهم ، إن المصالح والغايات والأهداف المشتركة تقرب أكثر مما تفرق . مهما بلغ حجم وقوة الخلافات و الاختلافات و التقلبات ، وإن لم يدرك العقل العربي مثل هذه

الثوابت، فيحدثُ أن تتوسع مساحات الشقاق، ولا توضع الأمور في نصابها.



العقل العربي عانى، ويعاني وسيعاني أيضاً من تقلب الأمزجة عبر ما يفرزه الخطاب بكل أنواعه، ويلاحظ هذا التقلب في معالجات الكثير من الأزمات، ومن يقول عكس هذا الكلام عليه أن يقدم الدليل. أقول هذا، وأنا قادرٌ كلُّ المقدره على إثبات ذلك، وأردُّ على المشككين والمزايدين وخصوصاً الجهلاء، بحقائق الأمور وطبائعها، كما أن معاناة العقل العربي تظهر في الكثير من خطابه المختلفة في الحرب والسلام، وأيضاً النهضة والتنمية، فليس هناك في الأمة العربية عقولٌ تقرأ!، وليس هناك عقولٌ تراجع!، وليس هناك عقولٌ تفهم لتعالج!، وليس هناك عقولٌ تتراجع عن أخطائها وتجاوزاتها!، فأعطى العقل، الكلُّ فرصته، من يعرف، ومن لا يعرف، فالكلُّ يخطبُ ويفتي ويكتبُ ويحللُ ويتهمُّ لأغراض التشكيك، والقذف، والسبِّ، والشتم، وأهداف التفرقة والتمزيق، وغايات المزايدة الرخيصة، وهذه من أخطر المشكلات التي تواجه عقلنا العربي.

من الضروري، والأهمية بمكان أن يعمل الجميع على إيقاف هذا النوع من الممارسات، فالأمة العربية تعيش في مأزق حقيقي، ومرحلة غاية في الخطورة. نعم إنه خطرٌ وجودٌ أساساً، وخطرٌ أن نبقى أمةً واحدةً، أو لا نبقى.

أما، ماذا بعد ذلك أيها العقل العربي!.

المرحلة ومقتضياتها وضرورتها وافرازاتها المتلاحقة والقاسية تحتم أبعاد أصحاب العقول المحدودة الكفاءة، وعديمي التفكير الرشيد، وفاقدي المعرفة والمعلومة، والخائفين من الرأي الرشيد، وذوى الولاءات الضيقة المتجهة نحو الأشخاص وليس الوطن.

المرحلة لا تتطلب طبالون، ولا منافقين، ولا كذابين، ولا مرجفين، ولا الجلاء بالأمور وخفاياها وخباياها، إن أخطر أمر يمر على الأمة العربية وعقلها هو ..[عديمي الضائير]..، وحاملي ..[الحماقات]..، فوق رؤوسهم.



العقل العربي اكتفى بأن يكون تاريخه مقتصر على زمن يتتابع ويتراكم تراكمًا كميًا من الأحداث غير العاقلة، وأحداث وتجارب وخيرات وتحولات قسرية، نفذت رغم أنه. ولم يتجه لتكوين تغييراته ومتغيراته، بل حتى لا يعرف كيفية التمييز ومعرفة الفروق بين فترة وفترة أخرى. كما عقل بشري تركيبته تختلف قليلاً، أو كثيراً عن باقي العقول، وهكذا هو التاريخ وإنجازاته كما أنه في كل منطقة من مناطق الأرض لها بداياتها التاريخية وأيضاً إنجازاته العقلية، والفكرية مختلفة عن بعضها البعض، وهذه من الطبائع الكونية، ولكن، رغم ذلك يظل التاريخ له وحدته وقوته وخياراته المتعددة في تشكيل الصناعات والانتاجات العقلية، وبمختلف مستوياتها وتصنيفاتها. فكما للحياة البشرية شروطها فإن التاريخ العقلي له شروطه. فلقد انتقل العقل العربي، وحسب طبائع الأمور ومجرياتهما واصرائتها التاريخية

من مجتمع القبيلة والعشيرة والقرية، إلى مجتمع أكبر بقليل ليصبح مجتمع المدينة، فيكبر ليصبح الدولة، ثم الأمة، وهكذا فانتقل تفكير العقل العربي من حالة الكفاف المادية إلى حالة الوفرة المالية، فأصبح العرب اليوم يتحكمون في كل مستويات أسعار النفط العالمي، ولكنهم لم يفهموا أهمية وقوة هذه الثروة الطبيعية.



إن طبيعة العقل العربي، كغيره يتجه بخطوته نحو الأمام، والأفضل. لكن المخزي أن العقل العربي أنتج طاقات عقلية منذ العصور الجاهلية صنعت.. [الاستبداد]...، بالأمة العربية وأدخلتها في حروب أهلية طاحنة، وضعت صراعات ومعارك بينها بدون مبررات مقبولة، أو يقبلها العقل ذاته. إنه منهج البحث عن.. [عدو]...، وأثم. أدت إلى التخلف والانحطاط والتأخر والعزلة والتراجع، واستمرار العداوات بصورة مستمرة مثلما كان بين الفساسنة والمنادرة، وكلاء الروم والفرس في المنطقة العربية، فخضعت الأمة للغزاة والمستعمرين من كل جهاتها، وهذا من الأدلة القوية أن الأمة العربية، لم تتحاز نحو العقل، لصناعة مستقبلها ونهضتها، وفي نفس الوقت كانت أوروبا قد تخلصت من عقدها النفسية، وقتلت الشر في داخلها، وانتهت التوحش، واهتمت بمستقبلها واستقرارها ونهضتها وتتميتها، وعملت على الاهتمام بالعمليات التنموية وبكل اتجاهاتها، وجعلت العقل مصدر قوتها، فتكونت ثقافتها الغربية، ووعت إنها لا تكون بغير الثقافة الإنجازية، فرسمت عبر

عقلها المفكر وثقافة الانفتاح للتفكير فقط في صناعة مستقبلها، فخطت خطوة خطوة نحو ذلك، فصاغت نظاماً، وكتبت دستوراً، يحمي الوطن والمواطن، ويحفظ الحريات العامة والخاصة، ويحفظ كرامة وأدمية الإنسان، واهتمت أوروبا اهتماماً كبيراً.. (بفلسفة التنوير) ..، ودوره في النهضة، فظهر كثيراً من أنواع ثقافة الديمقراطية والمواطنة، حتى وصلت أوروبا إلى قمة قوتها ونفوذها حين شكلت وأسست هياكل ومؤسسات الإتحاد الأوروبي، والذي أصبح أحد أهم أدوات.. (القوة العسكرية) ..، و.. (الاقتصادية) ..، و.. (السياسية) .. في العالم.

وفي نفس الوقت قام العقل العربي بإخراج وتكوين.. (عصابات التوحش) ..، و.. (العنف) ..، فضربت الدولة، وقتل الناس الأبرياء، وانتشر التشرد والاعتصاب والتدمير، والقتل بوحشية، وهذا العقل المتوحش فجر كل العلاقات الايجابية بين الأمة العربية، والعالم الغربي، ولم يعمل على تسوية، أو تعبيد أي طريق للتقارب والتواصل والتعاون مع الغرب العلمي.



أجزم – وأثق – بأن العقل العربي، ليس هو أفضل العقول في عالمنا هذا، وفي عصرنا هذا.



ومن المتلقين، وهم يرون بأنني أجزم بهذه الحقيقة، أن ينظروا في أدلتي لكي تتاح لهم فرصة المشاركة في هذه القناعة عن علم، وبينة ودليل وحجة،

وَمِنْ أَدْلَةٍ ذَلِكَ، إِنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ رَفَضَ، وَمَا زَالَ يَرْفُضُ التَّوَجُّهَ إِلَى.. (تَجْدِيدِ
الخطاب الديني).، وعمل ما يمكن في هذا الجانب المهم من حياة ومستقبل
أمتنا، وبخاصة في ظل هذه الظروف العربية الحرجة والصعبة والقاسية التي
نمرُّ بها، وتمرُّ بنا، والتي أصبح من حق أيِّ جاهلٍ، أو متسكعٍ أن يتهم أيَّ
مفكراً، ومثقفاً حرٍ وجادٍ ومخلصٍ في عقيدته، ويجد من يدعمه ويصدقُه،
ليصادر حرية الناس، وهذا نوعٌ من أنواع التصدي لإيقاف، أي مشروع عقلي
وفكري لتجديد الخطاب الديني، ولا يمكن، بأيِّ حالٍ من الأحوال أن ينفذ
ويتم البدء الفعلي نحو وجود الحريات العامة وبخاصة حرية التعبير، وإلا
فسوف يبقى خطابنا الديني أعزل، وأعرج، وناقصُ الصلاحية.



تحتاج الأمة عبر عقلائها وعلماؤها وفقهائها وحكائها ومفكرها
ومتثفيها، البدء الفوري والجاد لبناء **رؤية استراتيجية**، لتجديد الخطاب
الديني، بعدها ستكون حدثاً بالغ الأهمية ينبغي أن نقف أمامه طويلاً، ومتى
اعترفنا بشجاعة أن أكبر المخاطر المحدقة بنا، والتي تحيط بمسيرة الأمة
العربية، صوب التقدم.

إن غياب الرؤية الاستراتيجية هي أكبر المعوقات لدخولنا العالم الأول.
وللتدليل على أهمية صياغة هذه الرؤية الاستراتيجية، إن صراعاتنا وأزماتنا
العربية، بسبب عدم وجود هذه الرؤية الضرورية، فهي خيارنا المستقبلي نحو
عقد اجتماعي وفكري جديد، وينبغي أن تكون هذه الرؤى متعددة

التوجيهات والمخارج البالغة الأهمية، وهذا التفكير يساعدها على فهم ما يقع بين أزماتنا ونهضتنا والعقد الاجتماعي المسؤل. نريد رؤية استراتيجية تقوم على أساسات بنائية من العقلانية والحكمة والرشد والواقعية والموضوعية. رؤية تقدم سياسات بديلة تصحح سلبيات الرؤى القديمة، وتعظم ايجابيات قيم عقلية وفكرية متسامحة، وتسمح بممارسة الحريات، لتحقيق الحرية السياسية، والتعددية السياسية، والعدالة الاجتماعية، من الضروري لنا أن نتعامل مع منهج السياسات البديلة، التي يقوم عليها الخطاب الديني، والتي تملأ وتعظم النهضة والتنمية، حتى نتمكن من إلغاء والقضاء على..(صورة التوحش)..، التي رسمت عن الأمة العربية في كل مكان، نريد خطاباً دينياً متجدداً وفق متغيرات وتغييرات المرحلة، ويحقق مطالب العصر، ويشبع حاجات الشعوب العربية، التي رفضت، وترفض كل أنواع..(التوحش)..، العقل مهماً كان موقفنا من العقل العربي، ومن دوره في معالجة أزمات الأمة، لا بد أن أقول له إنه رحل زمن البكاء، وصحيح أن..(البكاء)..، ضرورة ولكنه ليس حلاً. هذه هي قناعاتي الراسخة.



التاريخ، لا يبكي مرتين، ولم يبك حتى الآن كما ينبغي، وإن بكى، فيبكي بدموع حارقة تحرق الباكي والمبكي عليه.



وأكرر و أقول مهماً كان موقفنا من العقل العربي ، لا بد أن نشهد له بأنه

قال كلاماً قوياً للشعوب العربية أثناء انفعالات الثورات العربية المجنونة. فبمتابعة بسيطة لحركة التاريخ أثائها، نجد أن أجوبته التي قالها للشعوب العربية؛ لم تخضع للتناقض، أو التردد، بل اتجه صراحة نحو.. [التشكيك]...، بأن الثورات بمجملها نظمت ورتبت لتتاسب مع طموحات، وأهداف المستعمر الغربي بصفة عامة، وقد رجحت حينها، وقلت: إن تلك التصريحات لا تفهم على حقيقتها، بل إن البعض انتقدني كثيراً، واعتبر ذلك بمثابة تهديد قوي وصادم للشعوب العربية، وخصوصاً بعد صدور كتابي: **فشل الثورة العربية، نقل البندقية من كتف إلى كتف**، 1435هـ، وقلت فيه: (أن يختار الشعب العربي بين القبول بما رسمه له الغرب، ودوائره الاستخباراتية وقياداته، أو مقاومة مشروع الثورات العربية والمصنوع في مصانع الأجهزة الاستخباراتية الغربية).



وفي هذه المسألة كتب عبدالرحمن الطريحي مقالاً بعنوان: (رحم الله أيام الديكتاتور) مما جاء فيه قوله: (أنظمة الدبابات أسهم في نجاحها في شكل رئيس تكسب الأموال قبلها لدي زمرة من الاقطاعيين، ثم استخدمتها للمفردات الرنانة من المساواة بين الشعب وتوزيع الأراضي، وهي مصطلحات من مدرسة اليسار في عز مجدها آنذاك، واستورد العرب مع اليسار الخطب الرنانة، وأشهر تطبيقاتها أحمد سعيد وصوته الأجرس من القاهرة، كل تلك الأجواء أسهمت في استقرار الأنظمة الديكتاتورية من صدام إلى حافظ الأسد، ومن عبدالناصر إلى القذافي).

ولكن هذه الأنظمة حين سقطت وقت الربيع لم يكن سقوطها يشبه سابقتها، أولاً لأن الأمن مرتبط بها لا مع الثورة، وبالتالي فجزء من الثورة هو ضد قمع الأمن، ولكن الثورة حين ذهبت بقمع الأمن أخذت معها التنعم بالأمان، إن وجود الأجهزة الأمنية في صف النظام الزائل أسهم أيضاً في غياب الاستقرار، واحتمال أن يطول أمد هذا الغياب، لأن الأجواء العامة أسهمت في نشاط الخارجين على القانون، كما إن جزءاً من هيبة رجل الأمن سقط بسقوط الأنظمة العسكرية، ولأن الأنظمة تخلت عن شعاراتها مع الوقت فلم تعد العدالة لديها إلا رسم الميزان على مباني المحاكم، وكانت تتعامل مع الإقتصاد بمبدأ «**حتى لا يموت الذئب ولا تفنى الغنم**»، وأبرز أمثلة ذلك ليبيا التي لم يكن بها مواطن فقير، حتى إننا لم نر أي مغترب ليبي في دولة عربية، ولكن ليبيا لم يكن بها أي مواطن غني كذلك.

الدولة الأمنية وشبكة الفساد المستشارية من أصغر موظفٍ مرتشٍ إلى أكبر وزيرٍ، والإعلام المضلل والتعليم الأجوف وبالطبع الإقتصاد المبني على ما يسد الرمق، لأن ما يفيض عن الحاجات الأساسية للبلد يذهب إلى حسابات الزمرة في سويسرا، إبقاء حركات الإسلام السياسي كمعارضة وحيدة بإقصائيتها المعروفة، أدى إلى الأنظمة الديكتاتورية، التي لم تسمح أبداً لما بعدها أن يكون دولة، ومن هنا نفهم ضيق الشعوب من طول أمد التغيير، وغياب الأمن والأمل، وهو ما يرددونه ب ((**رحم الله أيام الديكتاتور**)).



وقلت للعقل العربي الشبابي في كتابي المذكور، إننا نعيش في مرحلة انتقالية شرسة، وكان جوابي صحيحً وصريحً، فشكّل ضدي حساسيةً. ونلاحظُ، إضافةً إلى إنه قدم أجوبةً متقدمةً عمّا عهدناه من تعنتٍ غربيّ تجاه الصراع العربيّ والأزمة، كما إن كتابي المذكورُ: **(فشل الثورة العربية، نقل البندقية من كتف إلى كتف)**، قدم أجوبةً مرنةً غير متصلبةً، فأغلبُ الأجوبة التي قدمها كتابي على إنها وجهة نظرٍ، بمعنى إنني لم أستبعدُ، أو أستتكرُ وجهات النظر الأخرى، والتي لم تتفق معي، واحترامًا للعقول الأخرى لم أحرصُ على أن يكون ما يقولُ، أو قاله غيري شبه متطابقٍ معي، وأخيرًا تبين بعد نتائج الثورات إن كثيرًا ما كتب عنها دعم الفهم الذي طرحته في كتابي: **فشل الثورة العربية، نقل البندقية من كتف إلى كتف**، الصادر عام (1432هـ - 2011م)، دون أن أخبركم عن أيّ تفصيلٍ آخر.



إن سياقات التسوية مع العقل العربي دخلت مرحلة المنافسة متخطيةً بذلك الصراع مع غيره من العقول، التسوية تكون ليست من باب المفاضلة بينهما وفق معيارٍ أخلاقيّ، أو معيارٍ اجراميّ، فمثل هذه المفاضلة ليست قائمةً على الأرض، فأقول إن العقل العربيّ مازال عاجزًا عن تمثيل الفهم الحضاريّ لمسؤولياته التاريخية من خلال طروحات وتصريحات متناقضة وهشة، وقد غضضنا النظر قليلًا عمّا يقوله الكثير من مفكري ومنتقفي الدول الغربية عن عقلنا العربيّ، وما يحاولون الإحياء به، سنجدُ ببساطة هشاشة كبيرة في

بنية وموقف الطرف الغربي المعارض، وسندرك كأمة عربية وبمرارة وألم وندم، إنّه مضى هذه المدة الطويلة من الصراع الشرس والمتوع، بكل آلياته ووسائله ومستوياته وأطرافه، وبعد جولات شاقة، إنّ العقل العربي لم يستطع الوصول إلى لحظة من لحظات.. (الاستحقاق التاريخي)..، والتي يحتاج فيها وبكل قوة إلى موقف ثابت يمكنه أن يحفظ وزنه وقيّمته، أو أن يكون شريكاً كفوءاً في عمليات النهضة الدولية، أمام هذا المشهد الدولي الضعيف والجرح للذات العربية، التي كانت طامحة إلى رؤية عربية أفضل بكثير مما هي عليه.



إنّ العقل العربي أخرجنا من جلودنا، حين كنا نقول له: إنّ نقدك هو الحل المناسب، وهو رغبتنا التي نريدها، إن هذفنا هو تفرّدنا على ضعف بنية العقل العربي وعدم امتلاكه بنية سياسية وفكرية وثقافية ومعرفية وقيمية، بنية تعيد النظر في كل مشكلاتنا وأزماتنا وتحدياتنا وهمومنا، واليوم وبعد أن أحاطت بنا التحديات الصعبة أصبحنا الآن أدنى بكثير مما كنا نحدّد، ونحدّد منه.



إنّ التغيير في العقل العربي ليس مجرد تغييرات تقليدية، بل الطموحات تتطلب تغييراً في.. (الولاءات)..، وتسمية الأشياء بأسمائها، وتسمية الصراعات ضدنا، لقد خسر العقل العربي كثيراً، ولكن قد يكون من أهم ما خسرهُ الآن هو افتقاده.. (الولاءات)..، وعجزها، لايماري إلا الغلاة في حين أنّ العقل

العربيّ يستحقُّ ويحتاجُ إلى كثيرٍ من أعمالٍ وعملياتٍ..[النقد]..، وأعمالِ المراجعةِ والفحصِ والتحليلِ، بلُ اعتقدَ أنّ الغلاةَ وحدهمَ من لا يرونَ ضرورةَ ممارسةَ هذا النقدِ المطلوبِ، بلُ لا يهتمونَ بذلكَ والحاجنا في طلبِ النقدِ. وبالفعلِ الواقعيّ تعرضَ العقلُ العربيّ لأنواعٍ لاحصرَ لها منَ النقدِ، تداخلَ في تلكَ العملياتِ العامِ والخاصِ، والجيدِ والرؤى، وبرزَ الرأيُ الحرّ، كما برزَ الرأيُ الغرضِ، وأيضاً انكشفَ فيه الظاهرُ الأيديولوجي، والباطنُ العصبيُّ للعقلِ القديمِ، وهذه الصيغُ وغيرها منَ عملياتِ النقدِ وجدتْ بدورها الثقايفِ والفكريّ منَ ينتقدُها وبشدةٍ، وبنفسِ المعاييرِ السابقةِ التي أشرتْ إليها عبرَ الظاهرِ والباطنِ، فسجلَ النقادُ ما رأوه في ذلكَ النقدِ منَ ملاحظاتٍ وهناتٍ ونواقصٍ وقصورٍ وتجاوزاتٍ وتعديياتٍ، وبصفةٍ عامةٍ ولطبائعِ الأمورِ وحقائقها حملَ ذلكَ النقدُ ما حمّله أيّ نقدٍ منَ التفاوتِ والخلطِ والمزجِ الفكريّ بيداً أنّ البعضَ استهانَ بلغةِ نقدِ العقلِ العربيّ، والتي لمَ تجدُ الانتشارَ الواسعَ، وكنتُ أتوقّعُ كغيري أنّ نقدَ العقلِ العربيّ سوفَ يظهرُ بقوةٍ وحسبَ مختلفِ البيئاتِ العربيةِ، لكي تتعشَّ الحركةُ النقديةُ والفكريةُ، لتتاولَ نقدَ هزيمةٍ وفشلٍ وانكسارِ الثوراتِ العربيةِ، وما تعرضتُ له منَ طعناتٍ متتاليةٍ منَ أبنائها وأعدائها ممنَ غيرُوا أهدافها، وتغيرَ اتجاهاتها منَ..[ثوراتٍ شعبيةٍ مجنونةٍ]..، إلى..[ثوراتٍ دينيةٍ]..، خاصةً فتبينَ للجميعِ أنّ الثوراتِ العربيةِ ليستُ مجردَ فعلٍ سياسيٍّ حتّى لوُ افتتحتْ بفعلٍ كهذا أمّامَ العالمِ.



اليوم، مطلوبٌ أن يظهرَ أمامَ العقلِ العربيِّ مَنْ يقولُ له كَيْفَ يتمُّ ((نقده))..، في ظلِّ أيِّ مِنَ الظروفِ الراهنةِ والمنعطفاتِ، دونَ أن يتجَهَ ذلكَ النقدَ المطلوبَ لتغليبِ جهةٍ، أو كفةٍ على كفةٍ، أو ولاءٍ على ولاءٍ، حتَّى لا يتحكَّم.. (المزاجُ) ..، على عمليةِ النقدِ، على أن يرافقَ ذلكَ النقدُ طرحَ الأسئلةِ الضخمةِ وليستَ الأسئلةَ الضيقةَ، وعدمُ فرضِ التعميمِ في الحكمِ النهائيِّ، وعدمُ استخدامِ البداياتِ، حتَّى لا يكونَ.. (النقدُ)..، للعقلِ العربيِّ وكأنَّه.. (وعظديني أو أخلاقي)..



إنَّ قيمةَ النقدِ للعقلِ العربيِّ كامنةٌ أولاً وأساساً في دلالةِ العقلِ نفسه. حتَّى لا تصدرُ الأحكامُ من خارجِ التجربةِ العربيةِ، فتظهرُ **علاماتُ الاستبدادِ**، لم يجاري العقلُ العربيُّ بعضَ التمايزاتِ العربيةِ التي ارتبطتْ مباشرةً بالتحويلاتِ التي طرأتْ على الشعوبِ العربيةِ، بعدَ احتلالِ الاستعمارِ الأوروبيِّ للقارةِ الآسيويةِ والإفريقيةِ، للدفاعِ عَنِ الإبداعِ العربيِّ التي خصَّ وتناولَ.. (الخصوصيةُ الثقافيةُ العربيةُ)..، مَعَ أشكالِ المقاومةِ ضدَّ المستعمرِ الأجنبيِّ.



هناك، أشياءٌ تتداعى في العقلِ العربيِّ، أوجدتْ نماذجاً عقليةً رائعةً وابداعيةً، عملتْ بقوةٍ ونفوذٍ، والعقلُ العربيُّ لم يتشككْ، أو يتساءلْ، أو

يتفاعل كطبائع العقول الناضجة، لم يستطع هذا العقل معرفة الفرق، أو الفروق بين وعي الناس، وانتقالهم إلى صدارة التعبير عن مختلف الشواغل الاجتماعية والفكرية والثقافية والدينية، وهموم الوجدان العربي الفردي والعام، وعدم ممارسة نقد العقل العربي أبان أزمت الأمة شكل تراكماً كميّاً ونوعياً مضغوطاً ومهماً على مستوى أساليب، وطرائق التفكير، ونوع الرؤى المطروحة، ونوعية المحتوى والمنظورات، وهو تراكم اتسم بالجمود والثبات وعدم الخوض الجاد في إيجاد المعالجات، وعلى عدد من المستويات التي لم ينتبه إليها النقد، ونجم عن هذا، من بين نتائج أخرى، منها تكريس مفاهيم دينية اتسمت بالوعظ، وأبرزت تيارات دينية بعينها، وهي صنيعه التيارات الإسلامية السياسية، وظهرت مقاربات نقدية باتت وصية على باقي التيارات الفكرية والسياسية، فالنقد لها بدا يتضاءل، إن لم ينعدم خوفاً من تلك التيارات الدينية؛ التي شكلت جماعات الضغط للسيطرة على المشهد العربي العام؛ بل إن هذه الجماعات تسببت في إقصاء وإلغاء نصوص إبداعية كثيرة، لأن التيارات الدينية لم تستطع استيعاب فكر ورأي الآخر، لأن تلك النصوص اخترقت العقل العربي الديني، الذي لم يستطع أن يستقيم داخله، لأنه يفكر وفق مقاساته العقلية الضيقة والمتوحشة والغنيمة والمتطرفة.



لأن التيارات الدينية السياسية تمنع.. (تمرد العقل).. على القلب التقليدي الذي يرتكز على.. (الحفظ).. و.. (التلقين).. و.. (الولاء الأعمى).. فقط، وهذه

أكبر مصيبة عقلية أصيبت بها الأمة العربية، فإنَّ نقدَ هذا العقلِ سيكشفُ ويوسعُ نظرنا ووعينا بالحياة والذاتِ في آنٍ واحدٍ، فإنَّ لمْ نَفعلْ سوفَ تزيدُ مصائبنا تنوعاً، وتزيدُ الحبكاتُ وتتضخمُ العضلاتُ، وتشكلتُ النمطياتُ، بينَ أنماطِ عيشٍ ومعتقدٍ. فيكتبُ عَن واقِعنا بنسقٍ ينسجمُ مَعَ بيئاتِ صنعَتها تلكَ التياراتِ الدينية المتشددة.



لقد أصبح حالُ العقلِ العربيِّ كأنه.. (ألواحٌ مِنَ الملح)..، تذييه أيُّ قطرة ماءٍ، فتخافُ تلكَ الألواحِ الملحية مِنْ أيِّ العقباتِ والأزماتِ، فلمْ يعدْ هذا العقلُ ذو الكراماتِ والفراساتِ، مستعدٌ لمواجهةِ مستقبله، لكنَّه يومياً يتعرضُ لنكباتٍ وهزاتٍ وتحرشاتٍ مِنْ عقولٍ أخرى، تعملُ لتكونَ قوَّة باطشةً تقسمُ وتفرقُ وتشرُّ الفرعَ والموتَ وتلحقُ الخرابَ بالأمةِ وشعوبها، فخاضتْ مغامراتِ حروبٍ وصدماتٍ لا ترحمُ.



وقعَ العقلُ العربيِّ بينَ كماشتينِ، أوَّلها نخبٌ فكريةٌ وثقافةٌ متكبرةٌ ومتعاليةٌ ومتغطرسةٌ، استطاعتُ أَنْ تستغلَّ أسوءَ استغلالٍ.. **(العاطفةِ العربيةِ)**..، حتَّى تحكمتُ بها فعلاً، ثمَّ استحكمتُ بعقولِ الشعوبِ العربيةِ. وهي النخبُ الفكريةُ والثقافيةُ، التي تعشقُ التنظيرَ لدرجةِ الفرقِ في أحواله، كما إنَّها تعشقُ جنونَ العظمةِ، وبسببِ ذلكَ وغيره اتجهوا للإساءةِ للآخرِ، **وهذه النخبُ الفكريةُ والثقافيةُ جمعتُ بامتلاكها لكثيرٍ مِنْ أدواتِ الطغيانِ والإستبدادِ**، كما أنَّ

تلك النخب افتقدت إلى بعض الأخلاق المطلوبة شعبياً مثل التواضع، والحوار، واللياقات المختلفة، وبعض أنواع الدبلوماسية، أمّا الكماشة الأخرى، وهي الأكثر أهمية، هي سيطرة بعض تيارات الإسلام السياسي وجماعاتها، والتي مارست الضغط على الشعوب، بل قادت شتى أنواع التمرد والعصيان، لتحقيق مصالحها ونزعاتها الضيقة ضاربة عرض الحائط مصالح الشعوب، وهذه (الكماشتين)، وربما غيرها من أخطاء كبيرة، قادت الأمور إلى..[الفشل]...، بكل المعايير والمقاييس، فخرج..(سوء الظن)..، بقصد، وبغير قصد، يتصدر قرارات واجراءات العقل العربي، وبذلت عقول عربية المساعي الحثيثة إلى تكييف الأمور بالشكل الذي يحقق رؤياهم، من دون اعتبار للعواقب المترتبة، والتي لا يقيمون لها وزناً بكل تأكيد.

وهذا مأزق كبير وقع فيه العقل العربي.



لاشكّ عندي أبداً في أنّ المزاج العربي العام يقف في خندق واحد، ومؤمن أشد الإيمان بأنّ العقل العربي لم يقم، ولم يؤدي واجباته ومهامه تجاه أزمات ومشكلات الأمة، ومتأكد تماماً أنّ مستقبل العقل العربي يسير في خط واحد، هو عدم الإنصات والاستماع لرأي عقلاء وحكماء وعلماء وفقهاء ومفكري ومثقفي الأمة، وإنه ستظهر له كثير من المنغصات والعواقب التي تبطئ من مسيرته. كي لا يدفع الأحصنة التي تجر عربات النهضة والتطور.



للأسف، بل المؤسف حقاً، إنَّ العقل العربيَّ سريعُ التأثرِ ببعضِ افرازاتِ وصيحاتِ وشعاراتِ الرأي العامِ، فالشعبُ العربيُّ سريعُ التأثرِ، سريعُ الغضبِ، تحركُ عواطفه بسهولةٍ ويسرٍ، فلو كاتبٌ أو مفكرٌ ما قال في إحدى وسائلِ الإعلامِ باختلافِ تخصصاتها، أو حتّى كتب.. (تفريدهً).. مكوّنةً من (140) حرفاً، وكان ذلك ضدَّ دولةٍ عربيّةٍ، أو شخصيّةٍ، فإنّها تقلبُ الرأي العامَ في تلكِ الدولِ، وقد تتخذُ قياداتُ تلكِ الدولِ قراراتٍ واجراءاتٍ ضدَّ بعضها البعضِ، لأنَّ الحكوماتِ وأنظمةَ تلكِ الدولِ تخضعُ لضغوطاتِ الشارعِ، فتضرُّ علاقاتِ تلكِ الدولِ، وقد تشعلُ الحرائقَ بينَ الحكوماتِ والشعوبِ، وكم هو مؤسفٌ حقاً أن.. (تفريدهً) .. مكوّنةً من (140) حرفاً، تريكُ وتهزُّ وتقلقُ ونزعجُ دولةً.



لكنَّ الشياطينَ لا تكمنُ إلا في.. (لكن)..، هذا الحالُ لا نجدُه ممارسٌ بينَ الدولِ الغربيّةِ الحضاريّةِ، فيكتبُ من يكتبُ، وليغردَ من يغردُ، ولينتقدَ من ينتقدُه، فكلُّ ذلكِ من موجباتِ وواجباتِ حريةِ التعبيرِ، والتي تدعو حسبَ قوانينِ الغربِ الحضاريِّ بعدمِ جوازِ مصادرةِ الرأيِ.

فالعقلُ العربيُّ السلطويُّ والشعبيُّ معاً لا يحترمُ، ولا يقدرُ، حريةَ التعبيرِ، ولا حريةَ الفكرِ، ولا يحمي الرأيَ الآخرِ.

ويغفلُ، بل يتغافلُ، ويتغابى، العقلُ العربيّ ومنذُ العصورِ الجاهليةِ، وحتى يومنا هذا، ولمْ يؤمنْ، ولمْ يقتنعْ، ولمْ يستوعبْ، ولمْ يفهمْ، ولمْ، ولمْ، ولمْ، إنَّ.. (حرية التعبير)..، و.. (حرية الرأي)..، و.. (حرية الفكر)..، هي.. (الجدار القوي)..، الذي يمكنُ أن يستندَ إليه للحماية في كلِّ مجالاتِ الحياة، وهذه حقيقةٌ ماثلةٌ لا يمكنُ لأحدٍ تجاهلها. والدليلُ أمامنا، وهو كلُّ تجاربِ الدولِ الغربيةِ.

لمْ يَقمِ العقلُ العربيّ بعملياتِ عقلانيةٍ متسمةً بالحكمةِ والرزانةِ بأنْ يعملَ على استيعابِ وقبولِ ثقافةِ شعوبه العربيةِ، فكلُّ دولةٍ عربيةٍ لها ثقافتها المركزيةُ، ينبغي على أية دولةٍ عربيةٍ ألا تقفزَ، ولا تعرى، ولا تنتهك، ثقافةَ دولةٍ عربيةٍ أخرى، والقفزُ فوقَ حقائبها لفعلِ المزايدةِ، التي تصنعُ قواميسَ رديئةً من التعليقاتِ السلبيةِ والقبيحةِ، التي تتالُ من شعوبِ الدولِ، فهذا السلوكُ عيبٌ، وعيبٌ، بل معيبٌ في إنتاجِ العقلِ العربيِّ، فلا يجوزُ، ولا يصحُّ، وليسَ من حقِّ العقلِ العربيِّ، أن يتبارى ضدَّ بعضه البعضَ لخلقِ وصناعاتِ السفهاتِ، والقباحاتِ، والشتائمِ والسبِّ، وفعلِ التكبرِ، والغطرسةِ، والتباهيِ بين الشعوبِ العربيةِ.



كَمَا إنَّ العقلَ العربيَّ فشلَ فشلاً ذريعاً في خلقِ وصناعةِ مواجهةٍ فكريةٍ حقيقيةٍ وجادةٍ للفكرِ التكفيريِّ والمتطرفِ والمتشددِ، فهذه المواجهةُ سيكونُ لها دورٌ كبيرٌ ومؤثرٌ وفاعلٌ في هزيمةِ ودحرِ وكشفِ هذا النوعِ من الأفكارِ، التي

برزت على المشهد العربي، فكان على العقل العربي كشف الشبهات المثارة من تيارات هذا الفكر التكفيري، وبيان بطلانها من الجانب العقلي والنقلي والتاريخي والواقعي، وفي ذات الوقت تعرية وفضح تلك الجماعات، التي استحلت الحرمات، واستباحت الأرواح، وشوهوا صورة العقيدة الإسلامية كتاباً وسنةً، وفهموا الدين عكس مراد الله، جلت قدرته.



لابد للعقل العربي أن يعمل بقوة وفاعلية مؤثرة على حماية العقول العربية من الانزلاق في هوة الفكر التكفيري والمتطرف والمتشدد، والذي عمل على نشر..(التوحش)..، كسلوك وعمل وإجراء وتفكير في المشهد العربي العام. فالمواجهة تحتاج إلى حراك في كل الاتجاهات الجغرافية، والأزمنة، والقيام بحملات نوعية، وإرشاد فكرية وثقافية وتويرية، تستهدف المصابين بهذا الفكر وغيرهم. وإقامة مجاميع كبيرة من الحوارات الحضارية، حتى يتمكن العقل العربي من تجليه الصورة الحقيقية للعقيدة الإسلامية كتاباً وسنةً، مع استخدام آليات عصرية في ترجمة مبادئ وقيم وأهداف وسياسات العقيدة الإسلامية، من جانب السلوكيات والمعاملات والتعايش السلمي مع الدول الغربية، وعدم الإعتداء على الشعوب الغربية، وعدم فرض..(التوحش)..، عليهم. وهذه مسئولية من مسؤوليات الأمة العربية، بترسيخ القيم والمبادئ والأخلاق بين كافة شعوب الأرض.

مازالنا ، جميعاً نسالُ عقلنا العربي عن ماذا حقق لنا من شعاراته عن الحرية

والعدالة الاجتماعية، وحفظ الكرامة الإنسانية؟.

إنه سؤالٌ مأساويٌّ ينطوي على قدرٍ كبيرٍ من إحباطِ الأحلام، وسيطرة

اليأس الذي ينتهي بالموت!.

سؤالٌ ينطوي على إدانةِ الواقعِ العربيِّ الذي نعيشه، في ظلِّ غيابِ حرية

التعبيرِ؟!، لقد ألقى العقلُ العربيُّ بنفسه، وبارادته، وبعناده، وتصلبه في

عواصفٍ مهلكةٍ قد لا ينجو منها مستقبلاً، بسببِ عدمِ قدرته على تكوينِ

الأجوبةِ الرشيدةِ على سؤالنا هذا!.



فهل يموتُ العقلُ العربيُّ، عبرَ الذاكرة؟!، كما، إنه هل يتواجه هذا

العقلُ لمنازعةِ الأمةِ العربيةِ، وجماهيرها في هويتهم الدينية والفكرية

والاجتماعية والثقافية، لإلغاء.. [الخصوصية].



العقلُ العربيُّ في حاجةٍ مستمرةٍ للتلاقحِ الحضاريِّ معَ معطياتِ .. (المؤسسةِ

العلميةِ والفكريةِ الغربيةِ)..، وفي كلِّ ما يفيدُ الأمةَ العربيةَ ويخدمُ مصالحها.

من خلالِ التأثيرِ الحضاريِّ وإنجازاتِ النهضةِ الغربيةِ، والانغماسِ الفنيِّ

والفكريِّ والثقافيِّ، وإن أدى بانبهارِ الشعبِ العربيِّ بذلكِ الإنجازِ الحضاريِّ.

معَ أخذِ الاحتياطاتِ الفكريةِ المناسبةِ لعدمِ التأثيرِ على الحمولةِ الدينيةِ للإنسانِ

العربيِّ وأصالتها وموقعها في النفوسِ، لأنَّ تلكَ الاستفادةِ منَ المؤسسةِ الغربيةِ

يدفعُ بنا إلى انفتاحِ ثقافيِّ وفكريِّ واجتماعيِّ وتقنيِّ وعلميِّ، كلُّها لتحقيقِ

العربي للعدالة الاجتماعية، التي تخلق .. (مؤسسة الحقوق) ..، وتقدم كافة الأدوات الحقوقية، التي يستفيد منها العربي، كما إنها تدفع بقوة .. **التطوير الاضطراري** ..، ليكون حقيقة على الأرض، أكثر من أن يكون فكرة هلامية، هكذا تكون النظرة العادلة للأمر، من دون المبالغة المهولة، وتلغي الفكرة الذهنية العربية، التي تعتقد أن .. (حضارة الغرب) .. هي .. (ببيع) ..، يخاف منه ويخشى، فيفترض على العربي حالياً أن يميز بين ما هو صحيح، وما هو غير صحيح، حتى لا يكون ساذجاً يتأثر بكل شيء أمامه.

أريد أن يصل العقل العربي إلى أن يتنفس من خلال رنته لأمن خلال فهمه!.



والمؤسف أن خطبَ ودرّوسَ كثيرٍ من العلماء والفقهاء والدعاة والشيوخ تصبُ معظمها، أو غالبيتها في سقوطٍ وانهيارِ الغرب، لقد وصلت لي العديد من المقاطع والكتابات التي تحملُ خبراً عن صدور كتاب في الولايات المتحدة الأمريكية يشيرُ عن سقوطِ الغرب، أودُ في هذا التوضيح أن هذا الأمر ليس بجديدٍ عليّ، فلقد صدرَ كتابُ المفكرِ الأمريكيِّ الكبيرِ (باتريك جيه بوكاتن)، وعنوانه هو: (موتُ الغرب).

المؤسف إننا نتعجبُ وننفجُ وربما نفرحُ ونعملُ ضجيجاً حولَ مثل هذا الفكرِ أو الانتاجِ الثقافي، فلو قرأنا القرآنَ المجيدَ لوجدنا إن من المعجزاتِ العظيمةِ بالقرآنِ التبشيرَ الواضحِ بسقوطِ وانهيارِ الدولِ العظمى أو الكبرى. وهذا من سننِ الله الكونيةِ وطبائعِ البشرية، فالدولةُ مثل الإنسانِ تلدُ فترعرعُ

وتدخلُ مرحلةَ المراهقةِ ثمَّ الشبابِ ثمَّ الشيوخةِ ثمَّ الكهولةِ وهكذا، فالدولةُ مثلَ الإنسانِ ترتبكُ وتخافُ وترتعشُ، وإليكم الدليلُ مِنَ القرآنِ المجيدِ بقوله جلتُ عظمتهُ: (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ). سورة يونس، آية، (٢٤).

وأنا شخصياً أتمنى من ربي أن لا تموتَ الدولُ الغربيةُ، لأننا نستفيدُ من حضارتهم الآن، ونأخذُ كلَّ ما تنتجهُ المؤسسةُ العلميةُ الغربيةُ، أقلها هذا الجوالُ الذي استخدمه وأكتبُ فيه ما أشاء، وكيفَ أشاء، ومثيَ أشياء! وأعرفُ من خلاله يمكنُ لي أن أعرفَ كلَّ، أو معظمَ أخبارِ الأرضِ، بل الكونِ، فلا تفرحُوا بسقوطِ الدولِ الغربيةِ فأنتمُ تعيشونَ على حضارتهم وانتاجهم العقليِّ والعلميِّ، فإنَّ سقوطهم ليسَ في صالحنا فلنُ تجدوا بعدها سياراتٍ تنقلكمُ من مدنٍ لأخرى، والدولُ الغربيةُ هي ميزانٌ لتوازنِ القوى في العالمِ، ولولا دولُ الغربِ لتصدرَ القتلُ والاقتيالُ بيننا، لا تفرحُوا لأمرٍ لا تدركونَ خطورةَ التشمتِ فيه، حكموا العقلَ قبلَ العاطفةِ، واللهُ خلقَ كلَّ شيءٍ بميزانٍ، فلا تستعجلوا الأقدارَ ومقدراتها، واللهُ الهادي لسواءِ السبيلِ.



يجبُ أن لا يفوتنا أنَّ **(الصبر)**، هو أهمُّ قواعدٍ ومراتكزاتٍ **(الثبات)**، لذلكَ قالَ اللهُ جلتُ عظمتهُ **(وبشرِ الصابرين)**، فالبشارةُ للصابرينَ، فاللهُ بينَ لنا في نصوصِ القرآنِ المجيدِ أنَّ الثباتَ الذي تحلَى وتمسكُ بهِ الأنبياءُ والرسلُ

مثل: سيدنا إبراهيم عليه السلام ثبت في موقعه بين السنة النار بسبب صبره الشديد والقوى، فقال تعالى: (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) سورة الانبياء، (69). وكذلك حال سيدنا محمد ﷺ حين ثبت على أذى وضرر، و مطارادت وملاحقات كفار ومشركي قريش حين صبر وتحمل الأذى والسجن والضرب والتعذيب والحصار وغيرها من أذى ونفاق المنافقين ونجاسة وخبث يهود المدينة، وهذا حال سيدنا يعقوب، وسيدنا يوسف، وسيدنا أيوب، وسيدنا موسى عليهم السلام، إذ يتضح أن الثبات عاموده الأساس هو (الصبر). فعليكم بالصبر والاحتساب والثبات، إنه مخرجنا الوحيد لكل أزماتنا ومشكلاتنا وتحدياتنا.



تبرز أهمية العقل العربي بوصفه ركيزة محورية لترسيخ دعائم النهضة، خصوصاً لجهة أبعاده في عمليات التنمية، مركبة هي العلاقة ما بين تحقيق النهضة والتنمية، وبين تحقيق الحريات العامة، والتعددية السياسية، أما حينما ينصب اهتمام العقل على تحقيق الأمن بالأوطان، فإن الأمر يتمحور حول كيفية تحقيق الأمن العربي وضمان حقوق الشعوب العربية وينصرف اهتمام العقل العربي الأكبر بالأمن ويتغافل عن حماية حقوق الحريات العامة في أداء وظيفتها الأساسية، فيغيب توازن العقل، وهذا يستوجب بالتوازي تطوير التشريعات والقوانين والأنظمة المنظمة والمحقة للتوازن بين جميع مكوناته. تغيب وإقصاء تحقيق التوازن بين مختلف وظائف الدولة، تظهر الانتهاكات

والخروقات والتجاوزات.



إنَّ وصفَ العقلِ العربيِّ .. (المتوحش) .. للإسلام إلا عبرت تأثير البيئة ومكونات القراءة، التي فهمها عبر التشدد والتطرف، وهو ينصب اليوم على الواقع العالمي المتغير، وليس للإسلام النصي والثابت الرشيد.



وإن كان .. (وعي) .. فقهاءً ومنظري تيارات الإسلام السياسي، وكافة جماعاتها واختلافات أيديولوجياتها قد سبقها لهذا.. (الوعي) .. وبهذه الاختلافات الأيديولوجية، داخل العقلية الواحدة، إنه ظهرت هذه الاختلافات في تاريخ الإسلام مبكراً ويكفي مثلاً على ذلك ما وقع وصدر من .. (الخوارج) ..



فالعقل العربي، وبسبب عدم تناوله بالنقد، لم يصعد من الدراسات العربية الفكرية والثقافية للإسلام السياسي وتتميطاته المختلفة، وذلك تميزاً وتويعاً ووعياً بالاختلافات العقلية والفكرية والثقافية والمعرفية والدينية، والتي أنتجت لنا نماذج متعددة ومختلفة كلياً في قواعدها وأهدافها وأيديولوجياتها.

لم يبين لنا، العقل العربي، الاختلافات الكبيرة بين الإسلام الشامي، والإسلام العراقي، والإسلام الحجازي، والإسلام المصري والإسلام السعودي وغيرهم.

والتي يمكن لها أن تكشف وتوضح لنا كأمة عربية، ولغيرنا، من الأمم عن أنماط التدين، أو السلوك البشري الديني، لتلك الأقاليم العربية، والتي حكمت الأمة الإسلامية منذ بعثة سيدنا محمد ﷺ. لأن في اختلاف البيئات، تتضح اختلافات التمثلات باختلاف الفهم الفردي، وفهم الجماعات، وهي التي شكلت ثقافتهم، ولا بد أن نجيد قراءة السمات والأفكار والأطر المتشابهة والفاصلة والمتناقضة والمتقاربة بين مختلف إسلام الأقاليم، وهذا يدفعنا بالضرورة أن نحث العقل العربي لمعرفة نوع ومستوى وشكر التأثير والتقارب والاختلاف بين مختلف حركات تيارات الإسلام السياسي، وتحديد منها المتطرف والمتشدد والمتوحش، وفهم أنماط التعايش داخلهم.



لم يعمل العقل العربي على تفكيك أعمدة تلك الأقاليم وإسلامها لمعرفة تركيبات قيم وتقاليد كل إقليم على حدة، لنعرف ما يعلو منها ويتصدر المكانة الأولى في الفكر والتنفيذ والفضل.



كان على العقل العربي العمل على تعميق دراساته الفكرية والثقافية لمعرفة لماذا تغيرت أسس وشروط ومبادئ.. [الجهاد الإسلامي]... ليصبح من مبدأ نشر به الإسلام الصحيح عبر موافقة أولي الأمر، ليصبح.. [جهاد توحش]...، يخاط بدون موافقة أولي الأمر.

فلماذا تغيرت الثقافات والنظم وهدمت مبادئ الإسلام الصحيحة؟



إِنَّ هَذَا الْفَهْمَ السِّيَاقِيَّ يَفْسِرُ لَنَا، لِمَاذَا غَابَتْ تَجْرِبَةُ الْإِسْلَامِ الْحَضَارِيَّةِ؟
هناك كثيرٌ منَ الكتاباتِ، أو الدراساتِ التي تناولتْ أشكالَ .. (الجهادِ
المستحدثِ) ..، في عصورٍ مختلفةٍ، وعبرِ الحروبِ التي خاضتها الأمةُ العربيَّةُ
وتحتَ مسمياتٍ عدَّةٍ، لكنَّ تلكَ الكتاباتِ لمْ تخضعْ إلى التفكيكِ والنقدِ،
إلاَّ إنَّه على رِغمِ غزارةِ هذهِ الكتاباتِ، فإنَّ قراءتها من قبل البعضِ وقفَ عندَ
حدودِ القشورِ، وتلكَ القراءاتُ لا تزالُ وستظلُّ عاجزةً عن التعمقِ لهذهِ الأنواعِ
من .. (الجهادِ المستحدثِ) ..، وما قادَ إليه من نتائجٍ وانعكاساتٍ على ثوابتِ وقيمِ
ومبادئِ الأمةِ وركائزها القويَّةِ، وعدمِ التعمقِ في القراءةِ والدراسةِ، وعدمِ فعلِ
مثلِ هذهِ الخطواتِ، تصلُّ الأمورُ إلى إشاعةِ حالةٍ من .. (التشويشِ) ..، في ذهنيةِ
الأمةِ، وإحداثِ ما لا يحمدُ عقباهُ، بحيثُ يبدأ الرأي العامُّ في التشكُّلِ بعيداً
عن الثوابتِ والمسلماتِ والمبادئِ.

والمفارقةُ، أنَّ النظرةَ السريعةَ إلى مفهومِ .. (الجهادِ المستحدثِ) ..، وتطبيقاته
على الأرضِ، تدلُّنا حتماً على الاختلافِ الجوهرِيِّ في ما يفهمُه منظروُ وعلماءُ
وفقهاءُ جماعاتِ هذا النوعِ من الجهادِ، فدخلتْ الأمةُ في حالةٍ تدريجيةٍ من
التشويشِ والتشتتِ وانعدامِ التركيزِ، ذلك .. (التشويشِ) ..، جعلَ مشكلَ العقلِ
العربيِّ في أن تتجهَ جماهيرُ الشعبِ إلى .. (الشارعِ) ..، لحلِّ مشكلاته وأزماته.
فأصبحتْ الأمةُ العربيَّةُ تريدُ أن تَضَعَ حلولها لمشاكلها عبرَ التظاهراتِ،

والتجمعات الجماهيرية، وفي ظني أن حلول .. (الشارع) .. لا تضع ولا تحدد نقاطاً ومرتكزات الحلول المنطقية والعلمية، لأنها حلول مؤقتة، وهذا ما جعل الأمة تشكو من .. (فراغات) ..، الحلول الجذرية التي ينشدها الإنسان العربي.



لدى الأمة العربية قضايا كبرى وملفات ملحة خلقت موجات كبيرة من ردود الأفعال داخل الذهنية العربية، وبعضها دفعت لتكوين غضب وسخط واحتجاجات جماهيرية تنديداً بهذه التراكمات، والعقل العربي لا يتحرك، بل إنه لا يرصد الخطير منها والأخطر على المستقبل، ويهمل تماماً بأن الخطأ في كل أزمة هو التوقيت، وإن عدم فهمها يدفع بغضب الشارع.

مع الأسف هناك جهل عام وحقيقي بمعرفة العقل العربي لحدود تحمل الجماهير قدرة الضغط من بعض الأزمات والمشكلات، يرافق ذلك جهل بتاريخ وخلفيات وحقائق الأزمات والمشكلات.

بل إن الجهل الذي أتحدث عنه طال الطبقات العليا من بعض المفكرين والمتقنين، بالإضافة إلى ذلك يعاني العقل العربي من جهل سياسي مكشوف في حسن التعامل مع كثير من أزمات الأمة، وخاصة تلك الأزمات تتأثر بشكل مفاجيء، وغير متوقع، وهذا من أدلة أن هناك خلل ذهني للتعامل مع أزمات الأمة، وهذا الخلل الذهني أصبح الشعب العربي لا يثق في السلطة، والسلطة لم تضع في حساباتها خطورة ذلك على المشكلات وحلولها.

وهذا الخلل الذهني أنتج كثيراً من المهازل؛ التي ظهرت وتفشيت في

مختلف وسائل الإعلام، وبعضها يسعى لتدمير بنية العقل العربي بالاهتمام الملحوظ من قبل السلطة بما يصدر من المهارات الإعلامية، وهذا جعل الإعلام العربي، وعقوله مرآة مصدية، ولاشك أن السلطة عليها أن تسمع لذوي العقول والقامات المثقفة وأصحاب الأفكار، ومن تلك المهارات الاتجاه الملحوظ في عقل العربي ممارسة .. (التخوين) ..، فكان من الضروري التخلي عن السلبيات والعمل الجاد نحو نهضة المجتمع، حتى لا يستثمر تقاذف التهم بيننا.



كَمَا إِنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ، وَمِنذُ الْعُصُورِ السَّابِقَةِ اعْتَمَدَ فِي إِدَارَةِ الدَّوْلَةِ نَحْوَ اخْتِيَارِ وَتَعْيِينِ الْوُزَرَاءِ وَالْمَسْئُولِينَ الْأَكْثَرِ ثِقَةً وَلَيْسَ الْأَكْثَرِ كِفَاءَةً، وَتِلْكَ الْبَطَانَةُ، أَوْ الْحَاشِيَةُ، أَوْ الطَّبَقَةُ الْعَازِلَةُ، دَفَعَتْ بِأُمُورِ الدَّوْلَةِ نَحْوَ عَزْلِ الْمَحْكُومِ، فِي حِينِ إِنَّ مِنْ الْوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ سَوْأَلٌ وَإِجَابَةٌ بَيْنَ الْحَاكِمِ وَالْمَحْكُومِ، إِمَّا مَبَاشَرَةً أَوْ عِبْرَ مَوْسَسَاتِ الدَّوْلَةِ.

ويعاب، ويؤخذ على عقل السلطة العربية أنها لا تقدم ولا تعتمد على قدرات الشباب وطاقتهم، فالشباب العربي يتميز بفكر ووعي ديني وسياسي وثقافي واجتماعي وفكري، وللأسف إن اختيارات المسؤولين بالوطن العربي لا يتم في مواقع المسؤولية، وإن تم فعلاً يتم بضوابط صحيحة، في حين أن المنهج السياسي والإداري والتربوي الذي وضعه سيدنا محمد ﷺ تجسد باهتمامه البالغ بالشباب مثال ذلك تعيينه لسيدنا عتاب بن أسيد رضي الله عنه أميراً لمكة المكرمة، وأيضاً تعيينه لأسامة بن زيد قائداً لجيش المسلمين، وعندما توفى سيدنا محمد

ﷺ، أكد سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قيادة أسامة لجيش المسلمين.
أرى أن العقل العربي جعل هناك مبالغة في تناول فكرة المؤامرة التي تحاك ضده،
وعداً الأمة العربية، وهذا يدل على ضعفنا.

العقلُ العربيُّ

الماسةُ العظيمةُ المتألقةُ

إنَّ العقلَ العربيَّ، عربيٌّ قبلَ أنْ يكونَ إسلامياً، لقدْ سيطرتْ على العقلِ العربيِّ غايةٌ أساسيةٌ في اعتصامه .. (بعرويته) ..، والعقلُ العربيُّ ينقسمُ إلى مرحلتينِ الأوَّليَّ منها مرحلةُ الجاهليةِ، ثمَّ المرحلةُ الإسلاميةُ، وأعتقدُ - هَكَذَا أظنُّ - أنَّ العقلَ الإسلاميَّ يحملُ الكثيرَ مِنْ .. (جيناتِ) ..، و..(مواصفاتِ) ..، و .. (أخلاقِ) ..، العقلِ العربيِّ الجاهليِّ، مثلَ تمسكهُ: **بالعنصريةِ، والتكبرِ، والآفةِ، والانتقامِ، والثأرِ، والحقدِ، وعدمِ التسامحِ، وغيرها.**

والعقلُ العربيُّ الجاهليُّ لمْ يؤمنْ بمفهومِ الوحدةِ السكانيةِ، والتضامنِ، والتمائلِ بينَ مختلفِ العشائرِ والقبائلِ والشعوبِ، بعكسِ العقلِ العربيِّ الإسلاميِّ الذي تخلصَ مِنْ كثيرٍ مِنَ الأخلاقِ والصفاتِ السلبيةِ، **فالعقيدةُ الإسلاميةُ كتابٌ وسنةٌ دعتْ إلى نبذِ العنفِ، وعدمِ الكراهيةِ، وعدمِ الانتقامِ، وعدمِ الحقدِ، وعدمِ الحسدِ، وعدمِ الانتقامِ، وعدمِ الثأرِ، وعدمِ التكبرِ والغرورِ، والتسامحِ.** فنصوصُ القرآنِ المجيدِ وآياته حملتْ علاجاتٍ كثيرةً للنفسِ البشريةِ، وكذلك الأحاديثُ النبويةُ العظيمةُ جاءتْ بكلِّ العلاجاتِ النفسيةِ والعقليةِ لمثلِ تلكِ الأمراضِ البشريةِ.

عكستْ العلاقةُ بينَ العقلينِ العربيِّ والإسلاميِّ حالَ التوترِ الشديدِ والراسخِ بينَ الذهنيةِ الجاهليةِ والإسلاميةِ في جميعِ مراحلِ التاريخِ الإسلاميِّ بشأنِ

ترجمة تعاليم العقيدة الإسلامية ومبادئها كتاباً وسنةً، وللأسف إنَّ .. (الولاء)..، كان واضحاً ومكشوفاً للذهنية الجاهلية، وما يقع على الأرض اليوم من أحداثٍ مجنونةٍ من قبل تيارات الإسلام السياسي، من المهم، لي، وربّما، لغيري، أن يعرف العالمُ وشعوبُه، أن ما فعلتها وتفعله جماعاتُ تيارات الإسلام السياسي، ليس من تعاليم الإسلام، لأنَّ الجانبَ العقديّ المكون لفكر العقل العربيّ الإسلاميّ لجماعات تيارات الإسلام السياسيّ، ينتمي لخلفية واحدةٍ مختلفة التوجهات والألوان والقناعات والمبادئ والأفكار، لكن فترة المراهقة لديهم لم تكن واحدةً، وأعني بها .. (المراهقة العقلية)..، فأغلب طفولتهم المراهقة كانت في .. (ملجأ)..، و .. (خنادق)..، العنف والتشدد والتطرف والتوحش، حتّى وصلت قناعاتهم المختلفة إلى أن الناس .. (خرافاً ضائعةً).. يرغبون في هدايتهم للصواب، ويرفضون ويغضبون حين نكتب عن المسكوت عنه، فيما يعمل داخل تلك الخنادق، وإن كانت أعمالهم وأقوالهم في تلك الخنادق يغيب عنها القانون والأخلاق والحب، إنهم يعانون من إفلاس أخلاقيّ.



لا، أستطيع فهم ما يحدث للعقل العربيّ الإسلاميّ داخل تلك الخنادق وكيف استطاع هذا العقل العربيّ أن يوفر .. (خدمة القتل)..، الفرديّ والجماعيّ لتكون أشمل وعلى مستوى العالم، في ظل الظروف الأمنية المتشدد والشديدة والأصعب؟ .

لدرجة أن تهديدات هذا العقل العربي الإسلامي المختلفة من الصعب الحكم عليها إذا ما كانت جدية أم، لا.

فيتجه هذا العقل العربي الإسلامي الإجرامي لاختبار حدود خطاباته العقلية بأن يدلي بتصريحات كاذبة، ويرفض تصحيحها، وتجده يهاجم الديانات الأخرى والأقليات العرقية في كل دول العالم، مما يزيد من حدة التوترات ويشعل الغضب، وبشكل يصيب بالرعب ويتوقع وبشكل متعجرف حدوث حالة من الكوارث، لكن ذلك العقل العربي الإسلامي عندما يتعرض للنقد والفضح، فإنه يتبنى موقفاً وكأنه مصارع لكل دول العالم، وقد يهرب من المشهد العام العالمي بعد تلقيه أول .. (لكمة) .. من الخصم هذه طبيعة العقل العربي الإسلامي الإجرامي.

ونسى هذا العقل الإجرامي أن أخلاق ومبادئ الحرية الواضحة، وهي أن الحق في حرية التعبير لا تشمل قول الكلام السيء، في حق الآخر، وإن التسامح مع الأفكار التي يراها الكثيرون بغيضة، واجب عقدي، وإن النقاش حول القضايا والمواقف فرضة تصبح حرية التعبير أداة تنوير، وغير مسيئة وغير مشوهة، ويجب أن تصان، ولكن هذه التيارات التكفيرية والجهادية تعاني من الاضمحلال السياسي، وما يتبعه من غضب عام، فلذلك أثبتت هذه الجماعات التكفيرية والجهادية العربية والإسلامية أن عقلها هو أحد أدوات تحطيم ..[الحرية]..، التي كفلها الإسلام للجميع، وتجاهلت هذه الجماعات أن

الحكمة والحاجة تحكّم حاليًا وواقعيًا بضروراتِ صيانةِ حريةِ التعبيرِ، لا التعدي والتجاوزِ عليها، وتهشيمِ أركانها وتدميرِ جدرانها، وأنّ ما يقومون به ويفعلونه على الأرضِ هوُ إساءةٌ لسمعةِ العقلِ العربيّ الإسلاميّ.

ويظنون - مخطئون - أنّ ما يفعلونه ويقومون به يدخلُ تحتَ بندٍ من بنودِ

..[الشجاعة]..، لكنّهم نسوا أنّ الشجاعةَ وبكلِّ أنواعها جرمتُ وتجرمُ

الإدعاءاتُ الكاذبةُ عنِ .. (الخلقِ الفاضلِ)..، إنّ قضيةَ الحريةِ وأخلاقها

ومبادئها ومثلها وتعاليمها تخطتْ حدودَ النقاشِ في عقلِ هذهِ الجماعاتِ

المتطرفةِ والشرسةِ، بل إنّها عملتْ على .. (إجهاضِ)..، كلّ الأعمدةِ القويةِ التي

يقومُ عليها .. (الخلقِ الإسلاميّ الفاضلِ)..، وإنّه يتمتّعُ بالحمايةِ من الشعوبِ كلّها.



إنّ عقلهم الإجراميّ أفسدَ، وأعاقَ مسارَ، .. (الخلقِ الفاضلِ)..، الذي

صنعه العقلُ الإسلاميّ، بل إنّ لديهم قناعاتٍ بأنّ إنفاقَ المالِ لتدميرِ وقتلِ الآخرِ

واجبٌ دينيٌّ يحبُّ تطبيقه وتفيذه، وهذا تفكيرٌ إجراميٌّ لا صلةَ له بالفكرِ

العقديّ، وهذا التفكيرُ فاقَ القلقَ العامَ الذي خلفه ذلكَ العقلُ الإجراميّ، وإنّه

أثارَ الشقاكاتِ من خلالِ الأعمالِ الإجراميةِ الحاقدةِ التي يقومون بها، ونشرِ

صورِ تلكَ الحوادثِ الكريهةِ في كلّ وسائلِ الإعلامِ وأدواتِ ووسائلِ التواصلِ

الإجتماعيِّ، والتي تناقضتْ كليًا معَ قيمِ وأخلاقِ ومبادئِ العقلِ الإسلاميّ، إنّ

هناكَ خطورةٌ شديدةٌ من نفوذِ وسيطرةِ وانتشارِ فكرِ ومبادئِ هذا العقلِ

العربيّ الإسلاميّ المتطرفِ والمتشددِ والمكروهِ، فالمرحلةُ تقضيُ بضرورةِ إزالةِ

كافة العوائق، لمعالجة نظرياتهم بأفكارهم ومنطقهم بشيء من الحكمة والرشد، فسوف يتسبب ذلك في تحويل مجاري عقولهم وأفكارهم، ويكون برؤى مختلفة وحسب البيئات وتكون بشكلٍ ساخن، لأنه في وقتٍ ومرحلة الأزمات لا نجدُ أمامنا سوى التآزر والتضامن، حتى تأخذُ العلاقة بين .. (العقل الرشيد) ..، و .. (العقل الإجرامي) ..، خطأً بيانياً صاعداً نحو اتجاهاتٍ خير وسعادة ورفاهية الشعوب، وليس من العيب، أو العار أن تأخذ الرؤى التباين والاختلاف عند مناقشة مصالح الأمة العليا، على شرط أن لا يتصدر .. [الشك] ..، تلك المناقشات، بل إن .. [الثقة] ..، هي التي تحدد الفارق بين من يريد أن يعيش بأمانة العقل، ومن يفضل أن يكتب تاريخ العنف والتشدد والتوحش.



وأدرك، كغيري، أن النظام العربي كله مهددٌ بعاصفةٍ تغير كل شيء، وحتى الذين يبشرون بذلك لا يعرفون إلى أن ستقودهم الأمور، مثلما أثبتت تطورات الأزمات القائمة حالياً، ويعلم الجميع أن هناك خراباً حدث ويحتاج إلى سنواتٍ وسنواتٍ طويلةٍ لإصلاحه، بسبب أفكار العقل العربي الإسلامي وآرائه المتشددة تجاه أزمات الأمة.

مفهوم أن تكون هناك تحفظات عقلية وفكرية من بعض الأطراف، لكن كل هذا يمكن أن تكون له طمئنة .. (مؤقتة) ..، وغير .. (مستقرة) ..، عقلياً في ضوء الفوائد التي ستحقق بعض الهدوء والاستقرار، ولكن هذا حل من الحلول يطرحه .. (العقل الإجرامي) ..، عند رغبته في إعادة ترتيب أوراقه

وتنظيم صفوفه وتوحيد قراراته ، هذا أمرٌ بالغ الأهمية من الدروس التي تقتضي الحاجة إلى فهمه واستيعابه.



لحق بالعقل العربي المسلم ضغوطٌ واضطراباتٌ وارتباكاتٌ، يوم أن قرعت أجراسُ .. (الإرهاب) ..، كان ذلك إيذاناً بفضح العقل العربي المسلم وكشف عوراته، وإن ظلت الشعوب العربية تتوهم دائماً أنهم عنصرٌ خيرٌ مختلفٌ، متصورين أن الإسلام رداءٌ يرتدونه حين يريدون ويخلعونهُ حين يشاءون، وهو ما يعني أن .. (العقل العربي المسلم) ..، مازال غير مستقرٍ في أعماق بعض الشعوب العربية، وليس ذلك غريباً، فهو أمرٌ معتادٌ داخل كثيرٍ من الذهنيات العربية، المهمُّ هو أن العقل العربي المسلم قام بالبحث عن مظلةٍ ليغطي بها .. (أعماله الإرهابية) ..، اعتماداً على عددٍ من المقومات والعوامل يقع في مقدمتها .. [العامل الديني] ..، قبل سواه.

ويجب هنا تأكيدُ أن .. (العامل الديني) ..، كان دائماً يركزُ على .. [الهوية الدينية] ..، قبل أيِّ انتماءٍ إلى أن ظهرت .. (نزعة التوحش) ، والتي أظهرت طموحات تلك النزعة التوحشية هي .. [عربية] ..، قبل أن تكون إسلاميةً.



صحيحٌ أن العقل العربي ابتلي بالصبر والابتلاء والتمحيص مما جعله يتجه نحو الاستسلام لشرِ القدر، ولكنه يظل في حاجةٍ إلى مَنْ يصرخ فيه ليعلم إن

هَذَا لَيْسَ قَدْرًا مَحْتَمًا ، فَقد يُكونُ التفسيرُ بسببِ الهروبِ مِنْ عَدَمِ تحمَلِ
المسؤوليةِ فِي لحظةِ فارقةٍ ، يجبُ أَنْ لا يهربَ العقلُ العربيُّ مِنْ مسؤولياته ،
ويبتعدُ عَنْ مساوماتِ السياسةِ وتنازلاتِها ، وبخاصةٍ عِنْدَمَا يرتبطُ الأمرُ
بالمسؤوليةِ الوطنيةِ ، إِنَّ ثقافةَ الهروبِ مِنَ المسؤولياتِ ربَّما تدفعُ نَحْوَ معادلاتِ
صفريّةٍ ، خرجنا عَنْ أخلاقِ طاعةِ أولي الأمرِ ، ففسدتْ أخلاقنا وقيمنا ،
تقتضي الإضاءةُ عَلَى دورِ العقلِ العربيِّ فِي الإغناءِ المعرفيِّ انطلاقةً مِنْ مخزونهِ
التراثيِّ ، لا بدُّ مِنَ الإشارةِ إِلَى أَنَّ هناكَ ثقافاتٍ متعددةٍ صنعها العقلُ العربيُّ مِنْ
حيثُ حضوره التاريخيِّ ، وأعتقدُ جازماً وحسبِ إطلاعاتي الكبيرةِ عَلَى كثيرٍ
مِنْ أدبياتِ وثقافاتِ العقلِ العربيِّ ، وجدتُ إِنَّه يمكنُ للعقلِ العربيِّ أَنْ يكونَ
لَهُ الدورُ الفاعلُ والحضورُ المميزُ فِي المجتمعِ الدوليِّ والعربيِّ ، لإحداثِ تغييرٍ
نوعيٍّ ومنهجيٍّ يواكبُ معطياتِ وإفرازاتِ عصرِ التحولاتِ الكبرى.

إِنَّ للعقلِ العربيِّ خصوصيتهَ القويةَ ، والتي تمكنُ لها أَنْ تعملَ عَلَى إيقافِ
هَذَا التوحشِ والعنفِ الذي فتكَ بالأمةِ ومقدراتِها ، إِنَّ شبابنا سيكونوا فِي
خطرٍ واضحٍ لو تركتُ الأمورُ هكذا ، يجبُ أَنْ تعدُّ العدةَ وتصرفُ الإمكانياتُ
لإيقافِ هَذَا الخللِ فِي عقولِ الشبابِ الذينَ نسفوا ودمروا مستقبلهم ، وعكروا
حياتهم ومستقبلِ الأمة.



إِنَّ الأمةَ اليومَ فِي حاجةٍ ماسةٍ لنقدِ العقلِ العربيِّ الشابِّ؛ لإعادةِ تنظيمِ
تركيباته العقليةِ وتنظيفه مِنْ هذهِ الشوائبِ الخطرةِ عَلَى الجميعِ ، إِنَّ مَا

يلاحظ من ظهورٍ ومن تعميم انتشارٍ .. (فكر العنف والتوحش) ..، في كل المناطق التي دخلها العرب، والتأثير الذي أحدثه .. (العنف والتوحش) ..، في كافة مجالات الحياة، مما أدى إلى إيقاف الإنتاج الحضاري وتعطيل أدواته، وعدم الاستطاعة لتخطي العوائق للمضي قدماً نحو بناء مستقبل حضاري.

ثم السؤال الذي يجب أن نطرحه، ما هو دور وموقع العقل العربي في عالم يسوده انتشار ثقافات لها خصوصياتها ومميزاتها الحضارية، ومن تلك الخصوصية رفض .. (العنف والتوحش).

فهل يستطيع العقل العربي المشاركة في الحياة السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية العالمية؟ ويفعل فيها ومعها فعل الامتزاج في كل نواحي الحياة ومختلف العلوم والمعارف.

هنا تبرز أهمية العقل العربي في صناعة .. (الثقافة التنويرية) ..، في مفهوماتها العصرية، وما تحدثه من نقلات نوعية بالمجتمع، وغني عن القول إن العقل العربي في حاجة للتطوير والتجديد والتحديث للنهوض به في عالم يقدم التنوير قبل كل شيء، بغية تنوير الأمة وترشيدها بما يكفل لها الارتقاء والرقى في سلم الحضارة، كما إنه ليس معقولاً ولا مقبولاً أن يركن العقل العربي في مكانه، بل عليه أن يركض خلف حركات التقدم العالمية، لفعل النهوض بالأمة.

□

أما وقد راحت، أوتكاد نداءات الرقي بالعقل العربي تدخل مرحلة

الاستحالة، أو صعوبة التحقق، فلا مناص من أن ندعو إلى عدم معادات العقول الأخرى الغربية المتطورة بحجج، أو أعدار واهنة، ووصفهم بالكفر والزندقة، وإن تطورهم يتصادم مع مبادئ وقيم وثوابت الأمة العربية وعقيدتها الإسلامية، فهذه الأعدار وغيرها لم تعد مقبولة لا عقل، ولا منطق، فيجب عدم تغليف حياتنا في مثل هذه القنطرة المرعبة، وهذه القنطرة تطبق على عقلنا العربي، بل تكاد أن تخنقه، أو أن تخنق أي صوت يدعو إلى ذلك. فاتجهنا إلى عمليات الرفض، وفعلنا الاختلاف من أجل فعل الاختلاف فقط. وهذا التشنج العربي ألقى وأقصى معظم المنصات السلمية الممكنة لفعل التحاور والنقاش.

إن.. [ماكينه]... .. (الرفض)..، وما توجي به عملت على تجريف حياتنا بكلّ علاماتها وعلاقاتها ومسئولياتها، تريد جماعات الضغط المسيطرة على العقل العربي من الإنسان العربي أن يعتاد على قول.. (نعم)..، وسمعا وطاعة، وبلا شروط ولا أخلاق، وهذا نوع متقدم من عمليات.. (القمع)..، الفكري والثقافي المنظم، وهذا القمع يؤلم الضحية كثيرا، وربما في مراحل، أو حالات يتجه للإجهاد عليها، وتفاديا لعدم وقوع أي نوع من.. (الارتطامات)..، المدمرة بين العقل وجماعات الضغط المسيطرة على الميديا، يتعين ترشيده العقل العربي على حسن التعامل، والرفق واللين مع آليات وأدوات قوة القامع والمتحكم في المشهد العام، طالما أن القامع يعتقد جازما أنه فوق النقد، وفوق

المناقشة، وفوق الطاولة، وفوق المسألة، وفوق اللبس، وفوق الاقتراب منه.



العقل في جزءٍ من وظائفه الفكرية والثقافية، هي محاولة تنظيم القوة، وترشيدها والتحكم بها وفيها، وفي كافة آلياتها وأدواتها، لأن سيادة العقل في التحكم بمثل هذه المسائل المهمة، يساعد على إقامة العدل، وتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع.

وقد - بل من حقي - أن لا ألوم العقل العربي في كل شيء، طالما أن التوترات والاضطرابات والعنف والارتباكات تحيطه من كل الجهات والمناحي، لكن من حقنا أن نضغط عليه ونطالبه بضرورة مسك الأمور وزمامها والسيطرة عليها.

أخشى، ما أخشاه، على العقل العربي أن يستمر في غيه، وجهله، وغبائه، وغفلته، أن يستمر في إنتاج وصناعة القيم الأخلاقية التي تبور فعل العنف التوحش.
فمتى؟، وأين؟، وكيف؟، ولن؟، سوف يتكلم العقل العربي ليتحدث عن السلام والسلام والاستقرار والأمن؟

ألم يستدل بعد العقل العربي على مراكز ضعفه ومواقع هشاشته ليعرف حالة.. (الجمود)..، التي أصابته في مقتل، بل جعلته لا يفكر في تطوير ذاته وأساليب التفكير، أو طريقة المعالجات للمشكلات والمصائب والأزمات، لدرجة أن كل إنتاجه المختلف تحول إلى روتين معتاد ومكرر.



العقل العربي دائم الشكوى، كثير التضجر، كثير السخط، غضوب، غضب، بغيض، يعشق نفسه، ويخون بكثرة، يحب المشاجرة، كسلول، ملول، لجوج، لا يعترف بخطأه، لا يحب الاستنطاق، يحب التعامل مع السحر والسحرة والتعويدات، يحب مخالفة الواقعية الاجتماعية للأيدولوجية، لا يحب إلا سماع صوته فقط، ويخاف من الأصوات الأخرى، مشغول بالعنف، صانع للتوحش.



وها نحن اليوم نقف أمام منعطفات خطيرة وجديدة على العقل العربي، بل وأخطر، لابد من التصدي لها بعقل وحكمة، وأعتقد جازماً أن كل إنسان عربي يدرك أبعاد هذه الحقائق ويخاف من نتائجها، أو يكون قد مر بتجربة ما في هذه المجالات، ولهذا كله، وغيره لابد من وضع ضوابط عملية وعلمية وواقعية لدرء الأخطار من دون المساس، أو الاقتراب من الحريات العامة، فلقد بلغت عمليات الانحراف أوجها. فانتشرت الفتن وراجت الشائعات؛ التي تحض على الكراهية والعنصرية والطائفية والمذهبية، فانتشرت الشائعات التي تدمر المجتمع، وتمادت الناس في جرائم السب والشتم والقذح والذم والقذف، بلا رادع أخلاقي ولا رقيب قانوني، ولا حسيب، وظهرت صرخات تدق ناقوس الخطر، تنادي بإجراءات لدرء الأخطار.



غيب العقل العربي تشريع الضرورة لإقرار مشاريع قوانين تنظم الحياة العامة للأمة، لضبط أخلاق المجتمع وحمايته من الانكسار، لماذا فعل هذا

التغيب، الذي غيب معه الاستقرار والعدل والعدالة الاجتماعية.
لم يقبل العقل العربي حقيقة أن ما يحصل حولنا ومننا وفينا نابغ من
داخلنا ومن خارجنا، وكل ذلك يؤكد نتيجة لم نستطع النطق بها وهي..
(الموت السريري)...، للعقل العربي في هذه المرحلة بالذات، وهذا واقع عاشته
وتعيشه الأمة، فالمعايير والأمر والأفكار والحلول كلها اختلفت، مما جعل
العقل العربي يتجه للتمسك بقوانين الطوارئ والإرهاب كحل مؤقتة لمشكلات الأمة.
ومعظم تلك القوانين صيغت ووضعت ضد الإنسان العربي بهدف التغلب على
الفريق الآخر انطلاقاً من الفكرة الأساسية، وهي إقرار الأمن، إذا ارتفع
الحاجز الذي وضع لاحترام آدمية الإنسان العربي. ولم يستطع العقل العربي
الخروج برؤية واحدة، أو متقاربة، أو محصورة، لكي يستطيع الإنسان العربي
التفاضل بينهما، ليبنى على الشيء مقتضاه.

أؤكد أن وقوفي هذا الموقف الفكري من العقل العربي ليس لرغبة شهوة ما، بل
رغبة لطموح الإنسان العربي، كما هو ليس تراجعاً عن مواقف سابقة أو لاحقة، بل هي
قناعاتي، أضعها أمامكم احتراماً لكم ولعقولكم، وحرصاً عليكم وعلى وعيكم الفكري.
أنا باقٍ عند قناعاتي. لأن من كان يطالب بشيء لأجل غاية معينة فلا بد له من تضحية
أصبح الآن هناك شيء مختلف، فكم اليوم الأمة العربية في حاجة حقيقية لعقلها، الآن
أمامنا وقت على الأقل، وهذا الكلام الذي أقوله الآن في حد ذاته ليس تضييع وقت
وجهد ومال، لأن هذا الأمر يحتاج إلى إرادة صلبة لمعالجة.. (نقد العقل العربي).



فالمرحلة، والحاجة، والموقف، والضرورة، تدفع بقوة إلى الإسراع لنقد العقل العربي، وبكل ما نملك من شفافية وجرأة وفهمنا الناضج لمصلحة الأمة.

فمن يحدد الضرورة التي أشرت إليها؟

وهل هناك من ضرورة أكبر من نقد العقل العربي!؟

إن تجيير العقل لغير هذه المهمة هو هرطقة فكرية!



إن النخب الفكرية والثقافية بإمكانها من خلال الحوار والتلاقي أن تجد حلاً لأزمة الفراغ العقلي والفكري والثقافي، للعقل العربي، وهي أزمة مستفحلة، أضعفت الإرادة العربية المستقلة، وبكل مكوناتها الاجتماعية والعرقية والدينية، فأظهرت، وتفشيت وانتشرت الاحتقانات والصراعات والاضطرابات وزادت الانتكاسات، وتنامت الخلافات من توتر وعجز أظهر النتائج الهزيلة والمقلقة في آن واحد، إنه خضوت عزم إرادة .. **(التفاهم)**..، العربي، فتفاقم .. **[الشقاء]**..، بيننا، وتوسلت النزاعات الطائفية والمذهبية، وغاب نهائياً .. **(التوظيف الاستباقي)**..، لكل مرتكزات العقل العربي وإمكاناته، مما أضعف نفوذه، وبدد تعزيز سيطرته على الأمة وشؤونها، مما خلق بؤر توتر؛ أنتجت مجاميع من التفاعلات المؤثرة على البؤر الأخرى، فطفت الاندفاعات، وانكشفت الرهانات لإفشال أية مشروعات للحلول والمعالجات. فلم تحظى برضا أي أحد، أو قبول من بعض، فاستعر .. **(العنف)**..، و

.. (التوحش)..، وصراع النفوذ أخذ أشكالا أشد عنفاً، فاسحاً المجالات والفرص أمام مزيدٍ من تصعيد الصراع الأهلي.

لعلّ العضلة الكبرى في أزمة عدم.. (نقد العقل العربي)..، إنّها تتصل مباشرة بضمور فعالية قوى العقل العربي الداخلية، وعجزها عن صياغة ووضع حلول واقعية ومنطقية تتوافق مع مصالح الأمة، هذا الضعف الملحوظ والمكشوف، أضعفنا داخلياً، وجعل من الخارج قوة، مما جعل ارتهان قوى الداخل إلى ما تراه القوى المسيطرة من الخارج.

وهذا العنف، والتوحش، الذي يعاني منه العالم كله، وتعاني الأمة العربية اليوم نابع أن العقل العربي، ولعدم ترشيده وضبطه ومراقبته، نما داخل نفسه فشكلاً ما يسمى بالخلايا النائمة، التي ضربت استقرارنا وأمننا. واندفع إلى.. (انتهاك الانضباط)..، و.. (الحرمات)..، وكل ذلك تحت عباءة الدين، والدين لم يأمر بذلك.



هل الدين الإسلامي العظيم يأمر بأن يحرق مسلماً يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويحرق وهو مكبل ومقيد بالسلاسل والأغلال وداخل قفص حديدي، وهذا ما وقع للطيار الأردني الذي حرقتة داعش.

أليس هذا إضراراً، واختفاءً وتوارٍ لقيمنا وأخلاقنا الإسلامية العظيمة؟

هذه التوجهات الوحشية والمتوحشة أضافت مفاسد، تعاضمت إلى رذائل فاضحة، تلمح إلى مغامرات عقلية حاقدة على كل شيء.

ليس هذا هو الإسلام!

سيدنا محمد ﷺ علم صحابتنا الأجلاء العظماء، أن الرفق واللين هي أخلاق الإسلام، مثال ذلك أثناء تنفيذ حدِّ الزنا في ماعز بن مالك الأسلمي، وعندما هرب، أعاده بعض الصحابة الأجلاء الفضلاء إلى موقع إقامة الحد. فعندما علم سيدنا محمد ﷺ، قال: **(فها تاركتموه)**: ما أعظم هذا الدين العظيم.

حيث تقولُ القصةُ: ((حيثُ وردَّ في سننِ ابنِ ماجه عن أبي هُريرة، قال: جاءَ ماعزُ بنُ مالكٍ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنِّي قد زنيْتُ، فأعرضَ عنه رسولُ الله ﷺ حتَّى أقرَّ أربعَ مرَّاتٍ، فأمرَ به أن يُرجمَ، فلما أصابتهُ الحجارةُ أدبرَ يشتمُّ، فلقيهُ رجلٌ بيدهِ لحيٌ جملٍ، فضربهُ فصرعهُ، فدكرَ للنبيِّ ﷺ فراره حينَ مسَّتهُ الحجارةُ، قال: "فها تاركتموه" .. لعلَّ في هذهِ القصةِ عبرةٌ لمن يريدُ أنْ يعتبرَ.



لم يدرك العقل العربي أن العلم لا ينهض إلا بالتحدي المتواصل لمقاومة وقهر.. (الجهل)..، وأيضا.. (عمى البصيرة)..، فلقد انتشرت ظاهرة.. (الانتحار)..، في بعض الناس من أمتنا العربية، وهذا.. (الانتحار)..، الذي ربما يعبر رمزيا عن وقائع كثيرة في العقل، ألا تبعث تلك الطمأنينة على الخوف. فلم أفهم حتى هذه اللحظة، لماذا أتجه بعض الشباب العربي من الإقدام على

.. (الانتحار) ..، عندما ماتت الفنانة العربية أم كلثوم، أو موت الفنان عبد الحليم حافظ، وذلك من فوق الكباري والبيوت في مصر!

إنه ضعف (الوازع الديني) في العقل العربي!

ليست المشكلة أن يكون هناك تخلف عقلي!! لكن المشكلة الأكثر تعقيداً هي غياب التفكير النقدي لدراسة مثل ظاهرة .. (الانتحار) ..، من قبل علماء وفقهاء الأئمة الفضلاء والحكماء والعقلاء، لترشيد العقل العربي في هذا الجانب المهم من حياة الأمة، وبخاصة شبابها.



من الضروري على العقل العربي أن يصدر قرارات حاسمة، ودراسات معمقة، حتى لا يصاب الرأي العام بإحباط كبير في كل أزمة تقع باحترام الظروف الموضوعية كما تراها الأمة العربية، وضرورة الابتعاد عن دغدغة الآمال غير الواقعية لدى الرأي العام.

لا، أنا شخصياً، أرفض الاعتذار، عن عدم دراسة أية ظاهرة تبرز على السطح، فالاعتذار يثير المزيد من الأسف، فالمرء يجد في هذا التفسير مقدار محموداً من الجدية والواقعية اللتين تطبعان نهج العقل السوي.



حقيقة أقول: في البدايات ترددت كثيراً في تناول هذه القضية المهمة والكتابة عنها، والتي فيها تشعب واسع ومتعدد الاتجاهات، بل فيها تداخلات معقدة مع أفكار بعض التيارات، وأيضاً تداخلت مع مفكرين ومثقفين قد لا تنال إعجابهم، أو يجدون

صعوبةً بالغةً في هضمٍ فكريٍّ فيها، وربما تدفعُ بخسائرٍ كبيرةٍ معَ مصالحٍ وغاياتٍ أخرى كثيرةٍ، وربما أيضاً ستؤدي حتماً إلى.. (التصادم) ..، و.. (الرفض) ..، معَ توجهاتٍ ورغباتٍ أكثرَ من تيارٍ وشخصٍ، من أصحابِ المنافعِ والغاياتِ الضيقةِ، وأيضاً الحركيينِ منهم، لأنَّ هذا النوعَ من الكتابةِ والتناولِ تكشفُ، وربما تعري أشياءَ وأمورَ وقضاياَ من المستورِ والمخفيِّ في ظلِّ هذه الظروفِ التي تعيشها هذه المرحلةُ الحرجةُ والصعبةُ في تاريخِ أمتنا، لأنَّ عادةً هذه القضايا الكبرى تخلقُ صراعاتٍ فكريةً، ومعاركَ ثقافيةً، لها مدلولاتها وأهدافها وخباياها، فمرحباً بتلك الصراعاتِ، وأهلاً بتلك المعاركِ، ما دام أنها تخلقُ فوائدَ تعودُ بالنفعِ للأمةِ، وبخاصةً ما يرتبطُ بعقلها. قد تكونُ تلكَ الصراعاتِ والمعاركِ لها سواترُ، وتسترُ، وأوجهٌ مستترةٌ، ومطامعٌ منخيفةٌ تنكشفُ من خلالها، وهذا أمرٌ جيدٌ، بل هو ضروريٌّ للغايةِ، وبخاصةً إنَّها تحددُ مستوى وأنواعَ واتجاهاتِ .. (الوعي) ..، المملوكِ لها، وهذا يساعدُ على فهمِ التناقضاتِ والتضارباتِ والتبايناتِ الفكريةِ والثقافيةِ، وخصوصاً الجانبِ العقديِّ.



وما يشغلني في هذه القضية الكبرى .. (الوعي المحلي) ..، ومعرفةُ مستوى المشاركةِ والتفاعلِ من النخبِ الفكريةِ والثقافيةِ، فيرصدُ مستوى التحيزِ في التناولِ والكتابةِ، ويظهرُ قدراتِ الخبراتِ المعرفيةِ التي توضحُها الصراعاتُ والمنافعُ والتطوراتُ المختلفةُ في حراكِ المشهدِ العامِ. ولا أزعَمُ من خلالِ هذه الدراسةِ إنني أحطتُ بما لم يحطُ به الآخرونَ، أو

إنني أوجدتُ أشياء كثيرةً، ولكنها تظلُّ محاولةً جادةً تسهمُ بإضافاتٍ جديدةٍ.
وربَّما تسهمُ في رفعِ مستوى سقْفِ.. (الوعي الذاتي)..، عندَ كثيرٍ وكثيرٍ،
وهذه مهمةٌ شاقَّةٌ على بعضِ المفكرينَ والمتقنينَ.



وربَّما تكونُ أفكارِي وتوجهاتي، أو بعضها يحملُ صفةً.. (الاستفزاز)..
وأيضاً.. (الإثارة)..، ولكنَّ الهدفَ الأساسيَّ هوَ تحريكُ المشهدِ العامِ لفهمِ
واقِعنا، كما هوَ، وكما ينبغي أن يكونَ، وأهدفُ للدعوةِ إلى التفكيرِ عبرَ
ركائزِ وقواعدِ وشروطِ.. (التحدي المنهجي)..، مهماً كانتِ حساسيَّاته، فذاك
التحدي يعملُ على خلقِ قدراتِ الإقناعِ والاقْتناعِ، ببعضِ المفاهيمِ والأفكارِ
والتوجهاتِ وغاياتِها المتعددةِ، لِحصرِ ومعرفةِ التحولاتِ التي يعيشُها المجتمعُ
وبكلِّ تحدياتِهِ ومنغصاته التي يتحكَّمُ فيها بعضُ الأطرِ الزمنيةِ والمكانيةِ،
والتي عادةً ما يفرضُها بقوةٍ وإصرارٍ.. (الجانب العقدي).



وشعرتُ كغيري منَ المتقنينَ والمفكرينَ أنَّ ثمةَ توجهٍ جادٍ وحقيقيٍّ
لمواجهةِ بعضِ التحدياتِ والهمومِ والأوجاعِ التي يعيشُها المجتمعُ، بهدفِ مواجهةِ
موجاتِ.. (التعصب)..، القوى والجامحِ الذي عصفَ، وما زالَ يعصفُ بالمجتمعِ
العربيِّ، نتيجةَ التنوعاتِ الفكريةِ والثقافيةِ المختلفةِ، النابعةِ منَ البنياتِ
الفكريةِ والقناعاتِ العقديةِ والثقافيةِ والمختلفةِ منَ مجتمعِ عربيٍّ لآخرٍ، أرى
أنَّ تفعيلها يزدادُ يوماً بعدَ آخرٍ.



فَهَذَا .. (الصراعُ العقليُّ العربيُّ) .. المنتشرٌ حاليًّا على كلِّ أجزاءِ خارطةِ الوطنِ العربيِّ لمْ يأتِ مِنْ فراغٍ، بلْ منتجٌ مِنْ مصادرٍ ومنابعٍ فكريةٍ وثقافيةٍ عربيةٍ الهوياتِ المجتمعيةِ، والضغوطاتِ الدينيةُ والتدنيَّةُ التي خلقتُ .. (التوحشُ) ..، في العقلِ العربيِّ، وبخاصةِ ضغوطاتِ الفكرِ السياسيِّ، الذي يخدمُ كلَّ نظرياتٍ وأفكارٍ وتوجهاتٍ .. (شهوةُ الحكمِ) ..، وإشباعها عبرَ الجلوسِ على مقعدِ السلطانِ، كما كتبتُ هَذَا في كتابي: السُّتْرُ في الإسلامِ وغُلُوِّ المحتسبِ، الصادرِ عامَ 1416 هـ - 1995م، وذلكُ بالصفحةِ (26) منه، حيثُ قلتُ: ((لأنَّ بعضهم في مثلِ هذهِ المؤسساتِ حريصونَ على إخفاءٍ وتغيبِ هذهِ النصوصِ التي تحدُّ مِنْ دورهم ولا تحققُ هدفهم الأسمى وهوَ ..[الحكمُ]..، لا البحثَ عَنِ الخَيْرِ والفضيلةِ، إنَّه السُّعْيُ وراءَ الجلوسِ على ..[[مقعدِ السلطانِ]])) .. وفي موضعٍ آخرٍ في الكتابِ نفسه قلتُ وبالصفحةِ (26): (إنَّها الدعاويُّ البراقةُ التي يهدفُ منها الوصولُ إلى ..[مقعدِ السلطانِ]..، إنَّها الطريقةُ التي تبرزُ الوسيلةُ بالغايةِ، إنَّه المبدأُ ..[الميكانيكيُّ] .. نعيشُ اليومَ حالاتٍ غريبةٍ مِنْ مناخاتِ العقلِ العربيِّ لمْ نفهمها، ولمْ يفهمها كبارُ المفكرينَ الاستراتيجيينَ في الوطنِ العربيِّ والعالمِ الغربيِّ والذي ساهمَ في تكوينها.



وأعتقدُ - هكذا أظنُّ - أنَّ ذلكَ يعودُ إلى فشلنا في كثيرٍ مِنَ الأمورِ، فشلنا في تجديدِ

خطابنا العقديّ أو الدينيّ، فشلنا في رسم معالم خطابنا التدينيّ، فشلنا في النهوض بثقافتنا العربية والإسلامية، فشلنا في تحديد قدراتنا في التحكم بالميدان الاجتماعيّ والنفسيّ والاقتصاديّ وغيرها من أنواع الميديا.

وهذا الفشل دفع بظهور معايير تدينية غريبة على العقل العربيّ والإسلاميّ، وبخاصة التنامي والنمو السريع في.. (فكر التوحش)..، وانتشاره السريع والملاحظ في مختلف طبقات المجتمع العربيّ، فلم نستطع تحديد الصواب والخطأ، لترسيم مواطن الخلل والفساد، لتحديد العلل والأمراض، مع إهمال ملحوظ بل شديد الملاحظة وهو الاتجاه السريع نحو الإقبال القويّ.. (لثقافة الاستهلاكية الغربية)..، والتي تناولتها في بعض مؤلفاتي مثل كتابي: ثقافة النفط، الصادر عام 1419 هـ، ومحاضرتي وعنوانها: خارطة الرفاه والرفاهية والتدليل في المملكة العربية السعودية، قراءة واقعية، أقيمتها في الملتقى الثقافي الثاني الذي نظمها نادي مكة الثقافي الأدبي في الفترة من 17 - 19/4/1430 هـ، وذلك بـفندق الشهداء، الساعة الحادية عشر صباحاً، ونشرت بكتابي.. [عظام فوق اللحم].. الصادر عام 1434 هـ - 2013 م.

لقد نمت واتسعت خارطة الثقافة الدينية، والتي صنعت.. (خارطة تدينية)..، جديدة لم يشهدها العقل العربيّ المسلم من قبل، لم نستطع التحكم فيها، بل حتى السلطة العربية غفلت، أو تغافلت عن عمليات نموها وانتشارها وتوسعها بقصد، وربما بسوء نية، هذه الخارطة التدينية التي رسمت

وصنعت معالم وقواعد وأخلاق واتجاهات .. (مساحاتِ الشهد) ..، العربيّ العام.
رافق ذلك انهيارٌ شديدٌ للعمليات وملحوظٌ للعمليات الإصلاحية، وإجهاضِ
دعواتِ الإصلاحِ مِنْ قَبْلِ السُّلْطَةِ، لَمْ تَعِ وتَدْرِكِ السُّلْطَةُ العَرَبِيَّةُ المُسْلِمَةُ خَطُورَةَ
مقاومةِ وإجهاضِ والدفعِ لانهيارِ تلكِ العملياتِ والدعواتِ الإصلاحيةِ، والتي
انعكستُ تلقائياً عَلَى إتاحةِ فرصِ النُموِّ والسيطرةِ لخارطةِ التدينِ الجديدةِ،
فظهرَ التدميرُ والتكسيرُ والتتكيلُ والقتلُ والسحلُ والتشريدُ والاعتصابُ عَلَى
كُلِّ أَجْزَاءِ خارطةِ الوطنِ العربيّ.

وتمَّ مِنْ قَبْلِ واضعي ومنحططي ورسامي خارطةِ التدينيةِ عَلَى كُلِّ مفاصلِ الدولةِ
الإعلاميةِ والتعليميةِ والفكريةِ والثقافيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ، وكُلِّ أنواعِ
خطاباتها الرسميةِ والشعبيةِ، ممَّا أوجدَ .. (جماعاتِ الضغطِ) ..، في كُلِّ جانبٍ مِنْ
جوانبِ خارطةِ التدينيةِ.

هذه الاتجاهات جعلت مِنْ .. (المواطنِ العربيّ المسلمِ) .. له شخصيتان الأولى
ذاتية، والثانية رسمية حكومية.

وهذا أوجدَ التصادمَ والانقسامَ فِي الشخصيةِ العربيةِ، وهذا أمرٌ بالغُ
الخطورةِ عَلَى مستقبلنا.

هذا التداخلُ بينَ الشخصيتينِ أفقدَ المواطنُ فهمَه لحقوقه ومَا عَلَيْهِ مِنْ
واجباتٍ، تجاهَ نَفْسِهِ ووطنِهِ ومجتمعه وعدمِ الفهمِ، وعدمِ الممارسةِ، وعدمِ
المشاركةِ، وعدمِ الاهتمامِ بالحقوقِ والواجباتِ، أبرزَ أَمَامَ الإنسانِ العربيّ

كثيراً من التحديات والهموم والأوجاع، والتي أصبحت تنمو تدريجياً يوماً بعد آخر.



ولعلَّ أهم وأخطر التحديات التي واجهت الإنسان العربي هي .. سوء العلاقة بين التدين، والوطنية، والمواطنة، والتي تغافل عنها بقصدٍ وسوء نيةٍ، المخطئون والنافذون والذين يتحكمون في خارطة التدين، والذين أهملوا بعناية فائقة مسائل عدة منها: إهمال الحرية، والمساواة، والحقوق والواجبات والعدالة الاجتماعية.

إنَّ عدم نقد العقل العربي يعتبر في نظري .. (الخطيئة الكبرى) ..، التي وقعت فيها الأمة العربية، فمن المؤسف أن أكبر الخطايا التي ارتكبتها العقل العربي هو عدم قدرته على التخلص من ضغوطات .. (التفرقة العنصرية) ..، والتي لا تزال تشكل أجزاء مهمة في واقع الأمة العربية، مما خلق التوتر الدائم في المشهد العام.

فالتفرقة العرقية هي الظاهرة الأوسع نطاقاً في الوطن العربي، ولا يستطيع أحداً أن ينكر، أو ينفي هذا الواقع المؤلم الذي نعيشه، فالظاهرة مفضوحة للعلن بأكثر الأساليب والطرق، ولا أبالغ إننا نجدُها في بعض البلدان محفورة داخل أجساد الناس، وهذا ما يوحى على عدم القدرة على التغيير، فالاستعمال العنصري يعدُّ أحد مكونات العقل العربي، فهو لم يظهر في مسألة الانقسامات على بعض الأفكار بل حتى السلوكيات العامة، والتوجهات السياسية.



ولم الحظ، أو أقرأ، أو أطلع على دراسات استراتيجية تدفع بقرارات مصيرية للتصدي لهذه الظاهرة وتوتراتها الناتجة عبر ضغوطاتها، مما خلق أجواءً مسمومةً في الميدان العامة، فلا يمكن إعطاء تبريرات لهذا الخطأ العربي.



لا يخطأ فكر الإنسان العربي نشأة حركة، أو حركات عدم نقد العقل العربي وتطوره ومسار فاعلياته وأفكاره وتأثيراتها العميقة على مستقبل الأمة العربية، وبخاصة مسارات حركة النهضة والتتوير، لا يمكننا أن نتفهم خريطة أفكار نقد العقل العربي، من دون الوقوف على جملة من المفاهيم المفتاحية للعقل العربي وتأمل تفاعلاته المختلفة في أطواره وسياقاته المتعددة. بخاصة فيما يتعلق بمفاهيم الدين، التي هذبت العقل العربي، وأيضاً الأخلاق ومعرفة علاقته بسياسات الحرية، إذ إن نوع ومستويات الحريات تقدم عرضاً مفصلياً وثيراً، يحقق التوازن التي يراعي السياقات الفكرية والثقافية والتاريخية والسياسية، وهذا نقدٌ بمثابة الأعمدة بالنسبة للعقل وسيرورتها. كما تبرهن على جملة الوسائل والغايات التي استهدفها العقل وأشتغل من خلالها في النسق الإسلامي.



فمن بناء .. (العقل) .. إلى بناء بنية الحركة العقلية، وثم من العقل في فضائه الخاص، إلى العقل في الفضاء العام، وبعد ظهور الإسلام كدين

تشكلت عناصر جدلية الدين والعلم، فقال الله جلت قدرته: ((يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)). سورة المجادلة، آية: (11).

ثم تشكل .. (فقه الحوار) .. في العقل وهذا أكدته كثير من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))، النحل، (125)، وأيضاً: (فِيمَا رَحِمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)). آل عمران، (159)، أيضاً: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)). العنكبوت، (46)، وقال جلت قدرته: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))، البقرة، (258).

وقد ذكرت في كتابي: فن الحوار، الجزء، (3)، الصادر عام 1415هـ. 1995م، حيث قلت بالصفحة (200) التالي: (أما المحاوره فقد وردت مادتها في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، تفهم على إنها مراجعة الكلام وتداوله

بين طرفين .. كما وردت في مواطن كثيرة جداً ، إن لم تستعمل مادته نفسها ، وإنما تستعمل كلمة (قال) التي وردت في (527) مرة ، ولقد عنى القرآن الكريم عنايةً بالغةً بالحوارِ وقدم نماذج كثيرة في هذا الشأن ، منها ما دار بين الله عز وجل وملائكته في موضوع خلق آدم عليه السلام ، (البقرة 30 - 32) ، ومنها ما دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبراهيم عليه السلام عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحي الموتى؟ (البقرة 260) ، ومن ذلك قصة موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن يسمح له برؤيته ، سورة الأعراف: (143) وقصة صاحب الجنتين في سورة الكهف ، (الآية: 18) ، ومنها الحوار بين نوح عليه السلام . مع قومه ، سورة الأعراف (59) ، وقصة ابن آدم عليه السلام سورة المائدة ، (27) ، والأمثلة كثيرة جداً في الكتاب العزيز وكلها تدل على أهمية الحوار وخطورته.

ونجد في السيرة النبوية نماذج كثيرة متنوعة للحوار ترد في أشكال شتى أوضحت من خلالها الدروس البليغة ، التي يحسن الانتفاع بها وتدبرها والوقوف عندها ، وذلك في صدر حوار رسول الله ﷺ مع عتبة بن ربيعة ، حين جهر رسول الله بالدعوة واحترت قريش وارتبكت ، وفكرت ودبرت ، ثم أرسلت عتبة بن ربيعة إليه يحادثه ويفاوضه ويفريه ، وكذلك محاورته ﷺ مع سعد بن عبادَةَ والأنصار في أعقاب معركة حنين وتوزيع الغنائم.



ثم ظهرت .. (الرؤى السياسية) ... رافق ذلك كثير من عقلنة وعلمنة العقل

العربيّ السياسيّ، فرسمت مساراتٍ متعددةٍ في التاريخ والواقع وبكثيرٍ من الضجيج والفوضى ظهرت في نوع وشكل الصراعات والمعارك المختلفة.



ففي مراحلٍ محددةٍ لم يعمل، ولم يفعل العقل العربيّ الحوار والتسامح، فغاب النهوض والتقدم والعلم والحرية، وهذا غيب جوانب مهمة في تاريخ العقل والأمة منها إهمال الجانب الدينيّ الدعويّ، والجانب الدنيويّ السياسيّ، وأرى إنّ هذه الجوانب وغيرها تعدّ من أهم مصادر الأمل لخلق التوافق بين العقل العربيّ وغيره من العقول البشرية، فلم يدرك العقل العربيّ كثيراً من تحولات الحداثة، التي تنذرُ بها حتمية الوقوع في التصادمات، فالعقل العربيّ لم يع ما تفرضه الحداثة من ظروف ووضعيّات ترتقي بخطابات العقل المختلفة.



من المؤسف، حقاً، أنّ العقل العربيّ لم يستوعب أنّ الحداثة لا تتعارض مع الأخلاق والقيم الدينية، لأنّه غفل بسبب الانغلاق الذي أحاط به نفسه، إنّ الحداثة والنهوض والتقدم لا يشترط وجود تبريرات عقلية لها، وهي لا تتناقض مع الدين وتعاليمه وأخلاقه، لهذا فلم ينجح العقل في عقلنة كثير من الممارسات الدينية، وخاصة فيما يخص قوة الحجة وامتلاك الفكر التنويريّ.



لم يفهم، ولم يدرك، ولم يع، ولم يقبل العقل العربيّ أنّ .. (الحرية) ..، مقدمة على كل شيء في الحياة، وهذا الجانب أكدّه القرآن المجيد في مئات من الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: (لا إكراه في الدينِ قد تبين الرشدُ من

الغِيِّ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا
انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة، الآية : (256)، وقوله تعالى: ((لَا أَعْبُدُ
مَا تَعْبُدُونَ)، سورة الكافرون، (2)، وهذا ما أضعف .. (الاجتهاد)، في تاريخ
أمتنا.



لَمْ يَسْتَوْعِبِ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ تداعيات وخطورة المسارِ العنصريِّ، والتمييزِ بين
الألوانِ والأعراقِ، وإنَّ الحقوقَ واحدةً لا تتجزأ، والقرآنُ المجيدُ حثٌّ ودعوى إلى
نبذِ هذه العنصريّاتِ وعدمِ الانحيازِ العرقيِّ في كلِّ تفاعلاتِ وفعاليّاتِ
ومشاركاتِ الحياة.



إِنَّ الْإِسْلَامَ الْعَظِيمَ يظلُّ هوَ بمثابة المنظومةِ العقديّةِ الشاملةِ للعقلِ العربيِّ،
ولكنَّ للأسفِ لَمْ يتهذبْ ويرتقي ويتطورْ ويتقدمْ العقلُ العربيُّ في كثيرٍ من
الجوانبِ الحيّاتيّةِ الحدّاثيّةِ، ولَمْ تتحركْ فيه الأفكارُ والمبادئُ الإنسانيّةُ،
بخاصّةِ المساواةِ والعدالةِ الاجتماعيّةِ.



عَادَةً مَا تشغلُ الدراساتُ الإنسانيّةُ والتاريخيّةُ على اتساعِها وتعددِها
بالبحثِ عنِ الحقيقةِ، فهي في الواقعِ الذي تحاولُ فيه وبجديةٍ إعادةَ بناءِ صورِ
للماضي، تعملُ أنْ تلحقَ الصورُ بدلائلَ قويّةٍ تدلُّ على حقيقتِها، وأيضاً اتصاليها
بالواقعِ، وقد تخضعُ تلكَ الصورِ، أو الحقائقُ للإضافةِ، أو الحذبِ منها وذلكَ

حسب أمزجة الناس وارتباطهم بعامل الصدق أو الكذب، وغالبًا في التاريخ العربي أن كذبها أقوى من حقيقتها، ووهمها أوسع من طغيان واقعها، لأنّ العقل العربي لم يتحصن من هذه الآفات، وهذا ما جعل الإنسان العربي أكثر شغوفًا بالحكايات والروايات التاريخية مثل التي صنعها وصاغها الراوية حماد، فلم تعتمد تلك الحكايات والروايات إلى تخدير وعي الإنسان المتلقي، بل عملت على إيهامه بأنه يقرأ معلومات موثقة، لا سبيل إلى الشك فيها، مما جعل الإنسان يصبح بين أحد أمرين: إما التسليم بما قرأ وعرف واطلع وسمع، وإما السكوت على مضمض، وربّما يتجه الفريق الثالث إلى عدم التسليم.



المعنويات العقلية قدمت أشكالاً مختلفة من الدعم الثقافي والمعونة النفسية، كنّا كعرب نبالغ في الحديث عن اهتمام العرب بقضية التفاخر بالأنساب العربية والحروب، التي وقعت بين القبائل العربية والتي خلدت لنا في **[النص الشعري]**...، وغيره، مثل مروريات الراوية حماد، الآن لا نبالغ إذا قلنا إنّ الأمة العربية ما زالت تعيش هذه الأوهام والخرافات والوقاحات، فهذا **[التردي]**...، النفسي في سوء كفاءة أخلاقنا وقيمنا اليوم يمثلها ما يفعله الجرم الحقيقي الرئيس السوري بشار الأسد حين يفاخر ويفتخر بأعداد ضحاياه من قتل شعبه السوري الرشيد، فهو يفعل ويفتخر بنفس مفاخر الرئيس الإسرائيلي من قتل وتشريد الفلسطينيين.



هَذَا .. [العقل العربي] .. يدلُّ على تردّي في كفاءة أجهزة صنع .. [القرار السياسي] ..، الذي ينفذه مثل الرئيس السوري، والرئيس اليمني المخلوع عليّ عبدالله صالح، فقد بدأوا ولأسبابٍ غير قليلةٍ العدد يناقشون مستقبل بقائهم على .. [مقعد الحكم] ..، وإن كان ذلك على جثّ وبقايا أجساد شعوبهم المقهورة. وهذا ما يقع من نواتج العقل العربيّ، فأيدَ عجز الرُؤى العربية عن استيعاب خطورة اندفاعاتٍ وحماقاتٍ ورعونة .. [الحكم المستبد] .. ويمثله السوريُّ بشار الأسد، واليمانيُّ عليُّ صالح، ومعمّر القذافي الليبيّ. لم يحاولوا لعبَ دوراً رشيداً، أو يلوحون بآخِر، أراهم لا يبُدون ولو رغبةً بسيطةً في الحفاظ على أرواح شعوبهم، أو أنّهم يشيرون إلى الاستمساك بعقيدة الإسلام، التي تحرم عليهم قتل النفس البريئة، إنهم يغيرون .. [الخريطة العقلية العربية] ..، أكادُ لا أجدُ العذرَ للنظام العالميّ تجاه الصمت، وكذلك تجاه هذا القتل المتوحش، الذي ينفذه العقل العربيّ فهو في نظري، أخطر، وأشدُّ خطورةً من فكر عقل التوحش الذي صاغه وينفذه داعش، أو القاعدة وغيرهما من المنظمات التكفيرية والجهادية.



اليوم العقل العربيُّ يحاسبُ ويحاكمُ ويعاقبُ الإنسان العربيّ على .. [النوايا] ..، وهي لم تكن هذه الأعمال والاتجاهات بين مبادئ وقيم العقيدة الإسلامية، اعتماداً على الحديث النبويّ العظيم قوله ﷺ لسيدنا أسامة بن زيد

ﷺ: ((هَلَا شَفَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ))، حديث ابن أبي شيبَةَ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سِرِّيَةِ فَصَبَحْنَا الْحُرَقَاتُ مِنْ جَهِينَةَ فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ قَالَ: هَلَا شَفَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ قَالَهَا أَمْ لَا؟ فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: فَقَالَ سَعْدُ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبَطِينِ يَعْنِي أَسَامَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ، قَالَ سَعْدُ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تَرِيدُونَ أَنْ تَقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةً.

سببُ مقولةِ الرسولِ ﷺ (هَلَا شَفَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ)، فِي ضَرُورَةِ حَسَنِ الظَّنِّ بِالْآخِرِينَ، وَعَدَمِ الْحُكْمِ عَلَى نَوَايَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمُ الظَّاهِرِيَّةِ فَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ خَفَايَا النُّفُوسِ وَمَطْلَعُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ ظَاهِرَةٍ بِالْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ، مِنْ سِيحَاسِبِ الْبَشَرِ وَقُلُوبِهِمْ وَنَوَايَاهُمْ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، فَلَا تَسِيءَ الظَّنَّ وَلَا تَظْلِمَ وَلَا تَتَّهَمَ أَحَدًا بِسُوءِ النِّيَّةِ طَالَمَا لَمْ تَطْلُعْ عَلَى قَلْبِهِ، أَوْ تَعْلَمَ تَمَامًا مَا كَانَ يَقْصِدُهُ أَوْ يَنْوِيهِ حَتَّى لَا تَأْتَمَّ عَلَى سُوءِ ظَنِّكَ! **حَسَنِ الظَّنِّ مُقَدِّمٌ عَلَى سُوءِ الظَّنِّ**، فَلَا تَظُنُّ بِالنَّاسِ إِلَّا خَيْرًا وَاللَّهُ يَتَوَلَّى مَا فِي قُلُوبِهِمْ إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا وَلِنَقْرًا مُنَاسِبَةً مَقُولَةِ الرَّسُولِ ﷺ: (أَشَقَقْتُ عَلَى قَلْبِهِ)؟ وَأَسْأَلُ نَفْسَكَ دَائِمًا هَذَا السُّؤَالَ قَبْلَ أَنْ تَتَّخِذَ حُكْمًا مُتَسْرِعًا، أَوْ ظَالِمًا، أَوْ سَيِّئًا فِي حَقِّ أَحَدٍ.



لا بدّ من تنظيف النية نحو الإنسان في إعادة الاعتبار إلى .. (عقله) ..، واحترام وتقديس .. [نواياه] ..، وبخاصة فيما يرتبط بالفكر والرأي والهويات والانتماءات والفضى في الولاءات، حتّى لا تكون محاكمة النوايا نتيجة رودود فعل انتقامية وعنيفة وحاقدة، أمامنا فرصة تاريخية لرسم بأنفسنا ولأنفسنا، وللمرة الأولى خريطة المستقبل لاحترام العقول والنوايا.

مقالات وآراء

شغلتنِي قضية نقد العقل العربيّ منذُ بداياتِ حياتي الفكرية والثقافية والصحافية والإعلامية، ممّا أوجدَ في عقلي.. [سخطاً]..، واضحٌ على ممارسات العقل العربيّ وأوضاعه وأحواله، وكذلك أوضاع وأحوال الأمة العربية والإسلامية وشعرتُ بذلك.. [السخط]..، يسكنُ ذهنيةً وعقلَ كثيرٍ من أبناء الأمة العربية، وفي ظنّي أنّ مَنْ لا يرى مِنَ الغربالِ فهو أعمى، وقد صبرتُ تجاه ذلك كثيراً، صبرتُ مثلَ صبرِ الحجارة المنحوتة على النقشِ بها.

فكتبتُ العشراتِ مِنَ المقالاتِ في هذا الجانبِ المهمِّ في حياة العقل العربيّ والأمة العربية، هذه بعضُ من مقالاتٍ في موضوع الكتابِ كتبْتُها على فتراتٍ متباعدةٍ ومنها:

كَيْفَ أَتَقُّ فِي أُمَّةٍ ..؟! .

قَالَ الْجَبَّارُ الْمَتَكَبِّرُ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. وَأَزْعَمُ أَنَّ الْيَوْمَ، وَالْيَوْمَ بِالذَّاتِ إِنَّا لَمْ نَعُدْ نَمْلِكُ مَقُومَاتِ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، نَعْمَ لَا نَمْلِكُ أَخْلَاقَ وَقِيمَ خَيْرِ أُمَّةٍ، أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، أَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا أُمَّةً تَكْذِبُ، أُمَّةً تَتَافَقُ، أُمَّةً تَمْنَعُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا تَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، أُمَّةً ضَحَكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الْأَمَمِ، أُمَّةً تَفْضَلُ الرِّيَاءَ السِّيَاسِيَّ وَالثَّقَافِيَّ عَلَى قَوْلِ الْحَقِيقَةِ، أُمَّةً تَقْتُلُ الْمُتَقَفِينَ، أُمَّةً تَسْجِنُ الْكِتَابِ، أُمَّةً تَحَارِبُ الْإِصْلَاحَ وَالْمُصْلِحِينَ، أُمَّةً يَزِيدُ يَوْمِيًّا عَدَدَ سَجُونِهَا عَلَى عَدَدِ مَدَارِسِهَا، أُمَّةً ضَمِنَتْ لَشُعُوبِهَا السَّجُونَ وَالْقُبُورَ، وَلَا تَشِيدُ لَهُمُ الْمَسْتَشْفِيَّاتِ، أُمَّةً تَغْلُغُلُ فِي أَبْنَائِهَا التَّشَاؤْمَ عَلَى التَّفَاؤُلِ، أُمَّةً قَتَلَتْ أَبْنَاءَهَا بِالْمُخْذِرَاتِ. وَأَنَا أَكْتُبُ هَذَا الْمَقَالِ الثَّقَافِيَّ، وَبَعِينِ مُتَقَفٍ مُسْتَقِلٍّ طَرَحَتْ أَمَامَ مَنْ كَانَ يِنَاقِشُنِي الْعَدِيدَ وَالْعَدِيدَ مِنْ صُورٍ وَمَوَاقِفَ وَمَخَازِي، هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي لَمْ تَعُدْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَأَقُولُ لِلْمَتَلَقِّيِّ وَمَحَاوِرِي: إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيْسَ دِينُ دَرُوشَةٍ، بَلْ إِنَّهُ عَقِيدَةٌ رَاسِخَةٌ صَالِحَةٌ وَصَالِحَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، إِنَّ الْإِسْلَامَ قِيمٌ وَمَبَادِيٌّ وَأَخْلَاقٌ تَحْتَاجُ دَائِمًا إِلَى صِيَانَتِهَا وَمَحَاسِبَتِهَا وَمَرَاجَعَتِهَا حَتَّى لَا تَتَّكَلُّ، وَحِينَ أَقُولُ لِمَحَاوِرِي إِنَّ أُمَّتَنَا لَيْسَتْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُرِيدُ أَنْ أُضَعَ أَمَامَهُ هَذِهِ الْحَقَائِقُ الدَّامِغَةُ، الَّتِي مِنْهَا:

1/ **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثَقَ فِي أُمَّةٍ قَتَلْتُ ثَلَاثَةً مِنْ خُلَفَائِهَا الرَّاشِدِينَ، وَهُمْ الصَّحَابَةُ الْأَجْلَاءُ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أجمعين؟.

2/ **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثَقَ فِي أُمَّةٍ تَقْتُلُ حَاكِمًا فِي أَهْمِيَّةٍ وَقِيَمَةٍ وَقَدْرٍ وَزُهْدٍ وَعِفَّةٍ وَوَرَعٍ سَيَدِنَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ .

3/ **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثَقَ فِي أُمَّةٍ تَقْتُلُ حَاكِمًا فِي أَهْمِيَّةٍ وَقِيَمَةٍ وَوَرَعٍ وَعَلُو سَيَدِنَا الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه؟ .

4/ **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثَقَ فِي أُمَّةٍ يَأْتِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه وَيَجْمَعُ عُلَمَاءَ الْأُمَّةِ لِتَحْرِيفِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَيَجْعَلُهَا تَصَبُّبًا فِي خَانَةِ صَالِحِ وَلِيِّ الْأَمْرِ وَطَاعَتِهِ فَقَطْ، نَعَمْ وَضَعْتُ أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ لخدمَةِ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

5/ **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثَقَ فِي أُمَّةٍ يَأْتِي حَاكِمُ مِنْهَا وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَيَأْمُرُ بِقَتْلِ ثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؟ إِنَّهَا مَوْقِعَةُ الْحَرَّةِ بِقَائِدِهَا مُسْلِمُ بْنُ عَقْبَةَ.

6/ **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثَقَ فِي أُمَّةٍ تَرْفَعُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ أَجْلِ .. ((**الانتصار السياسي**)) ..، نَعَمْ اسْتَغْلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَغَطَاءٍ دِينِي لِتَحْقِيقِ مَآرِبٍ وَأَهْدَافٍ دُنْيَوِيَّةٍ، فَالْوَيْلُ، ثُمَّ الْوَيْلُ، لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي تَقْدُمُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَتَسْتَغْلُ الدِّينَ مِنْ أَجْلِ شَهْوَةِ الْحُكْمِ وَالسُّلْطَةِ.

17: **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثِقَ فِي أُمَّةٍ تَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ قَائِدٍ عَسْكَرِيٍّ مِثْلَ الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ، يَقْتُلُ بَعْضَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِثْلَ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ رضي الله عنه، وَمِثْلَهُ أَيْضًا الْقَائِدُ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرْسَانِيُّ مِنْ أَجْلِ الْحُكْمِ وَالسُّلْطَةِ وَشَهْوَاتِهَا الَّتِي لَا تَشْبَعُ، وَلَا تَنْتَهِي؟.

18: **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثِقَ فِي أُمَّةٍ عَمِلَتْ بِإِصْرَارٍ وَقَصْدٍ عَلَى تَزْيِيفٍ وَتَزْوِيرٍ أَحَادِيثَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَجْلِ شَهْوَةِ الْحُكْمِ وَالسُّلْطَةِ، فَهَذَا أَحَدُهُمْ وَهُوَ الْمُثَقَّفُ الضَّالُّ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي الْعُجَاجِ، وَالَّذِي ظَهَرَ فِي عَصْرِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، قَالَ هَذَا الْمُثَقَّفُ الضَّالُّ عِنْدَمَا أَمَرَ أَبِي جَعْفَرَ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ عَامِلَ الْمَنْصُورِ عَلَى الْكُوفَةِ بِقَتْلِهِ قَالَ هَذَا الضَّالُّ: ((**لَنْ تَقْتُلُونِي، لَقَدْ وَضَعْتَ أَرْبَعَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ أَحَلَلْتَ بِهَا الْحَرَامَ وَحَرَمْتَ بِهَا الْحَلَالَ**))؟.

واليومَ مَا أَكْثَرَ الْمُثَقِّفِينَ الضَّالِّينَ فِي أُمَّتِنَا الْعَرَبِيَّةِ، وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالَّذِينَ يَحْلُلُونَ الْحَرَامَ، وَيَحْرُمُونَ الْحَلَالَ لِلْحَاكِمِ وَالسُّلْطَةِ مِنْ أَجْلِ تَنْمِيَةِ شَهْوَاتِهِمُ الَّتِي لَا تَشْبَعُ، بِهَدَفِ التَّقَرُّبِ إِلَى الْحَاكِمِ، وَالِدُخُولِ فِي الْقُصُورِ، ثُمَّ السُّكْنُ فِي أَرْوَقَةِ السُّلْطَةِ؟.

19: **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثِقَ فِي أُمَّةٍ وَفِيهَا شَاعِرٌ عَظِيمٌ اسْمُهُ (عَمْرُو بْنُ كَلْثُومِ التَّغْلِبِيِّ)، يَقُولُ قَصِيدَةً أَصْبَحَتْ مَعْلَقَةً مِنَ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ الَّتِي عَلِقَتْ عَلَى جِدَارِ الْكُعْبَةِ الْمَشْرُفَةِ، هَذَا الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ وَصَلَ بِهِ الْغُرُورُ وَالتَّعَالَى وَالْغَطْرَسَةُ وَالْكِبَرُ وَالتَّكْبِيرُ عَلَى الْآخِرِ لِدَرَجَةِ خَطِيرَةٍ، حِينَ

قَالَ:

ونشربُ إنْ وردنا الماءَ صفواً ويشربُ غيرُنَا كدرًا وطينًا
مَا هَذِهِ الْأَنَانِيَةُ؟ لِمَاذَا هَذَا التَّحِيْرُ؟، لَدَلِكْ لَا نَبَالِغُ حِينَ نَقُولُ: إِنَّ الْغُرُورَ
وَالتَّكْبَرَ وَالكِبَرَ هُوَ جِزْءٌ أَصْلِيٌّ فِي شَخْصِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَالِيْتَهَا تَفْعَلُ مَا
تَقُولُ! فَلَقَدْ شَرِبَ غَيْرُنَا الْمَاءَ صَفْوًا، وَشَرِبْنَا الْمَاءَ كَدْرًا وَطِينًا!.

10/: **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَتَّقَ فِي أُمَّةٍ وَفِيهَا شَاعِرٌ عَظِيمٌ اسْمُهُ أَبُو فِرَاسِ
الْحَمْدَانِي، قَالَ قَصِيدَةً يَدَّعِي فِيهَا أَنَّهُ أَمَا أَنْ يَتْرَبَعَ فِي صَدْرِ الْأُمَّةِ، وَأَمَّا
أَنْ يَعْشَرَ دَاخِلَ الْقَبْرِ قَالَ:

وَنَحْنُ أَنَاسٌ، لَا تَوْسَطُ عِنْدَنَا، لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ، أَوْ الْقَبْرِ.
هَذَا الْإِرْثُ الْأَدْبِيُّ بِقَوْلِ مِثْلِ هَذَا الْفِكْرِ، يَنْفِي أَنَّنَا أُمَّةٌ وَسَطٌ، وَهَذَا
الشَّاعِرُ الْعَظِيمُ يَرِيدُ أَنْ تَمُوتَ كُلُّ الْأُمَمِ لَكِي نَبْقَى وَنَجْلِسَ فِي صَدْرِ
كُلِّ شَيْءٍ، وَإِمَّا أَنْ نَمُوتَ وَنَعْشَرَ دَاخِلَ صِنَادِيقِ الْمَقَابِرِ. أَيُّ هَرَاءٍ هَذَا،
وَأَيُّ تَعَالِيٍّ عَلَى شُعُوبِ الْأُمَمِ الْآخَرِيٍّ، نَدَّعِي إِنَّنَا نَحْبُ السَّلَامَ مَعَ الْآخَرِ،
وَهَذَا الشَّعْرُ أَنْمُودِجٌ مِّنْ ثِقَافَتِنَا الَّتِي تَحْرُضُ ضِدَّ الْآخَرِ.

11/: **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَتَّقَ فِي أُمَّةٍ وَشَاعِرِهَا الْأَعْظَمِ، وَالْأَفْضَلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ،
وَالَّذِي يَتَغَنَّى بِهِ كُلُّ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَيُرَدِّدُونَ أَيْبَاتِ قِصَائِدِهِ
فِي كُلِّ الْمُنَاسَبَاتِ يَقُولُ هَذَا الشَّاعِرُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ،
أَيْبَاتٍ فِيهَا كَثِيرٌ مِّنْ عِلَامَاتِ التَّعَالِيِّ عَلَى الْإِلَهِ، وَكَثِيرٌ مِّنْ الْمَلَامِحِ
وَعِلَامَاتِ الْغُرُورِ الْمُتَعَالِيِّ، وَالْغَطْرَسَةِ الْمُتَنَاهِيَةِ حِينَ قَالَ:

وما الدهرُ إلا من رِوايةِ قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشداً
فكيفَ لا تريدون من أبناءِ هذه الأمة أن لا يتعالوا على الشعوبِ الأخرى،
التي أنجزتْ واخترعتْ وطورتْ وأبدعتْ، ولم يقل شعراتهم العظامُ إنهم
إذا قالوا شعراً أصبحتُ كلُّ الدنيا من أبياتِ شعرهم. كفا غرور، كفا
كذب، وكفا تعال، وكفا غطرسة، وكفا تزويرٍ على التاريخ!.

12/ : **كيفَ تريدني** أن أثقَ في أمةٍ تشتعلُ حرباً وتتحاربُ من أجلِ ناقةٍ لمدةِ
أربعينَ سنةً، أو أكثرٍ، وهي حربُ البسوسِ، قُتلَ فيها كثيرٌ وكثيرٌ من
أبنائها؟.

13/ : **كيفَ تريدني** أن أثقَ في أمةٍ ظلتْ تخوضُ حرباً تافهةً وسخيفةً تسمى
حربُ داحسٍ والغبراءِ من أجلِ خيلٍ تقدمتْ على الأخرى في سباقِ
الخيولِ؟ الويلُ، لهذا الجهلِ الراسخِ في العقولِ، والويلُ لهذا الجهلِ
الراسخِ في العقولِ، والويلُ لهذه الأحقادِ التي بنيتْ على جدارِ القلوبِ.
وأجزمُ إنَّ مثلَ هذهِ القلوبِ الحاقدةِ لا تتظفُّ، وإنَّ استخدمنا لنظافتها
أرقى أنواعِ المنظفاتِ الكيماويةِ؟.

14/ : **كيفَ تريدني** أن أثقَ في أمةٍ تصنمَ حكامها ورجالها، وأولئك الحكامِ
والرجالِ المصنمينَ، هم المفسدونَ في حقِ هذهِ الأمةِ وهم الملوثونَ، فهذا
الشاعرُ السوريُّ العظيمُ عمرُ أبو ريشة، قالَ أبياتٍ رائعةً في هؤلاءِ
الحكامِ والرجالِ، قالَ:

أمّتي! كم صنمٍ مجدته
لم يكن يحملُ طهرَ الصنمِ

لا يلامُ الذئبُ في عدوانه إن يكُ الراعي عدو الغنمِ
فاحبسِي الشكوى فلولاك لما كان في الحكم عبيد الدرهمِ
أيها الجندي يا كبشَ الفدى يا شعاعُ الأملِ المبتسمِ
ما عرفتُ البخلَ بالروح إذا طلبتها غمصُ المجدِ الظمى
بورك الجرحُ الذي تحمله شرفاً تحتَ ظلالِ العلمِ

15/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثِقَ فِي أُمَّةٍ يُوَافِقُ الْخَلِيفَةَ فِي دِمَشْقِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى قَرَارِ قَائِدِ جَيْشِهِ الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفِ الثَّقَفِيِّ عَلَى رَمِيٍّ وَقَصْفِ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ مَرَّتَيْنِ وَتَحْرِقُ، وَهِيَ الرَّمْزُ الْإِسْلَامِيُّ الشَّدِيدُ الْقِدَاسَةِ وَالتَّقْدِيسِ؟ فَعَلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ السُّلْطَةِ وَالتَّسْلُطِ.

16/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثِقَ فِي أُمَّةٍ يَقُولُ شَاعِرُهَا لِلْخَلِيفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:
لَوْلَاكَ مَا سَقَطَ الْمَطْرُ لَوْلَاكَ مَا وُلِدَ الْبَشَرُ
لَوْلَاكَ مَا عَرَفَتْ الدَّوَابُّ طَرِيقَهَا

17/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثِقَ فِي أُمَّةٍ جَاهِزَةٌ لِمَحْوِ وَإِزَالَةِ وَإِسْقَاطِ تَرَاثِ مَا قَبْلَهَا؟

18/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثِقَ فِي أُمَّةٍ تَرَبَّى أَبْنَائُهَا وَتَرَعَرَعَهُمْ وَتَشْتَهُهُمْ وَتَعْلَمَهُمْ عَلَى الْكُذْبِ وَالرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ وَالْخِدَاعِ وَقَوْلِ النَّمِيمَةِ؟

19/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَثِقَ فِي أُمَّةٍ يَعِشُقُ رِجَالُهَا حَالَةَ [..] **الْفُوصَةِ** [..] ، أَكْثَرَ مِنْ نِسَائِهَا؟

20/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَتَّقَ فِي أُمَّةٍ وَعُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا يَغْيِرُونَ فَتَوَاهِمُ كُلَّ يَوْمٍ،
بَلْ كُلَّ سَاعَةٍ حَسَبًا تَقْضِي بِهِ مَصَالِحُ حُكَامِهِمْ وَغَايَاتِهِمْ وَمَنَافِعَهُمْ؟.

21/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَتَّقَ فِي أُمَّةٍ سَيَسْتُ الدِّينَ، فَأَصْبَحَ رُكْنَ الْحُجِّ سِيَاسِيًّا
وَلَيْسَ دِينِيًّا، وَالصُّومُ أَصْبَحَ سِيَاسِيًّا، وَأَذَانُ الْمَسَاجِدِ أَصْبَحَ سِيَاسِيًّا،
وَخُطْبَةُ الْجُمُعَةِ سِيَاسِيَّةً، وَالصَّلَاةُ سِيَاسِيَّةً وَإِنْ كَانَتْ عَلَى الْأَمْوَاتِ؟.

22/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَتَّقَ فِي أُمَّةٍ يَعْتَقِدُ ..[أَغْنِيائُهَا].. أَتَّهُمُ يَسْتَطِيعُونَ رَشْوَةَ
الْمَلَائِكَةِ مِنْ كَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَارْتِفَاعِ سَقْفِهِمْ عَمَى بَصَائِرِهِمْ؟.

23/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَتَّقَ فِي أُمَّةٍ تَقْدِمُ شَهْوَةَ الْكَلَامِ عَلَى شَهْوَةِ قَوْلِ الْحَقِّ.
أُمَّةٌ تَتَكَلَّمُ وَلَا تَفْعَلُ؟.

24/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَتَّقَ فِي أُمَّةٍ لَا يَحْرُكُ شَارِعَهَا إِلَّا الْكُذْبَ وَالْجَهْلَ.
وَيَخْتَفِي ذَلِكَ الشَّارِعَ عَنِ قَوْلِ الْحَقِيقَةِ وَالْحَقِّ؟ هُوَ هَذَا الشَّارِعُ نَفْسِهِ
يَبْكِي وَيَصْرُخُ عِنْدَ مَوْتِ فَنَانٍ، أَوْ رَاقِصَةٍ، وَلَا يَبْكِي عِنْدَمَا يَمُوتُ أَحَدُ
عُلَمَائِهَا الْأَفْزَادِ.

25/ : **كَيْفَ تَرِيدُنِي** أَنْ أَتَّقَ فِي أُمَّةٍ جَعَلْتَنِي أَفْقَدُ الصَّدْقَ فِيمَا يَقُولُهُ حُكَامُهَا
وَمُتَقْفِيهَا وَعُقْلَانُهَا، حَتَّى إِنَّ ظَنِّي زَهَبَ بَعِيدًا، فَإِنِّي أَعْتَقِدُ - هَكَذَا
أُظُنُّ - وَلَيْسَ كُلُّ الظَّنِّ إِثْمًا، إِنَّ كِتَابَ ..[الْأَمِيرِ].. لِمَوْلَانِ الشَّهِيرِ
(نِيْقُولُو مِيكَافِيلِي) صَاحِبِ نَظْرِيَّةٍ - الْغَايَةِ تَبَرُّرِ الْوَسِيلَةِ -، **أَشْكُ فِي مَنْ**
كُتِبَ هَذَا الْكِتَابِ الْعَالِي لَيْسَ (مِيكَافِيلِي)، بَلْ هُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ،

لقناعتِي إنَّ هَذِهِ النِّظْرِيَّةَ - الغَايَةُ تَبْرُرُ الوَسِيلَةَ - مَنْ وَضَعَهَا هُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ
سَفْيَانَ، وَليْسَ (مِيكَافِيلِي)، لِدَرَجَةٍ إِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا (مِيكَافِيلِي) قَدْ نَزَلَ إِلَى
قَبْرِ مَعَاوِيَةَ وَأَمَلَى عَلَيْهِ ذَلِكَ الْكِتَابُ.

يَا أَمَانَ الْخَائِفِينَ!

يَا أَمَانَ الْخَائِفِينَ!

يَا أَمَانَ الْخَائِفِينَ!

فَهَلْ تَتَفَقَّهُونَ مَعِيَ فِي كَوْنِي فَقَدْتُ .. [الثِّقَةُ]...، فِي أُمَّتِي، سَاعِدُونِي فِي
الْبَحْثِ عَنِ أُمَّةٍ أَسْتَطِيعُ الثِّقَةَ فِيهَا، فَدُلُونِي بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ.
و يَا أَمَانَ الْخَائِفِينَ!

سدُّ الذرائع

محاولةٌ لفهم

سدُّ الذرائع، أو درُّ المفسدِ، أصلٌ كبيرٌ في الإسلام وقاعدةٌ مهمةٌ من قواعدِ التشريعِ الإسلاميِّ، ومرتبطةٌ بمقاصدِ الشريعةِ. لكنَّ استغلالَ هذه القاعدةِ التشريعيةِ العظيمةِ والتوسعَ فيها يؤديُّ إلى .. ([التضييق]) .. على الأمةِ وبنائها. فهذا .. ([التضييق]) .. يُنفرُ النَّاسَ ممَّا فيه فسحةٌ عندَ العلماءِ. وربما يؤديُّ عمومًا، إضافةً إلى ذلك، لتنفيرِ النَّاسِ من الإسلامِ ذاتهِ. وربما يكونُ مصدرًا للتشويهِ العدائيِّ كذلك، حينَ يستغلهُ أعداءُ الإسلامِ. إنَّ علماءَ الإسلامِ عندما قرروا .. [قاعدةُ سدِّ الذرائع] .. قرروا أيضًا في المقابلِ قاعدةً موازيةً لها وهي .. ([فتحُ الذرائع]) .. وبتطبيقِ مجالِ كلِّ قاعدةٍ بحسبِ الضوابطِ والشروطِ لا يحملُ على النَّاسِ كلَّ هذا .. ([التشديد]) ..، و .. ([التضييق]) ..، و .. ([التزمّت]) ..، التي نَفَتِ الشريعةُ الإسلاميةُ وسماحةُ الإسلامِ العظيمِ قبولها. وأصبحَ وأعني .. التشددَ ..، والتضييقَ ..، والتزمّت .. إطلاقًا غيرَ مُقننٍ لصواريخِ منفلتةٍ مِنَ التحكُّمِ. إنَّ قاعدةَ .. [سدِّ الذرائع] .. يجبُ أن يتمَّ تطبيقها على العالمِ والجاهلِ والرئيسِ والمرؤوسِ، ومعنى ذلك أن العالمَ أو القاضيَّ أو المفتيَّ إذا عَلِمَ أنَّه أرادَ أن يستغلَّ هذا المنصبَ أو يستغلهُ بعدَ ذلك، فعملًا بهذه القاعدةِ الشرعيةِ المتينةِ يجبُ فصلُه وعزلهُ من ذلك المنصبِ

سداً لذريعة الفساد وهناك بالمقابل مشكلة أكبر من هذه وهي إساءة استعمال سلطة المنصب في القضاء والإفتاء والمسؤولية لإلحاق الأذى بمن يختلف معهم أعضاء المؤسسة الدينية. وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الجانب المهم المرتبط بسد الذرائع: ((نحن لا نولي أمرنا لمن يطببه أو الإمارة))، أي اللهاث وراء القضاء والمناصب. والأصل في المناصب .. [التعفف].. والبعء عنها. فمثلاً هذا سيدنا الإمام الشهير أبو حنيفة رحمه الله عندما قال له الخليفة: أريدك أن تتولى القضاء، فقال له، أبو حنيفة: أنا لا أصلح، فقال له، كيف لا تصلح؟، فقال أبو حنيفة: إن كنت صادقاً فهو ذلك، وإن كنت كاذباً، فكيف تولي قاضياً كاذباً؟.

عجباً لهذا النوع من الرجال .. الرجال الكبار الذين افتقدتهم المجتمع والأمة. فالحال اليوم على عكس الكثير والكثير يركضون ويركضون وراء الحصول على المناصب وبأي طريق، فيتجهون إلى الوساطات والمحسوبيات والوجاهات لتقديمهم إلى أصحاب القرار لتعيينهم في إحدى المفاصل الرئيسية في المناصب العامة. وربما بعضهم يدفع نصف ثروته مقابل أن يحصل على لقب .. [معالي]..، يا معين أعن هذا النوع من الرجال على أنفسهم!. لقد أصبحت قاعدة سد الذرائع .. [عصاً].. يتوكأ عليها بعض علماءنا وفقهائنا، بل جعلوها كأنها جزء من .. [الفكر الماسوني].. وأصبحت قاعدة سد الذرائع الإسلامية كأنها مستمدة من قواعد ومبادئ الماسونية العالمية. بل جعلوها كأنها منبثقة

من نظرية (يقولو ميكافيلي)، و التي تقول: (الغاية تبرر الوسيلة). فأصبح الكذب مباحاً، والنصب والاحتيال على المبادئ الإسلامية جائزاً، وتزوير الأفكار لتحقيق الغايات معمولاً به، وصارت الوشاية وسيلة جائزة للوصول للأهداف والإيقاع بالخصوم. فلو عدنا إلى قراءة بعض نصوص وأفكار بعض .. [**الفتاوى الدينية**].. والكتب والمقالات والدوريات التي تصدرها بعض أعضاء المؤسسة الدينية، نجد أنها استغلال لقاعدة سد الذرائع في القضايا الدينية مثل: زيارة قبر سيدنا محمد ﷺ، والمولد النبوي، ومجالس الذكر، وإقامة العزاء وزواج المسيار، والأسهم والتقسيم وغيرها. و من القضايا الكبيرة التي أستغلّت فيها قاعدة سد الذرائع هي إغلاق أبواب المسجد النبوي الشريف بعد صلاة العشاء يومياً مع أن الأصل في المساجد تظل مفتوحة. وإغلاق المساجد لم تأت بها الشريعة السماوية. وإغلاقها.. [**بدعة**] .. ففعل المسجد النبوي أدى إلى منع الاعتكاف فيه إلا في الأيام الأخيرة من شهر رمضان. ويمكن أن نعثر على استعمال لافتي وسيء لهذه القاعدة مصحوب بضبابية الرؤية، وهي مصحوبة بالمدى المتزايد لاستغلال تلك القاعدة. فقد لفت نظري وغيري من المسلمين .. [**السور الخشبي**].. الذي وُضع أمام المواجهة أي أمام قبر سيدنا محمد ﷺ، وأعتقد أن وضع هذا السور اتخذ على قاعدة سد الذرائع، فهذا السور لي عليه كثير من الملاحظات المهمة والتي منها:

1/ : أنها بدعة، و البدعة هي الإحداث في الدين ما ليس منه تزايداً عليه مصداقاً لحديث (وكلّ محدثة بدعة).

12: إنه لا تحريم في القرب من قبر سيدنا محمد ﷺ.

13: وجود أعداد من العسكر بجوار القبر الشريف ملفتة للنظر، مما يوحي كأن المنطقة .. [**ثكنة عسكرية**] .. وليس حرماً شريفاً مقدساً فيه روحانية عالية.

14: قد يُفسر هذا المنظر أي وجود السور الخشبي والعسكر والمطاوعة بأنه نوع من الإرهاب، وليس مكان خشوع وسكينة.

15: النبي ﷺ ندب زيارة القبور، وهذا المنظر المزعج يخالف الحديث النبوي، الذي قال: قد كنت نهيتكم من زيارة القبور إلا فزورها فإنها تذكركم الآخرة.

16: من كان وراء فكرة تنفيذ وبناء هذا السور الخشبي حجته سد ذريعة الشرك، وهذا أمر بين العبد وربه. لا يمكن للسلطة الدينية الاطلاع على نوايا المسلمين والتشكيك في عقائدهم. يا جماعة الخير! يا علماء الأمة، اليوم الناس لا تُصلي فرائض صلاتها الخمسة المفروضة، فما بالكم! تذهب لتعبد القبور.

17: مما يؤيد أسلوب الإزعاج هي طريقة الضرب على اليد عندما يرفعها أحد أمام القبر الشريف .

18: إن هذا المنظر يعطي صورة سيئة جداً عن الإسلام، لا سيما أمام الكاميرات الحية التي تتقل الصلوات يومياً من هذا المسجد العظيم لكل العالم الإسلامي وغيره.

9/ : دعاءُ النبي ﷺ مستجابٌ هذا ما أكدَه علماءُ الأمةِ الإسلاميةِ. فقد دعا النبي ﷺ وقال: ((اللهم لا تجعل قبري وثن يُعبدُ))، ولم يُنقل في التاريخ الإسلامي ولا حادثة واحدة، تؤكدُ وجودَ عبَادٍ لقبرِ سيدنا محمد ﷺ يركعون ويسجدون إليه وله. وأما قضية التوسل والاستغاثة والتبرك فهذه مسألةٌ خلافيةٌ لا تصلُ لدرجة التكفير. إذن يتبين أن وجودَ هذا السورِ الخشبي لا مبررَ له . ولكي نعالجَ فسادَ استغلالِ قاعدةِ سدِّ الذرائعِ، فلا بُدَّ من الأخذِ بالقاعدةِ الموازيةِ وهي .. [**فتح الذرائع**] .. وأُعني هنا فتح ذريعةِ حرية الصحافة والفكر والرأي الآخر، من غير تمويه وضبابية، وإعطاءِ الفرصة الكاملة للمختصين من المذاهب الأخرى أن تقول رأيها في كل ما يتعلق بالدين الإسلامي العظيم . فهل نفعُها ؟. حتى نستطيع وضع حد لها .. [**التشدد**] .. و.. [**التضييق**] .. و.. [**التزمت**] .. الذي يخلق للأمة الإسلامية الأزمات المتتالية. إن .. [**التشدد**] .. و.. [**التضييق**] .. و.. [**التزمت**] .. يؤدي بالتأكيد إلى قيام .. (**حواجز نفسية**) .. وربما .. (**جدران سمكية**) .. من الكراهية والكره ضد بعضنا البعض . وهذا ما يخلق .. ((**الضمور**)) .. في الأخلاق، فيؤدي هذا كله إلى الافتقار في كرامتنا الإنسانية، ومن هنا تبدأ مرحلة الفتن المختلفة التي تعيشها حالياً.

ويا أمان الخائفين!.

هل المسلمون أفضل أمة؟.

قَالَ اللَّهُ جَلَّتْ قَدْرَتُهُ: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)، سورة آل عمران، الآية: (110). مَا زِلْتُ أَعْتَقِدُ - هَكَذَا أَزْعَمُ - حَتَّى الْآنَ إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَقُومَاتِ خَيْرِ أُمَّةٍ. لِأَنَّ أَفْكَارَنَا وَأَفْعَالَنَا وَأَقْوَالَنا وَسُلُوكِيَاتِنَا وَخَطَابَاتِنَا تَشِيرُ إِلَى إِنَّا لَسْنَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَالْكَذِبُ مَنْتَشَرٌ وَمَتَفَشِيٌّ، وَالنَّفَاقُ وَالنَّمِيمَةُ وَالرِّيَاءُ وَالزُّنَا، وَذَاعَ زَيْفُ الْكَلَامِ فِي إِعْلَامِنَا الْمُخْتَلَفِ، وَنَظَلِمُ الْفِتَّةَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَصَفَّ مِثْلَ الْفُقَرَاءِ، وَكَأَنَّنا أُمَّةً خَلَقْتُ لَتَعْتَرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ. وَلَوْ عَدْنَا إِلَى مَرَاجِعَةِ سُلُوكِيَاتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَوْ وَجَدْنَا فِيهِمُ الصَّدَقَ وَالْإِخْلَاصَ، وَالتَّمَاسِكَ بِقُوَّةٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَبَعْضُهُمْ كَانَ يَحَاوِرُنِي فِي فِكْرَتِي هَذِهِ، وَإِنَّهَا غَيْرُ صَحِيحَةٍ، فَلَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُبَيِّنَ بَعْضَ الْأَعْمَالِ لِلْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَسَنَجِدُ أَنَّ أَعْمَالَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَفْضَلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِكَثِيرٍ مِثْلَ:

1/: صَحِيحٌ أَنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ، وَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ قَمْنَا بِالْحَاقِ الْأَدَى بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَعْنَى بِهِمْ كَفَارَ قَرِيشٍ فَلَقَدْ حَاصَرُوهُ فِي شَعْبِ عَلِيٍّ لِمُدَّةٍ ثَلَاثَةِ سَنِينَ.

1/1: وَأَيْضًا حَاوَلُوا قَتْلَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

2/1: أيضاً وقعت محاولاتٍ من بعض المسلمين لتسميم الرسول ﷺ.

3/1: بعض المسلمين ألقوا الأذى بالرسول ﷺ وزوجته السيدة عائشة في حادثة الأفك.

4/1: بعض المسلمين حاولوا خيانة الرسول ﷺ مع المنافقين في المدينة المنورة أثناء بعض الغزوات.

1/2: مجادلة الرسل: صحيح أن اليهود عليهم لعنة الله اشتهروا بالتشدد وحبّ المجادلة، وعندما تشددوا فشدّد الله عليهم، قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً)، فتشددوا، يسألون: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ). (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا)، (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّازِرِينَ)، (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا).

1/2: ونحن كمسلمين تشددنا مع سيدنا محمد ﷺ وتشددنا في كل شيء، فعلى من يشك في كلامي فعليه أن يراجع بعض كتب الفتاوى الشرعية لبعض علمائنا وفقهائنا ورجال الدين، فسوف يجد كل أنواع التشدد في الدين.

2/2: مسألة فوضى الفتاوى التي تشهدها الأمة الإسلامية كلها دون استثناء وخاصة منطقة الخليج، وانتشرت تلك الفوضى الدينية في كل وسائل الإعلام المرئية والمقروءة من صحف ومجلات وفضائيات وإذاعة وانترنت ودوريات وغيرها، وهذه الفتاوى أثارة البلية في الشارع الإسلامي، بهذا وقعنا في نفس مأزق اليهود حين أثقلوا وتشددوا في طرح الأسئلة، فأنزل الله فينا قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ)، التي يقال

إنها نزلت في قوم سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.
/3: فما أصابنا اليوم من كوارث ومصائب ومشاكل وتحديات كلها من أعمالنا
ومن عند أنفسنا بسبب أفعالنا وأعمالنا وسلوكياتنا من كذب ونفاق ورياء
وطغائن فيما بيننا، وكبر وتكبر قال الله تعالى في سورة الروم آية: (36) قَالَ:
(فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ
فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ).

/4: ما يقع من قتال واقتتال بين منظمة فتح وحماسٍ يفوق ما فعله إسرائيل من
قتل وتشريد في فلسطين، لقد استطاعت حماسُ وفتحُ أن يمسحوا بنا الأرضَ
بعد تصفياتهما لبعضهما بعضاً، وظلت السلطة الإسرائيلية تصفق بقوة لهما.
فهل اليهود يقتلون بعضهم كما يفعل المسلمون؟.

/5: هل ما يقع في الصومال من قتال وجرائم بين الفصائل الصومالية هو من
أخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه؟ هل تقاتلت الآن فصائل يهودية فيما بينها بسبب
شهوة السلطة والحكم؟ فهل هذه أخلاق خير أمة؟.

/6: هل ما يقع من قتل من قبل بعض الأنظمة العربية والإسلامية لشعوبها مثلما
وقع في العراق وسوريا وغيرهما، يقع في دولة إسرائيل؟ وهل هذه من أخلاق .

/7: هل ما يقع في العراق يومياً من قتل وتشريد وغصب واغتصاب للشعب
العراقي من قبل المسلمين أنفسهم ذاتهم، وهذا الصراع بين السنة والشيعة،
فهل هذه من أخلاق خير أمة أخرجت للناس.

/8: هل ما يقع في أفغانستان بين طالبان وغيرها من فصائل والحكومة الأفغانية
من صراع وقتال من أجل اشباع شهوة السلطة والحكم، فهل هذه من أخلاق

وقيم ومبادئ خير أمةٍ أخرجت للناس؟.

9/: هل ما يقع في تركيا من صراعٍ وقتالٍ بين الحكومة التركية والأكراد، يجسدُ أخلاقٍ ومبادئٍ وقيمَ خير أمةٍ أخرجت للناس.

10/: أصبحنا أمةً تعشقُ القصورَ ولا تخافُ القبورَ.

11/: أمةٌ تعيشُ داخلَ الأسوارِ ولا تحبُّ أن تعيشَ في القلوبِ .

12/: نحنُ أمةٌ تجسدُ بصدقٍ وفعلٍ وموقفٍ ما وردَ لنا في كتبِ التاريخِ إنه ((بكي

أحدُ أمراءِ الطوائفِ في الأندلسِ أمامَ أمِّه، فقالتُ له ((يا ولدي لا تبكي مثلَ النساءِ على مُلكٍ لم تحافظِ عليه مثلَ الرجالِ)).

13/: هل نحنُ أمةٌ سلبتُ رشدَها عندما اتجهتُ لبناءِ السجونِ وقفلِ مدارسِ تحفيظِ القرآنِ العظيمِ، والجمعياتِ الخيرية؟ فهل هذه أخلاقُ خير أمةٍ؟.

14/: هل من أخلاقِ خير أمةٍ أن يصدرَ تاريخُها الملوثُ بجرائمِ حكامها، أن يصدرَ

الحكمُ على حاكمٍ وهو ساكنٌ في صندوقِ قبره، وشوهدتُ سمعته وتاريخه بسببِ خلافاتٍ وخصوماتٍ وعداواتٍ بين حاكمٍ ومنتقفٍ شاعرٍ، أو مفكرٍ، أو كاتبٍ مثلما فعلَ المتنبّي معَ كافورِ الإخشيدي وما فعلَ ابنُ مماتي معَ (بهاءِ الدين الأيوبيّ) الملقبُ بـ (قراقوش) حاكمُ مصرَ في زمنِ صلاحِ الدين الأيوبيّ والذي بنى سورَ القاهرة، وشيّدَ قلعتها الشهيرةَ وأقامَ قناطرَ الجيزة.

15/: هل خير أمةٍ مازالتُ تفتخرُ بالمعلقاتِ الشعريةِ السبع، التي علقتُ في

الجاهلية، داخلَ الكعبةِ وأصبحتُ عندنا كأثها دستورُ ثقافةٍ وفكرٍ، في حينِ إنَّها مجموعةُ عواطفٍ وانطباعاتٍ وأحاسيسٍ، وفي المقابلِ يفتخرُ الغربُ انجازاته العلمية والفكرية؟ إنهم يتكلمون بلغاتِ الأرقامِ ونحنُ نتحدثُ بالعواطفِ والانطباعاتِ المستعجلة.

الغرور والفساد العربي

عندما تعيش الأمة فترات .. [انحطاط] .. ليس شرطاً أن يكون مادياً فقط. بل قد يكون معنوياً، ويصبح موروثاً ومتواتراً في الذاكرة، فينقل من جيل لآخر. فالأمة العربية وعبر علماءها وفقهائها ومفكراتها ومنتقفيها، تظن أنها من أفضل الأمم وإنها أمة ليس لها مثيل في الكون، في حين أنها مرت وتمر بفترات انحطاطٍ مادي ومعنوي رهيب خجل ويخجل منه التاريخ، فعندما نعود لقراءة بعض صفحات تاريخنا وبقلامنا وليس بأقلام المستشرقين حتى لا ندعى أنهم حاقدون علينا نجد أن تاريخنا العربي ملئ بالصراعات ومكتظ بثقافة الكذب مكشوف بالشذوذ الجنسي والأخلاقى وغيرها وكل خطأ في القرار السلطوي أو الشعبي إنما يؤدي طبيعاً الى غلط في النتائج التي تصل إليها الأمة في هذا المقال سوف أدرج بعض أساليب ومعلومات وثقافة الانحطاط في الأمة العربية، فمثلاً [الغرور] .. و [التعالي] .. و [التكبر] .. على الأمم الأخرى، والمجتمعات هي نوع من تردي الأخلاق، في هذا الجزء أحاول أن أنشر بعض الأبيات الشعرية في هذا المجال والتي توضح مدى الغرور والتكبر والتعالي العربي وبدون حقائق، غرور فقط لمجرد المشاعر والأحاسيس والانطباعات المستعجلة. لأن بعض القصائد الشعرية المنتفخة بالغرور والتعالي أدت وقادت الى حروب وصراعات امتدت لفترات طويلة، كما إنه لدى العرب عادات بعد

انقضاء موسم الحج في الجاهلية، يتجهون لإقامة أسواق تجارية وثقافية مثل سوق عكاظ، وذو المجنة والمجاز، وفيها ينشدون القصائد الشعرية التي يتفاخرون بها على بعضهم بعضاً، فجاء الإسلام وغير لهم تلك الطباع السيئة، والتي تثير الأحقاد من تفاخر وتعالى وغرور بالكذب، فقال لهم الرب جلت قدرته: ((ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))، واليوم تعود إلينا.. [الجاهلية الحديثة].. عبر نشر وإذاعة برامج ثقافية على شكل مسابقات ثقافية، مثل برنامج (شاعر المليون) وغيره، ولأن هذا الأمر له خلفيات غير معلنة، نشرت لهذا البرنامج أساليباً للدعاية والإعلان حيث حمل غلاف مجلة (النيوزويك) الأمريكية إعلاناً مدفوعاً القيمة عن هذه المسابقة الشعرية، وذلك كما نشر في جريدة الحياة 2007/12/26م، وهذا النوع من البرامج هو نوع من أنواع تأجيج العصبية والعنصرية، ويثير الأحقاد والطغائن بين القبائل في الخليج، وهو دعوة صريحة للعودة للقبلية ونفوذها وسلطتها وتأثيرها، والغريب أن الذي يمدح قبيلته شاب لا يعرف شيئاً عن القبلية وعناصرها ولكنه يعرف كل أنواع الكذب والنفاق والتدليس والتفاخر الهش. إن الشعر العربي حمل إلينا قصائد وقصائد وأبيات منتفخة وممتلئة بالغرور والكبرياء والتكبر والعلو على الآخرين، وهذه بعض الأبيات الشعرية من ديوان العرب.



يَقُولُ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ الثَّغَلْبِيُّ فِي مَعْلَقَتِهِ الشَّهِيرَةِ:

وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا	وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا
وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا	أَلَا أَبْلَغُ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا
أَيُّنَا أَنْ نُقِرَّ الذُّلَّ فِينَا	إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا
وَمَاءَ الْبَحْرِ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا	مَلَانَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ	إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيُّ

أعتقد أن الرئيس المصري جمال عبدالناصر استمد كذبتة الشهيرة من نفس نظرية صاحبنا الشاعر (عمرو بن كلثوم)، فقال عبدالناصر لإسرائيل إنه سيلقي بهم في البحر.



ويقول شاعر الأمة العربية العظيم المتنبّي:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رِوَاةِ قِصَائِي	إِذْ قَلَّتْ شَعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مِنْ شِدَا
فَسَارَبَهُ مَنْ لَا يَسِيرُ مَشْمَرًا	وَعَنِي بِهِ مَنْ لَا يَغْنِي مَغْرَدًا
أَجْزَنِي إِذَا أَنْشَدْتُ شَعْرًا فَإِنَّمَا	بِشَعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مَرْدَدًا
وَدَعِ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرِ صَوْتِي فَإِنِّي	أَنَا الطَّائِرُ الْمُحَكِّيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَا

أزعم أنني قرأت كثيراً من أدب وتاريخ بعض الأمم السابقة واللاحقة، لم أجد أي شاعر منها يقول: إنَّ الدهرَ من قصائده، اخرطي يا خراطة!

ويقول الفارس العربي العظيم الشاعر أبو فراس الحمداني، والذي أسر لعدة مرات عند الروم، في قصيدته الشهيرة (لنا الصدر أو القبر)، وهي القصيدة التي غنت مطلعها سيده الغناء العربي أم كلثوم.

وَنَحْنُ أَناسٌ، لا تَوسَطُ عِندَنا

لِنا الصِّدْرُ دُونَ العالِمِينَ أَوِ القَبْرِ



باللَّهِ عَلَيْكَ أليسَ مِنَ العيبِ والعارِ أن يَنتشرَ الفِسادُ والشذوْدُ الجِئسيِّ في أروقةِ ودهاليزِ قِصورِ الحِكمِ العِربِيِّ، فَمَا أَكثَرَ ما حَمَلتَهُ لَنا كِتابُ التَّاريخِ مِنْ رِوايَاتٍ وَقِصَصٍ في هَذا المِجالِ، فَمِثْلاً يَروى:

1/ : أنَّ الخِليفَةَ العِباسِيَّ هارونُ الرِشيدِ كانَ يَسهَرُ في كُلِّ ليلَةٍ مَعَ الشاعِرِ المَاجِنِ و العِريبيِّ أبو نِواسَ، لَأسَفِ إنَّ هَذهَ هي حاشِيَةُ بَعْضِ الحِكامِ العِربِ، الشاعِرُ أبو نِواسَ، كانَ في نِفسِ الفِترَةِ التي ظَهَرَ فيها الإمامُ الجليلُ أحمدُ بنُ حنبلٍ - رَحِمَهُ اللهُ - والذي لَمْ يَقْرِبَهُ الخِليفَةُ إِلَيهِ بلْ جلدَهُ وسَجَنَهُ، وإِليكم هَذهَ الأبياتُ الشِعرِيَّةُ التي تَدُلُّ عَلى الانحِطاطِ والفِسادِ الجِئسيِّ يَقولُ فيها أبو نِواسَ:

غلاماً واضحاً مثل المهابة	وعاذلة تلوم على اصطفائي
لطيب هوى وصال الغانيات	وقالت : قد حرمت ، ولم تُوفَّق
يخادع نفسه بالترهات	فقلت لها : جهلت فليس مثلي
وأحياناً على ظبي الفلاة	أختار البحار على البراري
على ما تكرهين إلى الممات	دعيني ، لا تلوميني ؛ فإنني
بتفضيل البنين على البنات	بذا أوصى كتاب الله فينا

ويقولُ أيضاً:

أحبُّ الغلامَ إذا كَرَّها وأبصرتُهُ أشعثاً أمرها

وقد حذر الناس سكينه
فكلهم يتقي شرها
واني رأيت سراويله
لها تكة أشتهي جرّها



2/: إنَّ الشذوذَ الجنسيَّ لم يقتصرْ على عامةِ الناسِ بل امتدَّ إلى قمةِ الدولةِ العربيةِ الإسلاميةِ، وبعضِ حكامها فمثلاً الوليدُ بنُ يزيدَ من الحكامِ الأمويينَ كان مشهوراً باللواطِ حتَّى إنَّه راودَ أخاهَ عن نفسه، أمّا منَ العصرِ العباسيِّ فنعطى مثلاً بالخليفةِ الواثقِ، والذي كانَ عاشقاً للغلمانِ وكانَ منهم غلامٌ مصريُّ اسمه مهجُ، ملكَ مشاعرهَ وملكَ وجدانه حتَّى قالَ فيه:

مهجٌ يملكُ المهجَ بسجى اللحظِ والدمعِ
حسنُ القَدَمِ مخطفِ ذو دلالٍ وذو عنجِ
ليسَ للعينِ إنْ بدأ عنه باللحظِ منعرجِ

ومنَ يردُ الاستزادةَ منَ هذا النوعِ مِنَ الانحطاطِ العربيِّ فعليه قراءةُ كتاب: (مروجُ الذهبِ)، و(تاريخُ الخلفاءِ) وغيرهما منَ كتبِ التراثِ العربيِّ الشهيرةِ، ولا تتسوا أيضاً أنَّ الخليفةَ الأمينَ العباسيِّ رفضَ أنْ يتزوجَ لأنَّه كانَ عاشقاً لغلامه، وكانتُ أمُّه السيدةُ زبيدةُ تنهره وتوبخه على هذا الفعلِ. فيقولُ لها هذا غلامٌ يخدمُني، ثمَّ تزوجَ أخيراً، ولا أريدُ أنْ أدخلَ في الكتابةِ عنَ الشذوذِ الجنسيِّ في العصرِ الحديثِ، فقد احتاجَ إلى موسوعةٍ، ولكنَّ الأرصفةَ في الغربِ مليئةٌ بالكتبِ التي تحكي عنَ هذا الموضوعِ المقززِ.

نَحْنُ أُمَّةٌ بِلا هويةٍ

نَحْنُ - العربَ والمسلمينَ - نطلقُ كلمةَ هَذَا يهوديٍّ، وهَذَا مسيحيٍّ، لا يعرفُ اللهَ ولا يخافُ مِنَ اللهِ، ولا يستحي مِنَ اللهِ، ثمَّ نستمرُّ بإلقاءِ التهمِ الباطلةِ عَلَى الغربيينَ واليهودِ والنصارى ونقولُ عنهم أَنَّهُم كذابونَ، وغشاشونَ، ومزيفونَ، وأهلُ ربا، ومجرمونَ، ولكنَّ عندما نعودُ لحقيقةِ الواقعِ ونتابعُ مجرياتِ الأمورِ والحياةِ ونفهمُ الحقائقَ كَمَا هي، ونعطيَ طبائعَ الأمورِ كَمَا هي ونعترفُ بواقعنا العربيِّ والإسلاميِّ، وما فيه من تجاوزاتٍ وملاحظاتٍ ونواقصٍ وعيوبٍ ومشكلاتٍ، نجدُ أَنَّنَا نحملُ صفةَ الاسلامِ، بالاسمِ فقط، ولا نملكُ، ولا نحملُ أخلاقَ وقيمَ ومبادئَ الإسلامِ، وأستطيعُ أنْ أقنعَ القارئَ الكريمَ بذكرِ أمثلةٍ بسيطةٍ جداً، بهدفِ تسليطِ الضوءِ، وليستَ المقارنةُ الكاملةُ، لأنَّ المقارنةَ تحتاجُ منَّا الى وضعِ كتبٍ وقواميسَ، وإليكمُ الأمثلةُ.

1/ : **ندعي** أنَّ الغربيينَ يعشقونَ المالَ والماديةَ، وأنَّنَا نَحْنُ - المسلمونَ - أفضلُ منهم، فنَحْنُ أهلُ زهدٍ وورعٍ وتقوى، ونضربُ مثلاً عَلَى ذلكَ هُوَ موقفُ الصحابيِّ الجليلِ، الذي اشتهرَ بالغنىِ وامتلاكِ الثروةِ الكبيرةِ، سيدنا عبدُ الرحمنِ بنِ عوفٍ رضي الله عنه حينَ تبرعَ بنصفِ ثروتهِ لخدمةِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وهوَ مثلٌ ونموذجٌ نعتزُّ ونفتخرُ بهِ كمسلمينَ، وفي المقابلِ جاءَ اليومَ رجلٌ مِنَ الغربِ وهوَ (بيل غيتس) صاحبُ أقوى وأغنى شركةٍ

برمجياتٍ، وتبرعَ بكلِّ ثروته وأبقى لنفسه فقط ثلاثة ملياراتٍ دولارٍ. والمبلغُ الباقي تبرعَ به للفقراءِ والمساكينِ والضعفاءِ والمؤسساتِ الاجتماعيةِ، واليومَ العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ فيه المئاتُ مِنَ الأثرياءِ والأغنياءِ، والذينَ يشغلونَ أهمَ الأرقامِ العشرةَ مِنَ أغنياءِ العالمِ، ولكنْ لَمْ نسمعَ منهم، أو عنهم أُنهم أقدموا على مثلِ هذهِ الخطوةِ الإنسانيةِ التي قدمَ عليها (بيل غيتس)، فأينَ أنتمُ يا أغنياءَ الإسلامِ مِنْ هذا العملِ الإنسانيِّ والإسلاميِّ والحضاريِّ.

2 / : **نَحْنُ** العربُ نتهمُ الغربَ بأنهم يحبونَ الدنيا ويركضونَ وراءَ شهوةِ الحكمِ، ولكنَّ الحقيقةَ غيرَ هذهِ، فنحنُ العربُ نعشقُ ونقدسُ، شهوةَ الحكمِ، فنحنُ العربُ مَنْ وضعَ فكرةَ توريثِ الحكمِ، وأوَّلُ مَنْ وضعه وصاغه هوَ الخليفةُ الأمويُّ معاويةُ بنَ أبي سفيانٍ رضي الله عنه، وهذهِ الشهوةُ التي لا تشبعُ في ذاتِ العربيِّ هي سببُ الصراعاتِ والحروبِ والمشكلاتِ بينَ العربيِّ والعربيِّ.

وعندما نذكرُ الغربَ نستطيعُ أن نذكرَ الزعيمَ البريطانيِّ الشهيرِ ورئيسِ وزراءِ بريطانيا أبانَ الحربِ العالميةِ الثانيةِ، والذي حققَ النصرَ لبريطانيا، رفضِ الشعبِ البريطانيِّ تجديدَ الثقةِ فيه.

3 / : **نَدَّيْ** نحنُ العربُ أننا أمةٌ لا تغشُ ولا تكذبُ، ولا تزورُ، ولا تزيفُ، في حينِ القيادةِ العربيةِ، والتي يفترضُ أن تكونَ هي القدوةُ الحسنةُ هي التي تكذبُ وتزيفُ، حيثُ يعدُّ الرئيسُ جمالُ عبدالناصرِ أوَّلُ زعيمٍ

عربيٌّ أوجدَ فنَّ ومنهجَ التزويرِ في الانتخاباتِ حينَ حقَّقَ لنفسِه نسبةً 99.9 في المئة.

4 / : **القضاءُ العربيُّ الإسلاميُّ** يفترضُ أن يكونَ أنقى وأفضلَ وأرقى قضاءً في العالمِ، ولكنَّ الواقعَ يقولُ عكسَ ذلكَ، فكُلُّه غشٌّ وتلاعبٌ في الأحكامِ ومسيطرٍ عليه من السلطنةِ العربيةِ وأروقتها في حينَ أن القضاءَ الغربيَّ أصبحَ أفضلَ من القضاءِ الإسلاميِّ، فهذا الرئيسُ الفرنسيُّ ساركوزي ترفضُ إحدى محاكمِ باريسَ دعوةً تقدمَ بها، ولمْ يستطعْ استخدامَ صلاحياتِ، أو نفوذِه كرئيسٍ للدولةِ في إجبارِ المحكمةِ بقبولِ الدعوةِ وإصدارِ له وفقَ مزاجِه وهوأ.

5 / : **يقولُ سيدنا محمدٌ ﷺ**: "واللهِ لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقتْ لقطعُ يدها!" هذا منهجُ مجتمعِ المساواةِ والعدالةِ في الإسلامِ، وهذه قيمٌ ومبادئُ الحكمِ الإسلاميِّ، ولكنَّ أمتنا العربيةَ الإسلاميةَ لا تقيمُ قواعدَ وقيمَ وأخلاقَ ومبادئَ المساواةِ والعدالةِ بينَ الراعي والرعيةِ. فالراعشي يفعلُ ما يشاءُ، وكيفَ شاءَ، وفي ما شاءَ، في حينَ أن اليهودَ أصبحوا أفضلَ منَّا نحنُ العربَ والمسلمينَ، فهذا اليهوديُّ رئيسُ وزراءِ إسرائيلَ (اولمرت) تمتَ محاكمتهُ واتهامُه بالرشوةِ واستغلالِ مركزه السياسيِّ، وتمتَ إدانتهُ، وأجبرَ على تقديمِ الاستقالةِ منَ الحزبِ ورئاسةِ الحكومةِ، أيَّ إنَّ مستقبله السياسيَّ قد انتهى بهذه الفضيحةِ

السياسية، هذه هي قواميسُ وقواعدُ العدالةِ والمساواةِ، فماذا يحصلُ
عندنا كأمةٍ عربيةٍ ومسلمةٍ لو تمتُ محاكمةُ بعضِ من القياداتِ؟
فكرُوا في الجوابِ! ولا تغضبُوا مني حينَ تصلونَ لتكوينِ الجوابِ، لأنَّه
سوفَ يتأكدُ لكم إنَّنا أمةٌ بلا هويةٍ! ولا مستقبلٍ، ولا كينونةٍ، ولا قوةٍ، ولا
رأي، ولا موقفٍ، ولا أخلاقٍ، ولا قيمٍ، ولا مبادئٍ.

قالوا عن زهير كتبي

- ● وعند مراجعة بعض كتب ومقالات الأخ زهير تؤكد لنا أن هذا الرجل يحمل شخصية أديب وكاتب ومفكر يتسم أسلوبه ومنهجه بالإصلاح. حسين عرب جريدة اليوم: 1422/8/17هـ
- ● الدكتور زهير كتبي وهو رجل من أصحاب الرأي في هذا الوطن، أحسبه والله حسيبه ممن يقولون الحق وبه يعدلون، يصدع بالرأي المستنير، ولا يخشى في الله لومة لائم، لا يخافت، ويعلم ولاة الأمر بما يراه من المناصحة كتابية ومشاهدة في وضوح لا من خلف شبكات الظلام!..
محمد ناصر الاسمري . جريدة الوطن : العدد(3034)
- ● وكتابات الأخ زهير كتبي تعبر عن أن الكتابة عنده موقف أخلاقي وكتاباته فيها ضرب من الإثارة وأحكامه مبنية على وثائق ونتائج مدروسة وهو من الكتاب المثقفين المحللين للحدث الثقافي والفكري والسياسي.
أ.د/ عبدالملك بن دهيش . جريدة اليوم العدد (10360)
- ● الدكتور زهير من نوعية مميزة من الكتاب، بل في تصوري (مفكر) من وزن ثقيل .
د/ عبدالرحمن العرابي . رئيس تحرير جريدة الندوة سابقا، جريدة المدينة العدد (16422)
- ● إن ساحتنا الصحافية والفكرية بصورة عامة في حاجة إلى شيء من صراحة زهير لتحريك البحيرة الراكدة، والخروج من أحادية الرؤية وضيق الزاوية إلى منظور يتسم بالرحابة وتباين الرؤى.. وزهير بجراته وشخصيته الاقتحامية المتمردة على قوالب الجمالة السائدة مؤهل لأن ينصب إشارة مرور حمراء تعبر عن قناعتها بصلاية وثبات.
محمد صادق دياب جريدة اليوم العدد (10360)
- ● زهير كتبي / ظاهرة مثيرة للتساؤل وحافزة للجدل، وكتابته مشرقة مع توفر الموهبة والعبقرية في شخصيته. ومن ذوي النظرة الثاقبة، يملك أدوات الناقد ومناهج الرصد، هو بطبيعته عقل نقدي مميز.
أ.د/ محمد عبدالمنعم خفاجي . كتاب/ زهير كتبي.. المثقف والأديب ورجل المواقف
- ● أما معدن زهير كتبي الفكري والثقافي فهو معدن أصيل، إنه صاحب مبدأ ومواقف شامخة، ومن يهز جذوره يكتشف عناده وتمرده ورفضه لكل معاني وحالات الظلم والقهر، ويرتكز المنهج التنويري عند الكتبي على ركيزة من التفكير الواعي، ومنهج الكتبي يرسم صورة واقعية للمثقف المعاصر، ومنهجه في التنوير الإجتماعي والسياسي يأبى التطرف.
أ.د/ عبدالعزيز شرف . كتاب/ الفكر التنويري، دراسة في منهج زهير كتبي

•• زهير.. مفكرٌ يحملُ شجناً فكريَّةً غايَّةً في الرقيِّ والتميزِ ويملكُ أفقاً واسعاً مؤسس برؤيةً صائبةً وهو قادرٌ على طرح أفكاره وآرائه في شتى مناحي الحياةِ بمنتهى القوةِ والإقتدارِ.

جريدة الهدف: 1993/11/6م

•• عندما تجلسُ إليه تشعرُ أنكَ تحاورُ مفكراً واعياً ومثقفاً ناضجَ الثقافةِ وصاحبَ رؤيةٍ صافيةٍ، آرائه هادئةٌ وجريئةٌ لدرجةٍ واعيةٍ، حديثه شيقٌ.

جريدة السياسة: 1993/10/5م

•• كلُّ ذي نعمةٍ محسودٍ وأخشى على الدكتور زهير كتبي من الحسدِ، إنني أتمنى أن نتعلمَ من الدكتور زهير كتبي كيفَ نحبُّ مكةَ المكرمةَ، ومن أحبُّ مكةَ المكرمةَ فقد أحبَّ المملكةَ العربيةَ السعوديةَ.

د/ عبد العزيز داغستاني.

جريدة البلاد العدد (17999)

•• لا يشكُّ مخلصٌ لهذا البلدِ أنَّ "زهيراً" ثمرةً من الثمراتِ التي تجبى إلى هذا البلدِ الأمينِ.

المؤرخ/ عاتق بن غيث البلادي

رسالة خاصة: 1420/8/26هـ

•• الكاتبُ والأديبُ زهيرُ كتبي وهو كواحدٍ من العلاماتِ البارزةِ في حياتنا الثقافية له رؤيةٌ خاصةٌ في وضعِ الثقافةِ الإسلاميةِ.

جريدة المدينة المنورة، ملحق الأربعاء: 1412/5/28هـ

•• المفكرُ الحرُّ هو الذي يكتبُ بموضوعيةٍ وبدونِ اجندهِ داخليةٍ، المفكرُ والمثقفُ هو الذي يحملُ مشروعاً يترجمُ فيه رؤيةً بفكرٍ مستقلٍ، شكراً لأنك تفكرُ باستقلاليةٍ وموضوعيةٍ، أنتَ لستَ مفكراً فحسباً، أنتَ مواطنٌ شريفٌ ومفكرٌ له كلُّ التقديرِ.

معالي وزير الثقافة والإعلام الدكتور عبدالعزيز خوجه 1435هـ

•• دكتورنا الغالي بعد التحية تقفُ كلماتِ الشكرِ عاجزةٌ عن إيفائكم حقكم يا أيا جميلٍ فما سطره يراكم

أجملَ من جميلٍ وموقفكم نبيلٌ لا عدمنك رمزاً للانصافِ والبعدِ عن سوءِ الظنِّ والاسفافِ بوركتم ووفقتم،

معالي الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

الدكتور الشيخ عبدالرحمن السديس 1435هـ.

أراء القراء في زهير كتبي

أغلى، وأفضل، وأرقى، شئ في حياتي هو ما كتبه، أو علق عليه بعض القراء الفضلاء والنبلاء وهذه بعض ما كتبه القراء عني أفتخر بأن أنشره في هذا الكتاب.

■ **د : صديق الحكيم :** كاتب رأي بصحيفة 25 يناير . أتابع ما تكتبون ومعجب بطريقتكم في عرض

الموضوعات والاقتراب من المشكلات الكبرى وطرح الحلول.

■ **محمد صالح الشمري :** الدكتور زهير أولاً والله لمن أشوف صورتك أضرب لك تحية سلام أنا من

المؤيدين لشخصك الكريم فعلاً أنت إنسانٌ وطنيٌ ولديك وطنيةٌ بس حنا في زمنٍ يحاربُ هذا

النوع أسألُ اللهَ للدكتور زهير التوفيق والسداد سر ونحن إن شاء الله معك قلباً وقالباً وأصلح

الله لك ذريتك ونصرك لخدمة الإسلام والمسلمين أنت يا دكتور قمة بس وين الذي يقدرها

تحياتي واحترامي .

■ **فهد عبد الحميد :** أحبك يا وطني والأحرار في وطني أكبرهم الدكتور الكبير زهير كتبي.

■ **الدكتور الحارثي :** أتمنى مقابلتك لتقبيل رأسك، يا سفير وأمير الشعب السعودي.

■ **سعيد محمد القحطاني :** الأخ الدكتور زهير أولاً: نشكرك على حماسك وغيرتك على بلدك وهذا

ليس بمستغرب، ثانياً: كلامك سيقف له كل غيور ومحافظ على أمن هذا البلد احتراماً

وإجلالاً، وفي نفس الوقت لن يعجب البطانة الفاسدة المحرصة لولاة الأمر على محاربة الغيورين

فهذه البطانة الفاسدة ترغب في البقاء مكانها تأكل وتشرب وتستفيد لنفسها ولا يهملها غيرها

ولو أعطيت الفرصة ستدوس على كرامة المواطن فكما أنها سبب في مشاكل البلد فهي من

ينهش في جسم الدولة، أما أمثالك فهم دعامة هذا البلد شاء من شاء وأبى من أبى وستظهر لك

الأيام من يقف وراء مصلحة البلد ومن يقف ضده . ثالثاً.

■ **أبو محمد :** أنت رجلٌ والرجال قليلٌ معك شهادة الدكتوراه وكاتبٌ ومثقفٌ لو غيرك قال ليش

أفكر في مصلحة البلد، والله لو أقابلك يا دكتور لأحب فوق رأسك أنت شخصٌ نتشرف به.

■ **أكدت أنه الموازين :** ليس بغريب على كاتبنا حبه للوطن والمواطنين، وهذا واضح من خلال

كتاباته ومقالاته الذهبية وأخيراً بمدخلته النارية في برنامج البيان التالي مما أتلج صدورنا

وعبرت عن هموم تشغله وتشغلُ المواطنَ المقهورِ المغلوبِ على أمرِه فهنئاً لنا بكتابٍ مميّزٍ وجرئٍ
لقول كلمةٍ حقٍ لم يستطع قولها كثيرٌ من الجبناء.

■ **حسان القرشي** : أشكرُ صراحتك وطرحك لما هو يصبُ في الصالح العام وكنت في غاية الوضوح
وطرحت المشكلة بحجمها الحقيقي.

■ **محمد ال جراد** : مواطنٌ في القرنِ 11 عندما نطقتُ بكلماتٍ لم نعدُ نصدقُ بأنّه هناك أحرارٌ
يتجرأون على قولها من طبقة المثقفين قالوا له قف ! عندما ترجم صرخة يعول بها الشارع في
وطننا قالوا له قف ! تحدث و زار دكتورنا كتبي عندما كان غيره من المطبلين الزاعمين من
التيارات الاسلامويه والتيارات الليبرالية وغيرهم ممن ينافقون كلاً منهم في فكره ونهجه
وتوجه تياره وهم ابعد ما يكونوا عن هم المواطن وحقه . اقسم بالله أن الشعب السعودي في
مجمله معك ولو اوقفوك سوف نقف عن إعلامهم نريد مقاطعة الإعلام السعودي آه لو نتحد
ضد هذا الإعلام المسير إعلام أشبهه بعبد من عبيد تاريخ قريش . ابعد ما يكون عن الحرية
والحق المشروع له ونريد أن نكون في يوما ما إحدى دول العالم الأول ! ونحن ابعد ما نكون
عن حقيقة حريته ! آه منك يا وطني او كما قال زهير "كم أحزنتني يا وطني" . الحمد لله
أتمنى من الله العظيم أن يرزقنا في بلدنا هذه بعشرة رجال مثلك يكتبون ما يحسون به بلا
محاباة لمصلحة أو مجاملة إن كان و ما هو على الله بعزيز سنجد أننا في مقدمة الدول إن شاء
الله .

■ **حمد بن سعد** : دكتور زهير وحقيقة رب ضارة نافعة في عصر تقنية المعلومات اصبح من السهل
معرفة رجال مثلك. يحز في نفسي ان شعب الجزيرة العربية وذلك يشملها بالكامل ارتضى
لنفسه الذل والاهانة واكل الفتات والابداع في الثناء على من سرقه واستعبده. لكن استثني
رجال ونساء عصر تقنية المعلومات الذين فيهم ما يكفي من الشجاعة للتضحية من اجل وقف
الصوص.يا رب احمي عبدك الضعيف زهير وانصره على اعداءه واعلي من شأنه اذا كان
قصده قول كلمة حق . ولكنني ارى ان العدل سوف يحل قريبا على الجزيرة وذلك على ربك
هين. اتمنى لك الصحة والعافية.

■ **سلطان الزهراني** : الساكتُ عن الحقِ شيطانٌ أحرصُ قلتُ فصدقتَ . وكسبتَ ملايينَ القلوبَ

وحبَّ الناسٍ محبةَ الناسِ لا تشتريَ بمالٍ، أو بمجاملةٍ منافقٍ أنتَ خسرتَ شخصاً ولكنَّ كسبتَ ملايينَ الأشخاصِ للهِ دركٌ، اللهُ يحشركَ معَ النبيينَ والصالحينَ وإنَّ يحسنَ ذكركَ .

■ **ريما** : طالبة ماجستير أمريكا . شكراً كلَّ الشكرِ لكِ دكتورُ على صراحتكِ وغيرتكِ على وطنكِ، حقيقةً أعجزُ عن شكركِ على موقفكِ الشجاعِ والنبيلِ في قولِ كلمةِ الحقِ.

■ **نايف الشيخ** : لمَ أعرفكِ أيه الدكتور الشهمُ إلا بعدَ مداخلةِ قناةِ دليلٍ ولربَّما إغبتكِ في مجلسٍ، ولكني في الواقعِ كنتُ أجهلُ من أنتَ . ولإحساسي بتأنيبِ الضميرِ أحببتُ الاعتذارَ إليكَ فهلُ تقبلَ مني إعتذاري؟ أسألُ اللهَ لكِ التوفيقَ والسدادَ.

■ **ابو سعد** : طالبٌ متواجدٌ في أمريكا ، أسعدُ اللهُ أيامكَ وجزاك اللهُ الفَ الفَ خيرٍ على ما قدمتَ في قناةِ دليلٍ ليومِ الجمعةِ 25 - 3 - 1433 ، واللهُ ثمَّ واللهِ لمَ استغربِ هذا الخبرِ، لكنَّ غيرتكِ الوطنيةَ والدينيةَ وشجاعتكِ وقولكِ الحقِ على مسمعِ منَ الملايينَ جعلتني أقفَ احتراماً لكِ وتقديراً وشكراً جزيلاً.

■ **سعد الشمري** : انت يا دكتورُ زهيرُ واللهِ ليسَ مجاملةً لو اشوفكَ أقبلُ على رأسكِ أنتَ رجالٌ في رجلٍ أنتَ مواطنٌ فعلاً تحبُّ بلدكُ وتتمنى له الخيرَ دائماً اللي يقولُ الصدقَ يبعدُ، واللي يقولُ الباطلَ يبعدُ إلى الامامِ يا دكتور لقد كسبتَ قلوبَ الكثيرينَ.

■ **د. نجات الصانع** : الجميعُ يعرفُ قلمكُ ويعرفُ جرأتكُ لكنَّهم لا يعرفونَ إنسانيتكُ وقلبكُ ولا يعرفونَ أنَّك الصدقُ نفسه لا يعرفونَ أيديكِ البيضاء في مجتمعكِ، لا يعرفونَ كمَ كربتَ فرجتَ وما أنتَ فيه محنةٍ لكني على يقينٍ أنَّ اللهَ سيفرجُها لكِ قولكِ الحقَ وحبكِ لوطنكِ وأهلَ مجتمعكِ هوَ من سیرفُعُ الظلمَ عنكُ دعاءَ المظلومينَ والفقراءَ الذينَ أسمعُ دعاءهمَ لكِ، هوَ من سيعونُ العونُ لكِ نمَ قرير العينِ ياسيدي فقناعتكُ بحبِ الوطنِ لا يدركها إلا من يعيشُ معكُ وأنتَ من ترددُ دائماً قولَ الشاعرِ: وطني لو شغلْتُ بالخلدِ عنه ، نازعتني إليه بالخلدِ نفسي. هي محنةٌ وستمرُّ كما مرتَ غيرها المهمُّ أنَّك شعرتَ بحبِ الناسِ لكِ واتفاقهمَ على ما تقولُ ولنُ يصيبكُ إلا ما كتبَ لكِ، دمتُ لنا ظلَّ نشعرُ بالأمنِ بوجوده.

■ **عبدالجيد قسم بالله** . إنني تمنيتُ أنني أستطيعُ مقابلتكِ لتقبيلِ رأسكِ ككثيرِ اللهِ من أمثالكِ . وبالتوفيقِ يا دكتور .

■ **صالح مهندس** : د زهير أيها البطل لا يعرف النفاق ولا المجاملة ولا الاطراء تعجبني كثيراً والله والله العظيم أنها قد أثرت بي كثيراً جداً، حيث أنني أحسست أنك قد اختصرت بعض مما يعانیه كثيراً من أفراد الشعب السعودي أطلب من الله العليّ القدير أن نراك في أعلى المناصب وفي أهم الوزارات.

■ **عبدالله محمد البركاتي** : محب لمكة وأهل مكة بارك الله فيك يا أبا هوازن وأكثر الله من أمثالك، أحيي فيك الروح المكاوية الحجازية الوطنية، والله يادكتور إنك كنت تتكلم بلسان الكثيرين في البيان التالي وإنك قلت كلاماً لا يمكن أن يقوله كثير ممن يدعي الوطنية، في الصميم، إلى الأمام يا أبا هوازن والله معك، أحبك في الله يامكافح.

■ **عارف الرويلي** : كبير أيها الكبير! والكبير لا تصدر منه إلا الكلمات الكبيرة.

■ **سراب** : لله درك يا دكتور ما أزعجني أكثر إن من قال كلمة حق لم تمضي سويغات على إيقافه، ومن تناول على الله جلا جلاله وعلى حبيبنا محمد ﷺ يسرخ ويمرغ أمامنا لا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل وكفى حفظك الله يادكتور من كل مكروه وكثر الله من أمثالك الشرفاء فلا تزعل ولا تبتأس وتذكر هذا الحديث للرسول ﷺ عن ابن عباس ﷺ. قال. كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات : «يا غلام إني معلمك كلمات فاحفظهن، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك جفت الأقلام، وطويت الصحف»

■ **أبوفارس** : لا تمنع النصيحة يا دكتور من التوقف مهماً كان لم أجد في كلامك أي خطأ يذكر، بل أنت من الناصحين أكثر الله من أمثالك، وأنا وكثير من أهل هذه البلاد نبحث عن الصلاح لهذه البلاد والخير.

■ **ابو عبدالرحمن** : بارك الله فيك يادكتور أنت رجل نادر في هذا الزمان.

■ **هاني العساف**: بارك الله فيك، وسدد خطاك نفتخر بأمثالك والله، خاصة وأنت تحمل هموم مجتمعك الذي تعيش فيه وتهتم له ليس لخدمة مصالحك كما يفعل كثير من المحسوبين على الأدب والثقافة، أو الصحفيين، أو الإعلاميين بوجه عام سر، ولا يهتمك ما يقوله الحساد

والناسُ السليبينَ ، فنحنُ بإذنِ اللهِ رَغَمَ صمتنا إلا أننا نَميزُ بوضوحٍ مَنْ يسعى لخدمةِ مصالحه
ومَنْ يسعى لتصحيحِ أخطاءِ المجتمعِ وتوعيتهِ والعملِ على الإصلاحِ أيًّا كانَ شكَلَه!.

■ **أحمد :** لا تحملُ همًّا يا دكتور إذا أوديتَ ، صنعتَ لنفسِكِ مجدًّا كبيرًا أنصحُك ، لا تحسُّهم
بضعفِك ، أنتَ قويُّ بكلماتِ الحقِ التي هيكتوبها لكِ التاريخُ باراتِ إختراعِ كيفَ تجتث
الفسادُ مِنْ بلدك.

■ **عبدالسلام الصاعدي :** يا دكتور اللهُ دركُ أنَّك قلتَ كلمةَ الحقِ ولكنَّها موجهةٌ وأكبرُ دليلٍ إيقافُ
البرنامج.

■ **طلال الحربي :** مفكرٌ سعودي . باركَ اللهُ فيكِ دكتور زهير.. قلوبنا معكِ وأصواتنا ستكونُ صدى
صوتكِ لا تحزنُ ولا تبتأسُ لكلِّ قضيةٍ ثمنَ تضحيةٍ ، وستكتبُ الأجيالُ القادمةُ مقولتكِ في
صحيفةِ التاريخِ الذي لن يمحي ، لن يسقطَ القلمُ ، وساريةُ الصوتِ سترتفعُ ، بلغك اللهُ مناكِ
ورزقكِ مَنْ حيثُ لا تحتسبُ.

■ **ابو هوازن :** اللهُ قولَ الحقِ اللهُ يافقراءُ بلدي اللهُ يامنُ نطقتُ بالحقِ في ليلٍ أظلمَ لايجرؤُ عليه أحدٌ الا
الأحرارِ أمثالكِ ياخادمَ الحرمينِ وناصرَ الفقراءِ في بلادِي حفظك اللهُ لنا وأصبغك اللهُ موفور
الصحةِ والعافيةِ أنتَ أملنا بعدَ اللهُ في قتلِ الفقرِ في بلادِي.

■ **سلطان قليل الحارثي :** مهندس ميكانيكي بارك اللهُ في جهودكِ الرائعةِ بالفعل لكِ من اسمكِ
نصيبٍ وافرٍ من الازهار المعريفِ الرائع .

■ **عبد المعين الحازمي :** دكتور انت ارجل واحد في الدنيا ، يارب يحفظك لاهلك ولنا ونشوفك في
اعلى المناصب.

■ **محمد العتيبي :** تحيةٌ عسكريةٌ لكِ يادكتورنا العزيزُ احترامِي.

■ **أبو محمد :** اللهُ دركِ يا رجل ، أحبيكَ على صراحتكِ وأمانتِكِ في مداخلةِ قناةِ دليلٍ ، حفظك اللهُ
وحمالكِ.

■ **عبد الله بخيت الصبحي :** سعادةِ الدكتور . أحبيكَ مِنْ مدينةِ الرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ (طيبةُ
الطيبةُ) ، لقد شاهدتُ واستمعتُ مداخلتكُم على قناةِ دليلٍ عن موضوعِ الفقرِ ، وواللهُ العظيمِ

أنها قد أثرت بي كثيراً جداً حيث أنني أحسست أنها قد اختصرت بعض مما يعانيه كثيراً من أفراد الشعب السعودي ومنهم كثيراً جداً في المدينة المنورة، ومن هنا أنا أسأل الله العلي العظيم أن يوفقك لما يحبه ويرضاه ويجعل ما تقوم به في ميزان حسناتك وأن يصلح لك النية والذرية وأن يرزقك من واسع فضله وأن لا يحوجك لأحدٍ إلا للواحد الأحد، أطال الله عمرك وأمدك بعفوه وعافيته وتوفيقه.

■ **الدكتور منير البصكري الفيلاي** : المغرب تحية صادقة . والله طال الأمر بيننا ، واشتقنا لرؤيتك والاجتماع بك والاستمتاع بحديثك ، عرفت فيك الصدق والإخلاص في العمل وحب الوطن . وأمثالك قليلون في عالم ما أحوجنا فيه إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فإليك صديقنا ومحبتنا الأستاذ الدكتور زهير أغلى متمنياتك بالصحة والعافية وطول العمر ، حتى تبقى دائماً نبزاً منيراً لكل من يقرأ مؤلفاتك ومقالاتك فأنت فيها أديب مبدع ، تتمتع بحس متيقظ ونزعة إصلاحية من خلال رحابة فكر ورؤية متقدمة ، وهي كلها لخصبها وغناها تغري ، ليس بمجرد الحديث عنها ، ولكن لإفاضة القول فيها بما هي جديرة به ، وكذا بما هو جدير به من إشادة وتنويه .

■ **عادل حسين محمد الحرازي** : أتمنى لك حياة سعيدة ومريحة ميسرة أمين ولا أنسى لك معروفاً قد تكون أنت لا تذكره ولكن أبشر بكل خير .

■ **م / محمد محمد صالح سمرقندي** : د زهير هذا الرجل المبدع كيف به إن يضع القلم بين أنامله فيبحر بين الصفحات البيضاء متنقلاً بين الأسطر يملؤها ثقافة وعلماً ، غيوراً محباً لمكة ولأهلها الطيبين وعاشقاً لترابها ، متواضعاً مع جميع محبيه وأصدقائه ، د زهير لا يعرف الكبر أو الغرور رغم مكانته الاجتماعية وتآلقه ، ترى الابتسامة الرائعة على وجهه البشوش دائماً ، ليتني كنت مثلك كاتباً لا عبر عنك أكثر وأكثر فاعذرني أخي زهير على قلة حيلتي في الكتابة ، لك مني الدعاء بالتوفيق والتألق دائماً وأبداً .

■ **هوازن زهير محمد جميل كتبي** : والدي الغالي والعالي فوق رؤوسنا سنظل نفخر ونعتز بك وبكل ما تكتب وتقول فأنت الأب المثالي والحنون ، وسيدي أقول لك لا تعر اهتمامك لمن يقلل من جهدك ورأيك وكفاحك وعصاميتك ، إلى الأمام ياهمام عموماً تذكرت عبارة تعبر عن ما يجول في

خاطري لك يا سيد الوالد العزيز ((يضل الإنسان في هذه الحياة، مثل قلم الرصاص تبريه العثرات ليكتب بخطٍ أجمل وهكذا حتى يفنى القلم فلا يبقى له إلا جميل ما كتب)).

■ **العميدة متقاعد / محمد صالح البركاتي:** رائع كعادتك ملهم مبدع، متقف حقيقي، شجاع، يقظ لما تقول، صريح في رأيك وكل مواقفك رجولية سجلها تاريخ هذه البلاد. نصرَكَ اللهُ.

■ **عبدالله أصغر :** والله أعجبتني كثيراً الجهد الذي بذلته في خدمة الإسلام والوطن وأقول لك جزاك اللهُ خيراً.

■ **منصور جابر :** معد ومقدم برامج . سعيدٌ بمروري على هذا الموقع، وسررتُ بحرصك على تعزيز مكانة مكة وتوثيق تاريخها، رأيتُ صورتك في كتاب الأوائل لمكة المكرمة في العهد السعودي للشريف محمد الحسني أرجو لك حياة حافلة بالعطاء والبركة.

■ **احمد محمد الشريف :** بعض الناس يولدون في ظروف طبيعية ولكن تحيط بهم تحديات من كل صوب، ومع ذلك يعبرون الصعاب ولا ينفعون أنفسهم فقط، ولكن يتحولون لطاقة عطاء تشع في مجتمعاتهم وفي غيرها وأنت يا دكتور زهير منهم فواصل رسالتك وكن كما أنت لا كما هم يريدون فأنت تمثل الجيل المؤمن برسالتك وتأثير الكلمة فسوف تصل الى هدفك وأنت كما أنت إن شاء الله.

■ **حسني حسن عبدالمطلب الباكستاني :** اللهُ يوفقك وأتمنى المزيد من التألق والازدهار والإبداع يا شجاع ويا سيد الشجعان.

■ **حازم محمد وجيه :** بارك اللهُ فيك وفي أمثالك ممن يحملون على عاتقهم لواء الكلمة الشريفة هدفهم الإصلاح الحقيقي.

■ **د.عبدالرحمن مسعود بخاري :** د.زهير أشكرُكم شكراً جزيلاً لكل ما قدمتموه لمكة المكرمة خاصة وللحجاز بصفة عامة وأسجلُ احترامي لشخصكم الكريم وإعجابي بأرائكم الفذة، وأتمنى من حضرتكم تزويد الموقع ببقية مؤلفاتكم، لأنني أحاول الوصول لها وبالخصوص القديمة منها، فأرجو أن تروي عطشي بأسرع وقتٍ ممكنٍ ولك مني جليل الشكر والتقدير.

■ **محمد المحمادي :** كتابات الدكتور، زهير كتيبي، تعتبر من الكتابات النادرة، المتميزة، التي تتال إعجاب، كل منصفٍ ولن أكون مبالغاً، لو قلتُ، بأنها تعتبر مدرسةً، يستفيد منها، كل

مهتم بكتابة المقالات، وقيام الدكتور زهير، بتدوين كتاباته ومؤلفاته، في هذا الموقع، أمرٌ يشكرُ عليه لكني مع ذلك، أتمنى من الدكتور زهير، أن يضيفَ جميعَ المقالاتِ القديمة، بما فيها الردودُ والتعليقاتُ والمعاركُ الكبيرةُ التي خاضها وفي الختام: أتمنى للدكتور زهير التوفيقَ والنجاحَ، والحفظَ والحمايةَ من كلِّ سوءٍ ومكروهٍ.

■ **خضر معوض العمري**: جهودٌ ملموسةٌ وواضحةٌ يا دكتور جمعتَ بينَ شرفِ العلمِ و شرفِ المعلومةِ و لا أرى ذلكَ إلا إصطفاءً من الله لك.

■ **محمد علي محمد الرشيدى**: ليسَ بغريبٍ على أهلِ مكةَ أن تكونَ منها وكم أخرجتُ مكةَ من رجالٍ ويكفي سيدنا وحبينا وقررة أعيننا رسولُ الله ﷺ نوراً لله عليك وعقبالَ ما نرى كتابك عن اليماني رحمَ الله والدينا .

■ **عبدالله بن مفرح الشهراني**: أخي د زهير نقاء سريرتك ولم تطأطئ رأسك يوماً للمحسوبيات، أو المجاملاتِ لكنتك عشتَ مرفوعَ الرأسِ بينَ مَنْ يعرفك ومَنْ لا يعرفك أحبيك على منهجك الذي لم تلوثه بأفكارِ المتصلحينَ على حسابِ رفعِ المستوىِ الذاتي، أو الظهورِ المصلحي.

■ **د/ منير البصكري الفيلاي المغربي**: أخي وصديقي الأستاذ الدكتور زهير، تحيةً طيبةً . إنني منذُ أن تعرفتُ إليكم، توسمتُ فيكم خيراً كثيراً نظراً لثباتِ مواقفكم، ودفاعكم عن هويةِ الأمةِ وثقافتها، ولم يكنْ ذلكَ غريباً عني، فقدُ رسمتُ لكم صورةً رائعةً من خلالِ حديثِ والدي الحاج محمد البصكري الفيلاي رحمه الله، ثم قرأتُ لكم بعضاً من كتاباتكم، فقوى ذلكَ يقيني أنني أمامَ كاتبٍ كبيرٍ، له من المؤهلاتِ العلميةِ والفكريةِ الرصينة، ما يمكنُ أن يجعلَ منه مثقفاً حقيقياً، هدفه خدمةُ الوطنِ والأمةِ، تحذوه غيرةٌ عارمةٌ لتحقيقِ الأفضلِ، وفيما بعدُ قيدَ الله لي أن أتعرفَ عن قريبٍ على الرجلِ حينَ قمتُ بعمره رفاةً والدي رحمها الله، فازددتُ حباً وشغفاً بالأخلاقِ الفاضلةِ، والثقافةِ الهادفةِ، والفكرِ الخلاقِ للأستاذ زهير، حينها أدركتُ بلا مواربةٍ أن الأمةَ بخيرٍ، وأن رجالاً من أمثالِ الدكتور زهير قادرونَ بحولِ الله وقوته أن يصلوا بهذه الأمةِ إلى برِ الأمانِ . صدقني أخي زهير إذا قلتُ لكم بأننا في أمسِّ الحاجةِ إلى أمثالكم ممن عرفوا بالتضحياتِ الجسامِ في سبيلِ أن تنهضَ الأمةُ، خاصةً والعولمةُ

تكادُ تجرّفُ كلَّ ما حولها لهذا وأنتم على مشارفِ الوصولِ إلى الكتابِ المائة، آملُ أنْ تخصصُوا ما بقي للكتابة عن حاضرِ الأمة ومستقبلها، وليكن التركيزُ على الشباب.

■ **السيد سمير احمد بركة** : مستشار . أنا سعيدٌ بهذه الطلّة العنكبوتية لكاتبنا المكيّ الغيور الدكتور زهير الذي إن حوربَ هنا ظهرَ هناك بمفرداته وكلماته ونبضه فسّرَ على بركة الله والبارئ يحفظكم ويمدكم بعونه وتوفيقيه.

■ **محمد غزالي يماني** : نبارك لمكة المكرمة وأهل مكة هَذَا الموقعُ المبارك، زهيرُ كتبي اعتبره واحداً من أبنائي ومن طلابي حيثُ كان طالباً في كلية المعلمين وكنتُ فيها محاضراً، أوّلُ ما رأيته كان ذلك في مكتب الأستاذ عدنان كاتب بكلية المعلمين عام 1398 هـ، أرغمني على أن أستمع إليه وهو يتكلّم في أحد القضايا الاجتماعية، كان يكتبُ في الندوة وخلال سنواتٍ قلائلٍ أصبحَ واحداً من أبرز كتابها، ومع بداية هذا القرن فرضَ زهيرُ نفسه على الساحة كأفضل كاتبٍ مكي، واحدٌ وأهمُّ وأفضل الكتاب في بلادنا وأحد أهم المدافعين عن مكة وأهل مكة المكرمة.

■ **ميّ خالد العتيبي** : كنتُ في مكتبِ الدكتورة نجاة الصائغ قبلَ مدةٍ بسيطةٍ وكان حديثاً رائعاً ومنسأباً عن تاريخ زهير الكتبي، أسفرَ هذا الحديثُ عن قراءتي لجميع الكتب المنشورة في موقعكم الزاخر.

■ **فهد الثبيتي** : محاضرُ قسم الجغرافيا لمن كنتَ تجلسُ إلى جوارِي في قاعةِ الدرسِ في برنامجِ الدراساتِ العليا لكي نحضرَ درجة الماجستير سوياً بجامعة أمّ القرى بمكة، وما كنتُ أراك إلا على الدوام متذمرٍ ممداً تسمعه أدركتُ حينها أنّك أرقى من السماعِ وفوق لغةِ المحادثةِ بعضوية الصادق الصدوق بطريقته الخاصة، وفقَ الله المخلصين أتمنى لك التوفيق فلم أراك منذُ 18 عاماً لكنني مررتُ صدفةً على موقعك الإلكتروني وأحببتُ أن أهنيك وأريدُ سماعَ صوتك حفظك الله.

■ **هديل محمد صالح البركاتي** : جامعه أم القرى / تحمل الأديبُ بشجاعةٍ أمانة الكلمة، وأثرى المكتبة بطرحٍ سويّ جميلٍ في خلقه والتزامه ومصداقيته، لاتأخذه في الحق لومة لائم، إن كتاب (البكاء) .. ضرورةٌ ولكنه ليس حلاً، لا يصدرُ إلا من كاتبٍ تمكن الحق من نفسه، وجعل

الصدق ديدنه وطريقة .. فكان كل ما تعرض إلى مثل مايتعرض له أمثاله ينجيه صدقه مع نفسه، فهذا الإصدار أثبت كم هو أمين على نسيه مؤمن بالحقيقة لايقبل المغالطة، رغم إن أكثر في هذه الأيام يسعون ويدفعون الأموال ليثبتوا أنسابهم لهذا النسب الشريف وهم ليس منه . لكن د/زهيري عي (قول الرسول ﷺ سلمان منا أهل البيت . وبلال سيدنا)، فعرف أن أولى الناس بالمصطفى ﷺ من اتبع سنته ووصل إلى نعم مع ربه جلّ وعلا ثم نبيه عليه السلام ونفسه والأخر . ولهذا لم يقبل أن يلتحق بنسب ليس له ، وواجهه من أراد ذلك من أهله بشجاعة إن شاء الله ليثبتها عليها، لقد بين الدكتور الأمين الحقائق على لسانه، بارك الله فيه، وهو قدوة من القدوات لهذه الأجيال في جهاده بالقلم كثير الله من أمثاله.

■ **نادية محمد سعيد الصائغ** : نفخر دائماً بأبناك ابن مكة البار بها . سوف يكون موقعك مرجعاً لنا، وحديقة نستمتع بقضاء الوقت فيها. عشقي لمكة يدفعني دائماً لقراءة ما تكتبه عنها. انتظرنا هذا الانجاز طويلاً. ألف مبروك. كلل الله خطواتك دائماً بالسداد.

■ **د. نجاة محمد سعيد الصائغ** : نستطيع أن نفعل كل ما نتمنى فعله بشرط أن تكون إرادتنا بقدر أمنياتنا، هكذا كانت إرادتك، وهكذا ستظل ولو لم تكن ذلك فلن تكون زهير كتيبي الذي أختار الطريق المستقيم لتحقيق أهدافه.

■ **عبدالرحمن** : سيدي الوالد : الدكتور زهير محمد جميل كتيبي . من المؤسف حقاً أن تبحث عن الصدق في عصر الخيانة وتبحث عن الحب في قلوب جبانة، ليس من الصعب أن تُضحّي من أجل صديق، ولكن من الصعب أن تجد الصديق الذي يستحق التضحية.

كتب المؤلف

- 1/: همساتُ العريفُ الجزءُ الأولُ . عام 1399هـ.
- 2/: همساتُ العريفُ الجزءُ الثاني . عام 1400هـ.
- 3/: الأمراضُ الاجتماعيةُ . عام 1401هـ.
- 4/: مكةُ المكرمةُ العاصمةُ المقدسةُ ، عام 1405هـ مشترك مع : (أ)الأستاذ الدكتور عبد العزيز الغامدي . (ب) الأستاذ الدكتور محمد محمود السرياني . الأستاذ معراج مرزا .
- 5/: تصريفُ مياهِ الأمطارِ بالعاصمةِ المقدسةِ ، عام 1408هـ. ترجم إلى اللغة الإنجليزية
- 6/: المرحلةُ والمجتمعُ ، 1409هـ.
- 7/: مكةُ المكرمةُ .. الوضعُ الفريدُ ، عام 1409هـ. ترجم إلى اللغة الإنجليزية .
- 8/: رجالٌ من مكةُ المكرمةُ ، عام 1410هـ الجزء الأول .
- 9/: عجرفةٌ سياسيةٌ ، 1410هـ.
- 10/: حربُ الخليجِ .. من المعتدي؟ ، عام 1410هـ.
- 11/: سيرةُ رجلٍ ، عام 1410هـ.
- 12/: انفجارُ البركانِ ، عام 1410هـ ، ترجم إلى اللغة الانجليزية .
- 13/: العطارُ .. عميدُ الأدبِ ، عام 1411هـ.
- 14/: أوزانٌ سياسيةٌ ، عام 1411هـ.
- 15/: المناخُ في التراثِ الإسلاميِّ ، عام 1411هـ.
- 16/: رجالٌ من مكةُ المكرمةُ ، الجزءُ الثاني ، عام 1411هـ.
- 17/: الخليجُ بينَ خوفِ السيطرةِ وفناءِ الموتِ ، عام 1411هـ.
- 18/: الفقِيُّ .. فيلسوفُ الحجازِ ، عام 1412هـ.
- 19/: لا تقرُّوا .. هذا الحوارُ ، عام 1412هـ.
- 20/: لا تقرُّوا هذا الكتابُ ، ترجم إلى اللغة الإنجليزية. الطبعةُ الأولى عام 1412هـ. الطبعةُ الثانيةُ عام 1412هـ.
- 21/: المعادنُ في التراثِ الإسلاميِّ. الطبعةُ الأولى عام 1412هـ. الطبعةُ الثانيةُ عام 1412هـ.

- 22: من وراء حرب الخليج؟ الطبعة الأولى عام 1412هـ. الطبعة الثانية عام 1412هـ. الطبعة الثالثة عام 1412هـ.
- 23: الفوده رائد الحكمة، عام 1412هـ.
- 24: رجال من مكة المكرمة، الجزء الثالث. الطبعة الأولى عام 1412هـ. الطبعة الثانية عام 1412هـ. الطبعة الثالثة عام 1412هـ.
- 25: حضر بلا قعر، عام 1412هـ، ترجم إلى اللغة الإنجليزية. الطبعة الأولى . عام 1412هـ.
- 26: الفكر .. يخلق الأزمة، 1412هـ.
- 27: المليباري حارس العربية، عام 1412هـ.
- 28: الفكر التربوي عند زكي مبارك، مشترك مع الأستاذة كريمة مبارك، عام 1412هـ.
- 29: فتران الحياة، 1413هـ.
- 30: رجال من مكة المكرمة، الجزء الرابع . الطبعة الأولى عام 1413هـ. الطبعة الثانية عام 1414هـ.
- 31: حواراتي . 1414هـ.
- 32: حرب الخليج تهشيم معادلة القوة وهتك التوازنات، عام 1414هـ.
- 33: مقالات .. مجنون، عام 1414هـ.
- 34: أبوالعلا .. شاعر الأصالة والصدق، 1414هـ.
- 35: المالكي .. عالم الحجاز، 1414هـ.
- 36: التحليل المكاني لحوادث الحريق بمدينة مكة المكرمة، 1414هـ.
- 37: من أوراق السياسية. الطبعة الأولى، 1415هـ. الطبعة الثانية، 1415هـ.
- 38: رجال من مكة المكرمة، الجزء الخامس، 1415هـ.
- 39: أبوشادي .. والأدب السعودي، 1415هـ.
- 40: أحمد جمال .. رجل الدعوة والفكر، 1415هـ.
- 41: محمد عمر توفيق .. العقل الكبير، 1415هـ.
- 42: فن الحوار، الجزء الأول، 1415هـ.

- 43: فنُّ الحوارِ، الجزءُ الثاني، 1415هـ.
- 44: فنُّ الحوارِ، الجزءُ الثالثُ، 1415هـ.
- 45: مفاهيمٌ خاطئةٌ .. يجبُ أنْ تصحَّحَ، 1415هـ.
- 46: أنا.. وحماري، 1415هـ.
- 47: المثقفُ العربيُّ والسلطةُ، 1415هـ.
- 48: مراجلُ الغضبِ، 1415هـ.
- 49: تبا.. لوقفك يا فايئز بدر!، 1415هـ. الطبعةُ الأولى: شعبانُ 1415هـ. الطبعةُ الثانيةُ: ذو الععدة 1415هـ.
- 50: مكةُ المكرمةُ.. في وجداني، 1416هـ.
- 51: رجالٌ من مكة المكرمة.. الجزءُ السادسُ، 1416هـ.
- 52: الصبَّانُ صانعُ الرجالِ، 1416هـ.
- 53: موتٌ مثقفٍ، 1416هـ.
- 54: منهاجٌ صحافي.. بعضُ المناحي التنويرية والفكرية، دراسةٌ في نهجِ حامدٍ مطاوعٍ، 1416هـ.
- 55: السِّتْرُ في الإسلام.. وغلُو المحتسبِ، 1416هـ.
- 56: الباروم.. مريباً وكاتباً ومفكراً، 1416هـ.
- 57: مسألةُ الشبابِ.. بينَ النظريةِ والممارسةِ، 1416هـ.
- 58: من دحرجَ الفكرَ؟، 1417هـ.
- 59: العقلُ السعوديُّ، قراءةٌ نقديةٌ.. حمزه شحاته وخطابه أنموذجاً، 1417هـ.
- 60: العريفُ... صحافياً، بعضُ المناحي التنويرية والفكرية، دراسةٌ في نهجِ عبد الله عريفٍ، 1417هـ. الطبعةُ الثانيةُ، 1434هـ.
- 61: الإعلامُ العربيُّ.. محاولةٌ نقديةٌ، 1417هـ.
- 62: آلُ سعودٍ وبناءُ دولةٍ عصريةٍ، 1417هـ، 1996م.
- 63: جماجمٌ.. بلا أفكارٍ، 1418هـ، 1997م.
- 64: العقلُ النسائيُّ السعودي، 1418هـ.

- 65: / نزيه دماغ، ..[رواية].. 1418هـ.
- 66: / ثقافة النفط، قراءة نقدية، 1419هـ.
- 67: / البكاء ضرورة.. ولكنه ليس حلاً، رسالة عائلية، 1419هـ.
- 68: / الكتابة الصحافية في بلادنا.. إلى أين؟! عرض ودراسة بعض النماذج السلبية، 1420هـ.
- 69: / شخصية مكة المكرمة الجنسية.. دراسة أنثروبولوجية الأسماء، 1421هـ.
- 70: / رفات حمارٍ مثقف، 1421هـ.
- 71: / ابريق الدم، 1423هـ.
- 72: / أنا ضد فضيلة الصمت، معارك أدبية و صحافية، 1423هـ.
- 73: / قراءة نقدية في كتاب القضاء والقضاء السعودي، 1423هـ.
- 74: / من أجل مكة، 1423هـ.
- 75: / أثر الوظيفة الدينية على استخدام الأرض في مكة المكرمة، رسالة دكتوراة، 1423هـ.
- 76: / أهل مكة.. واليماني، الطبعة الأولى، والثانية، 1424هـ.
- 77: / الكتابة هروباً من سيف السيف، 1426هـ.
- 78: / ينزلق ثلج الصحوة الدينية في المملكة العربية السعودية، 1426هـ. أربعة طبعات .
- 79: / وتعيها أذن واعية، 1426هـ.
- 80: / كلام عن مكة المكرمة، 1426هـ.
- 81: / فرصة الموت، .. مذكرات ..، الدفتر الأول، 1427هـ.
- 82: / رسائل من أجل وطني، مذكرات، الدفتر الثاني، 1427هـ.
- 83: / عبقرية مكة المكرمة، 1427هـ.
- 84: / ابن دهيش و التوسع الثقافي عبر نوافذ الإبداع، 1427هـ.
- 85: / مقالات مكية، الجزء الأول، 1428هـ.
- 86: / نقد جراحي .. بلا تخدير، 1428هـ، أربعة طبعات.
- 87: / من أدبيات السجن، 1428هـ.
- 88: / كتاب الشرف والمجد، مذكرات، مجموعة رسائل، أربعة دفاتر، 1428هـ.

- 89: شفق الفجر، أربعة ملفات، مقالاتي، التحقيقات الصحافية، أخباري، تعقيبات، 1428هـ.
- 90: مقالات مكية، الجزء الثاني، 1429هـ.
- 91: الدفتر السياسي والديني، قراءة عصرية، 1429هـ.
- 92: مقالات مكية، الجزء الثالث، 1429هـ.
- 93: أخلاق الطوافة وقيمها، 1430هـ. طبع عدة طبعات .
- 94: التحدي الإخواني السعودي، التوتر ومداه، وتخصيب الإرهاب، 1430هـ. طبع عدة طبعات .
- 95: يقال ولكنه لا يكتب، 1430هـ.
- 96: الطوافة، السلبيات، محاولة للفهم، 1430هـ.
- 97: لا تتسوا جدى، 1430هـ.
- 98: اليماني القدرة، 1432هـ.
- 99: فشل الثورة العربية، نقل البندقية من كتف إلى كتف . 1432هـ.
- 100: ثقافة الإحباط، الحمل الكاذب، محاولة للفهم، 1433هـ.
- 101: مكة المكرمة والسلطة، خصومة وعداوة، مذكرات الدفتر الخامس، 1433هـ.
- 102: هل يثور الشعب السعودي ضد مؤسسة الحكم؟، 1433هـ.
- 103: عبدالله عريف، المجموعة الكاملة، ويشمل كتاب/ همسات العريف الجزء الأول، همسات العريف الجزء الثاني، العريف صحافياً، دراسة بعض المناحي التنويرية والفكرية في نهج عبدالله عريف، رجل وعمل، 1434هـ .
- 104: الجماعات الإسلامية تفشل الثورات العربية، 1434هـ. عدة طبعات .
- 105: كلنا زهير، مداخلة فضائية تخلق (أزمة سياسية)، 1434هـ.
- 106: عظام فوق اللحم، 1434هـ.
- 107: آه .. يا وطني، لن أخونك، رسائل إصلاحية، 1434هـ. عدة طبعات .
- 108: رمية من غير رام، 1434هـ.
- 109: الحاكم والمحكوم، قراءة واقعية، 1436هـ. عدة طبعات .
- 110: نقد العقل العربي، قراءة غير، 1436هـ. عدة طبعات .

المؤلف

ولد في حارة الشامية بمدينة مكة المكرمة - شرفها الله - يوم 1375/2/23 هـ.

ونشأ وترعرع بين حارتي [.. الشامية والفلق] ،،، .

ودرس المرحلة الابتدائية في البداية بالمدرسة السعدية الابتدائية بالحفائر ثم أكملها بمدرسة الزاهر الابتدائية "الإمام البخاري" حالياً، ثم انتقل إلى المرحلة الإعدادية وأتمها بمدرسة الزاهر المتوسطة، وانتقل إلى مرحلة الثانوية العامة القسم الأدبي وحصل على المركز الرابع، وعمل لمدة عام في مصلحة المياه والمجاري بالمنطقة الغربية على وظيفة (مدير مكتب المدير العام بمكة المكرمة)، ثم استقال والتحق بالكلية المتوسطة بمكة المكرمة وتخرج فيها وحصل على المركز الثاني على الدفعة المتخرجة مع مرتبة الشرف، وعمل مدرساً لمدة، ثم انتقلت خدماته إلى أمانة العاصمة المقدسة وتقلب في عددٍ من وظائفها المسؤولة وساهم في كثيرٍ من الأعمال بها، وأثناء عمله كان يدرس بجامعة أم القرى قسم الجغرافيا، وحصل على درجة البكالوريوس في الجغرافيا مع الإعداد التربوي، وحصل على المركز الأول على الدفعة المتخرجة مع مرتبة الشرف ودرع التفوق، ثم حصل على درجة الماجستير في الجغرافيا من جامعة أم القرى بقسم الجغرافيا، وهي أول رسالة للطلاب بهذا القسم كما حصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الثانية من مصر عام (1423 هـ)، وذلك من معهد البحوث والدراسات العربية، التابع لجامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بالقاهرة.

كما يحتفظ بالعضوية في عدة جمعيات علمية دولية من بينها:

الجمعيةُ الجغرافيةُ الأمريكيةُ، الجمعيةُ الجغرافيةُ المصريةُ، الجمعيةُ الجغرافيةُ الكويتيةُ، الجمعيةُ الجغرافيةُ السعوديةُ، الجمعيةُ الجغرافيةُ العراقيةُ، جمعيةُ علومِ العمرانِ السعوديةُ، جمعيةُ زكي مباركِ الأدبيةُ، وجماعةُ أبو لولو الجديدةُ الأدبيةُ المصريةُ، ورابطةُ الأدبِ الحديثِ بمصرَ، وجماعةُ رعايةِ الموهباتِ بمكةِ المكرمةَ، وهيئةُ الصحفيينِ السعوديينَ، وعضوُ باتحادِ الكتابِ المصريينَ، وعضوُ ناديِ مكةِ الثقافيِّ الأدبيِّ.

وقد فازَ بشهادةِ الإبداعِ الأدبيِّ في الدراساتِ الأدبيةِ والصحفيةِ مِنْ رابطةِ الأدبِ الحديثِ بمصرَ عامَ 1991 م، وكذلكَ الزمالةُ الفخريةُ مِنْ رابطةِ الأدبِ الحديثِ بمصرَ.

ولهُ نشاطاتٌ ثقافيةٌ واجتماعيةٌ وعضويةٌ بعضِ الأنديةِ الثقافيةِ والرياضيةِ وحضرَ العديدَ مِنْ المؤتمراتِ والندواتِ واللقاءاتِ المحليةِ والدوليةِ، ولهُ مؤلفاتٌ في السياسةِ والجغرافيا والتاريخِ والقضايا الاجتماعيةِ والفلسفيةِ، ومتزوجٌ ولهُ مِنْ الأبناءِ (هوازن، جميل، إيلاف، تماضر)، ولهُ أحفادٌ، جوري، مناف، عبدالله، زهير، سلافه .

كَمَا كَتَبَ عَنْهُ في كتابٍ: 1998 م Attacks on the press .

كَمَا كَتَبَ عَنْهُ في صحيفةِ (الاندبندنت) اللندنيةِ البريطانيةِ بتاريخ 1998/4/22م

وكتبَ عَنْهُ في كتابٍ / قضاءٌ يسحقُ العدالةَ نظامٌ قضائيٌّ ضدَّ الإصلاحِ السياسيِّ

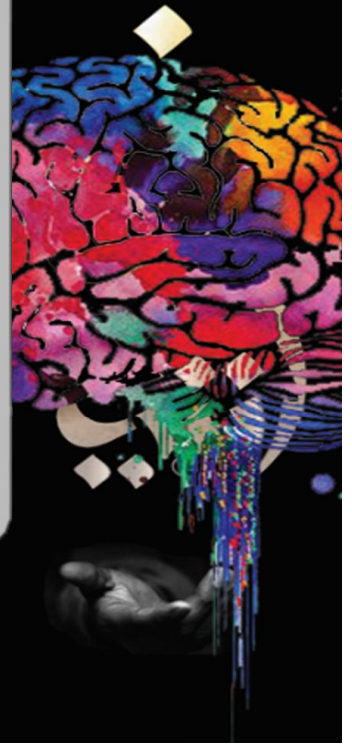
في السعوديةِ، تأليفُ تأبط خيراً، دار مصر المحروسة، الطبعةُ الأولى عامَ 2006م .

هذا الكتاب :

عدم السماح.. (بنقد العقل العربي)..، فتح جرحاً عميقاً ولاشك، لا أظنه يندمل، وتركنا وحتى يومنا هذا نكابد أرواحاً شريرة، لا تتفك تذكرنا، كلما تعلقنا بأن.. (العقل العربي)..، يعيش أزمة، ولم يفهم الحقائق السياسية كما ينبغي. وهذا من قصر النظر. والذين منعوا وحاربوا.. (نقده)..، يتلذذون بشهواتهم في كبت الأمل، بل إنهم يتمننون في انتزاع حُسن ظننا برئنا، يفعلون كل ذلك باسم الإسلام، الذي هو من غي أهوائهم براءً.



لقد توقّف إنتاج.. (العقل العربي)..، منذُ حادثة تحكيم القرآن المجيد، في الخلاف الشهير بين سيدنا علي بن أبي طالب، وسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، إن قدرة العقل العربي على عمَل إنتاجات فكرية حقيقية من داخل الحدود والقيود، هي أحد عراقيل.. ((النقد))..، ليس فقط مجرد.. (تعبير)..، عن فكرة عقلية، تتجه نحو النقد ذاته، بل حتى عملية إدماجية في التفكير بشأن شيء ما. لأن من مزايا نقد العقل أنه يقود إلى صناعة لوجود عقل، ولحدث ما ذي سمة عقلية.



نقد العقل العربي
قراءة مختلفة